



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة البحث العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله



قسم علم الاجتماع والديمغرافيا والانثروبولوجيا

كلية العلوم الاجتماعية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لـ م-د في علم الاجتماع

تخصص: الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

علاج العقم في المعتقدات الشعبية في الجزائر .

دراسة ميدانية "تبسة انموذجا"

إشراف الأستاذة:

معمرى جميلة

من إعداد الطالبة:

بديار مريم

اللجنة المناقشة:

الأستاذة: سعاد عبيدي رئيسة

الأستاذة: معمرى جميلة مشرفا

الأستاذة: نوال باشا عضوا

الأستاذة: سماح عوايجية عضوا

الأستاذة: فريدة مشري عضوا

الأستاذ: علي مقداد عضوا

السنة الجامعية:

2024/ 2023



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة البحث العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله



كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا والانثروبولوجيا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل-م-د في علم الاجتماع

تخصص: الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

علاج العقم في المعتقدات الشعبية في الجزائر.

- دراسة ميدانية "تبسة أنموذجاً" -

إشراف الأستاذة:

معمري جميلة

من إعداد الطالبة:

بديار مريم

اللجنة المناقشة:

الأستاذة: سعاد عبيدي رئيسة

الأستاذة: معمري جميلة مشرفا

الأستاذة: نوال باشا عضوا

الأستاذة: سماح عوايجية عضوا

الأستاذة: فريدة مشري عضوا

الأستاذ: علي مقداد عضوا

السنة الجامعية:

2024/ 2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بڪل امتنان، آهري هنڌ الجهر

جي ڪل من آمن بي وساندي

فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي الْعِلْمِ مَعْرِفَةً

حَفِظْتَ شَيْئًا، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

شكر وعرفان

يسعدني ويشرفني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع، الذي ما كان ليبرى النور لولا توفيق الله وعونه.

بدايةً، أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذتي الفاضلة معمرى جميلة، التي لم تبخل عليّ بوقتها الثمين، وإرشاداتها السديدة، وتوجيهاتها القيمة التي أنارت دربي وذللت الصعاب. فقد كانت خير عون وسند لي خلال جميع مراحل إعداد هذه الأطروحة. فلها مني كل الاحترام والتقدير.

ولا يفوتني أن أقدم عظيم الشكر والامتنان إلى عائلتي الكريمة على دعمهم اللامحدود وصبرهم طوال فترة الدراسة والبحث.

ملخص الدراسة:

يعتبر العقم ظاهرة إنسانية عالمية، إلا أن طرق التعامل معه وتفسيره تختلف اختلافاً كبيراً بين الثقافات والمجتمعات. فما زال العقم يُفسر ويُعالج من خلال التفسيرات الشعبية والممارسات الثقافية التقليدية التي تختلف كلياً عن العلاجات الطبية الحديثة. ويشكل موضوع علاج العقم في المعتقدات الشعبية مجالاً واسعاً ومتشعباً، بحيث تتداخل فيه الطب الشعبي مع الجوانب الثقافية والاجتماعية والنفسية.

ولهذا، اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي في تحليل وتفسير الظاهرة محلّ الدراسة، معتمدةً المقابلة كتقنية لجمع المعلومات من العينة المختارة. وقد تمثلت هذه العينة في 20مبحوثة من اللاتي يعانين من العقم، و 10مبحوثين من المعالجين الشعبيين، وذلك بهدف التعمق أكثر في طرق العلاج من وجهة نظر المريض والمعالج.

Study Summary:

Infertility is considered a universal human phenomenon, yet the ways of dealing with it and interpreting it vary greatly among cultures and societies. Infertility is still interpreted and treated through popular explanations and traditional cultural practices that differ completely from modern medical treatments. The subject of infertility treatment in popular beliefs constitutes a vast and complex field, where folk medicine intertwines with cultural, social, and psychological aspects.

For this reason, the study adopted a qualitative approach in analyzing and interpreting the phenomenon under study, relying on interviews as a technique for collecting information from the selected sample. This sample consisted of 20 female participants suffering from infertility, and 10 male participants who are traditional healers, with the aim of delving deeper into treatment methods from both the patient's and the healer's perspectives.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
إهداء	
فهرس المحتويات	
أ.ب.ت. ث	مقدمة
الفصل الاول: المقاربة المنهجية والنظرية للدراسة.	
تمهيد	
06	01/ أسباب إختيار الموضوع.
07	02/ أهداف الدراسة.
08	03/ الإشكالية .
14	04/ تحديد المفاهيم.
19	05/ الدراسات السابقة.
22	06/ مناهج وتقنيات جمع و تحليل المعطيات.
32	07/ المقاربة النظرية.
38	08/ صعوبات الدراسة.
خلاصة	

الفصل الثاني: المعتقدات الشعبية والطب الشعبي.

تمهيد

أولاً: ماهية المعتقدات الشعبية.

41	1/ تعريف المعتقدات الشعبية
48	2/ صفات الأساسية للمعتقدات الشعبية.
50	3/ تأثير المعتقدات الشعبية في التنشئة الاجتماعية.
52	4/ تأثير المعتقدات الشعبية في الطب.
54	5/ النظريات المفسرة للمعتقدات.
56	6/ المعتقدات والطقوس.
62	7/ المعتقدات الشعبية الخاصة بطقوس العبور
65	8/ الدين والطقوس وعلاقتها بالصحة والمرض.
66	9/ الصحة والمرض في المعتقدات الشعبية.

ثانياً: ماهية الطب الشعبي.

69	1/ نشأة الطب الشعبي.
72	2/ مفهوم الطب الشعبي.
78	3/ تعريف الممارسة العلاجية الشعبية
80	4/ أنواع الطب الشعبي.

82	5/ الطب الشعبي وزيارة الاضرحة الاولياء
84	6/ أبعاد السوسيو ثقافية للطب الشعبي.
91	7/ الطب الشعبي في الدراسات الانثربولوجية والاجتماعية.
96	8/ التفسير الاجتماعي للصحة والمرض.
100	9/ المداخل النظرية للطب الشعبي.
103	10/ الطب الشعبي في الجزائر.
108	11/ آليات ممارسة الطب الشعبي في الجزائر.
خلاصة.	
الفصل الثالث: طرق علاج العقم.	
تمهيد	
أولاً: ماهية العقم.	
115	1/ تعريف العقم.
119	2/ التصورات الاجتماعية للجسد العقيم.
124	3/ الآثار النفسية للعقم.
128	4/ المرأة العقيم في المجتمع الجزائري.
129	5/ العقم في الاسلام.
ثانياً/ الممارسات الشعبية للعلاج العقم.	

133	1/ المعالجيين الشعبيين.
133	2/ المكانة الاجتماعية للمعالج الشعبي.
136	3/ أصناف المعالجين في الطب الشعبي.
140	4/ العين والحسد في المعتقدات الشعبية
146	5/ السحر والشعوذة كأحد مسببات العقم حسب المعتقدات الشعبية.
154	6/ الأمراض الناتجة عن السحر والشعوذة.
164	7/ علاقة الأعشاب بالطقوس السحرية.
169	8/ أنواع الممارسات العلاجية الشعبية التي تستعمل في علاج العقم.
190	9/ أسباب التوجه الى الطب الشعبي.
193	10/ عوامل الشفاء في الطب الشعبي.
خلاصة	
الفصل الرابع: المقاربة الميدانية للدراسة	
تمهيد.	
أولاً: التعريف بمنطقة الدراسة	
197	1/ أصل تسمية مدينة تبسة
198	2/ الموقع الجغرافي لمدينة تبسة
200	3/ تاريخ مدينة تبسة
203	4/ مجالات الدراسة

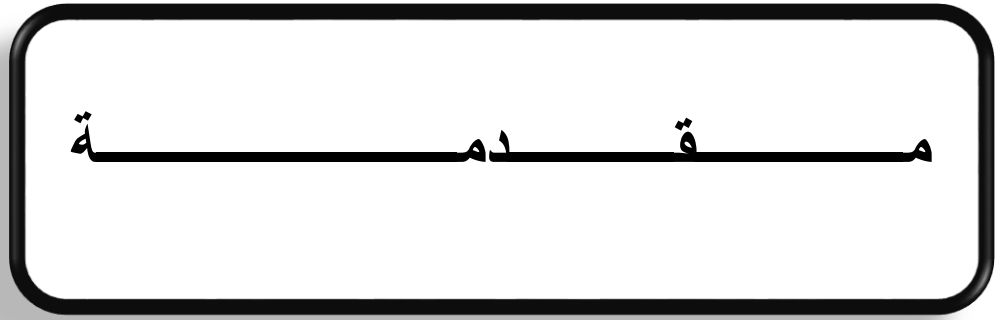
ثانيا: تحليل المقابلات مع المعالجين.	
204	1/ نماذج من المعالجين والمعالجات الطب الشعبي بمنطقة تبسة .
218	2/ الخبرة وإكتساب القدرة على العلاج لدى المعالجين.
221	3/ تكلفة العلاج الشعبي.
222	4/ الفئات الأكثر ترددا على العلاج الشعبي.
225	5/ أهم الامراض التي يعالجها المعالجون الشعبيون
227	6/ اسباب ودوافع التوجه الافراد نحو العلاج الشعبي من وجهة نظر المعالجين.
ثالثا: تحليل المقابلات مع المبحوثات	
232	1/ المستوى التعليمي للمبحوثات.
233	2/ مكان إقامة المبحوثات.
234	3/ أعمار المبحوثات عند الزواج.
236	4/ مدة العقم كدافع نحو العلاج الشعبي.
239	5/ طقوس العبور وعلاقته بالعقم.
250	6/ أسباب العقم حسب رأي المبحوثات.
253	7/ دوافع توجه المبحوثات المعالج الشعبي.
رابعا: علاج العقم بالطرق والاساليب الشعبية	
258	1/ علاج العقم بالاعشاب والخلطات الطبيعية.
264	2/ العلاج الغيبي والروحاني للعقم.
271	3/ علاج العقم بالرقية الشرعية والحجامة.
280	4/ فوائد الاعشاب وكيفية استخدامها للعلاج العقم.

الاستنتاج العام

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة الملاحق.



المعتقدات الشعبية هي موروثات تتناقلها الأجيال، وتدور موضوعاتها عموماً حول الكائنات فوق الطبيعية، والطب الشعبي، والأحلام، والجسم الإنساني، والحيوان، والنبات، والأحجار، والمعادن. وتتطرق موضوعات أخرى إلى الأماكن، وأوائل الأشياء وأواخرها، والاتجاهات، والألوان، والأعداد، والنظرة إلى العالم، وغيرها.

لقد أفرز العقل الجمعي هذه المعتقدات منذ آلاف السنين، وأصبحت تمثل فكرًا مشتركًا لأفراد المجتمع، وثقافة من الصعب القضاء عليها في وقت قصير. وقد حظيت المعتقدات أو الثقافة الشعبية في السنوات الأخيرة باهتمام بالغ من قبل الباحثين، نتيجة لتطور البحث العلمي؛ حيث صارت مختلف المجتمعات تولي عناية كبرى بتراثها الشعبي بوصفه صورة صادقة لروح شعبها وفلسفته في الحياة.

فالمعتقدات الشعبية إرث يتناقله الأبناء عن الآباء، وقد لازم مختلف مراحل حياتهم. وأصبحت هذه المعتقدات تشغل بال الناس، فتشعرهم بالتفاؤل حيناً، والخوف والتشاؤم حيناً آخر. والمجتمع الجزائري، مثله مثل المجتمعات الأخرى، له نسقه الخاص من المعتقدات الشعبية؛ فهي تشكل ما يعتقد الناس بصحته من خلال التجارب والأفكار التي تم تناقلها. والمعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة، ولها ارتباط بمختلف جوانب الحياة، فمنها ما يتعلق بالموت والحياة، والزواج والطلاق، والمرض والصحة، والحمل والولادة.

إن تمسك الأفراد بالمعتقدات يمثل ترسبات قديمة لاعتقادهم بوجود حلول لمشاكلهم. ويعتبر علاج العقم بالطرق الشعبية مجالاً خصباً للدراسة، فبرغم التطور العلمي والطبي في مجال الإنجاب وعلاج العقم لدى الجنسين، إلا أننا نلاحظ أن الناس تلجأ إلى الممارسات الشعبية أو الطب الشعبي. والعقم له عدة تصورات ومعتقدات في أذهان المجتمع، وخاصة المجتمع الشرقي، والتي توارثها الناس. ففي بعض

الأحيان، نجد بعض الناس يعتبرونه شيئاً مقدساً أو عقاباً إلهياً لا يمكن الحديث فيه، أو هو نتيجة سحر أو حسد لأحد الزوجين أو كليهما، أو حدوث خلل في الجسم... إلخ.

ونظراً لأهمية الإنجاب وقيمه الاجتماعية للأسرة، فإنه في حالة تأخر الزوجين في الإنجاب، يبدأ البحث والتردد على الأطباء، على الرغم من أن فترة الزواج لم تتجاوز الشهرين أو الثلاثة في بعض الزيجات. وقد يتجهون أيضاً إلى التفسيرات الشعبية للعقم والبحث عن أسبابه، وبالتالي طرق علاجه التي تدفع إلى اللجوء إلى المعالجات الشعبية، سواء كان معالجا بالأعشاب أو راقياً أو معالجا روحياً، لاستطلاع الأمر واستجلاء حقيقة الإصابة بالعقم أو معرفة أسباب التأخر في الإنجاب. ولا ترتبط الممارسات والطقوس الشعبية العلاجية ذات الدلالة والاعتقادية بطبقة اجتماعية دون غيرها، أو بدرجة تعليمية دون غيرها؛ لكون هذه الممارسات لا تتم علانية، وإنما يراعي أصحابها ممارستها في جو تسوده السرية والكتمان عن المحيطين بها، مع عدم إفشائها إلا في حالة نجاح هذه الممارسات في إشباع حاجات خاصة بممارستها في بعض الحالات.

ومن ناحية أخرى، تحدد المعتقدات لصاحبها نوع العلاج الطبي الذي يلجأ إليه. فقد تحت هذه المعتقدات السائدة الناس على اللجوء إلى الطب الشعبي والاعتماد عليه. فعلى سبيل المثال، يلجأ البعض إلى العلاج بالحجامة أو الأعشاب أو إلى المشعوذين أو الرقية الشرعية، التي يعتقدون في جدواها، دون اللجوء إلى أساليب الطب الحديث. وهكذا، تحكم العلاج والممارسات الشعبية سلسلة من المعتقدات والعادات ذات الجذور الراسخة في الثقافة.

وعليه، فقد خصصنا لدراسة هذا الموضوع خطة منهجية اشتملت على أربعة فصول:

الفصل الأول: تضمن الإطار المنهجي للدراسة، إذ نجد فيه تحديد وصياغة الإشكالية، ثم أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهداف الدراسة، وتحديد المفاهيم الأساسية للدراسة، الدراسات السابقة ومناهج و تقنيات جمع و تحليل المعطيات وكما تم الإشارة الى المقاربة النظرية المعتمدة في الدراسة، وأخيرًا ذكرنا الصعوبات التي واجهتنا خلال فنية الدراسة.

أما الفصل الثاني: فقد تم تخصيصه للمعتقدات الشعبية والطب الشعبي. وقد قسمناه إلى جزئين:

• **الجزء الأول:** حاولنا فيه طرح مفهوم المعتقدات الشعبية وأهم صفاتها، بالإضافة إلى التطرق لتأثير المعتقدات الشعبية في التنشئة الاجتماعية. وهنا حاولنا التكم عن الفتاة أو المرأة بصفة عامة، وهذا يدفعنا إلى تفسير العلاقة بين المعتقدات الشعبية والطب الشعبي. وذكرنا أهم النظريات المفسرة للمعتقدات الشعبية، وهي: ماهية المعتقدات الشعبية، ومفهوم الطب الشعبي، والسمات المميزة للطب الشعبي عن الطب الحديث. وأخيرًا، حاولنا الربط بين المعتقدات الشعبية والطب الشعبي وعلاقتهما بالصحة والمرض.

• **أما الجزء الثاني:** فقد خصصناه للطب الشعبي، بدايةً بلمحة عن نشأة الطب الشعبي وأنواعه، بالإضافة إلى الأبعاد السوسيوثقافية للطب الشعبي. كما تناولنا الطب الشعبي في الدراسات الأنثروبولوجية، والتطرق إلى مجموعة التفسيرات الاجتماعية للصحة والمرض، والمداخل النظرية للطب الشعبي، وفي الأخير، الطب الشعبي في الجزائر.

أما الفصل الثالث: الذي كان آخر فصل في الجانب النظري، فقد خصصناه لطرق علاج العقم. وقد وردت فيه النقاط التالية: ماهية العقم وصورة المرأة العقيم في البناء الثقافي، والآثار النفسية للعقم، والهوية الاجتماعية والثقافية للمتزوجين على العلاج الشعبي، وأصناف المعالجات الشعبية، وطرق العلاج الشعبي للعقم المتمثلة في العلاج بالأعشاب، والعلاج الروحاني والسحري، والرقية الشرعية، والحجامة.

أما الفصل الرابع: فقد خصصناه لعرض فضاءات الدراسة والتعريف بمنطقة الدراسة وهي تبسة. كما يتضمن عرض نتائج المقابلات وتفسيرها، وعرض نتائج الدراسة أو الاستنتاج العام، والخاتمة.

الفصل الاول: المقاربة المنهجية و النظرية للدراسة

تمهيد

01: أسباب إختيار الموضوع.

02: أهداف الدراسة.

03: الإشكالية .

04: تحديد المفاهيم.

05: الدراسات السابقة.

06: مناهج وتقنيات جمع وتحليل المعطيات .

07: المقاربة النظرية.

08: صعوبات البحث.

خلاصة

يرتكز أي بحث علمي على خطوات منهجية واضحة، متعلقة بالجانبين النظري والميداني. في هذا الفصل، سنحاول عرض أهم الدوافع وأسباب اختيار الموضوع، وأيضًا الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، بالإضافة إلى إشكالية الدراسة وتحديد المفاهيم الأساسية في هذا البحث. وأخيرًا، سوف نعرض أهم الدراسات السابقة والتعقيب عليها، بالإضافة إلى التطرق إلى المقاربة النظرية، وفي الأخير، الصعوبات التي واجهتنا خلال إتمام هذه الدراسة.

1/ أسباب إختيار الموضوع

لا يمكن للباحث معالجة بحثه دون أن يكون له سبب بل أسباب في إختيار هذا الموضوع بالذات دون غيره من المواضيع الأخرى، وعليه يمكنني في هذا المقام أن أدرج الأسباب الحقيقية التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع بعينه دون المواضيع الإجتماعية الأخرى .وحسب رأيي أن السبب الذي يدفع الباحث لإختيار الموضوع من شأنه أن يحفزه على الإجتهد أكثر وتصبح رؤيته وتصوره للموضوع بشكل يسير وسهل له ولغيره من الدارسين لهذا الموضوع.

1/ لعل السبب الأول في إختياري لهذا الموضوع يرجع إلى التطرق للعلاج بالطب الشعبي وفائدته في علاج الكثير من الأمراض من بينها العقم، من جهة ولأنه يعد جزءا لا يتجزأ من الثقافة المحلية.

2/ أما السبب الثاني فيمكن في إدراك المسؤولية العلمية حول أهمية وضرورة تحليل عناصر لبعض معتقدات الشعبية والتي منها طرق الطب الشعبي في علاج العقم ، الذي أصبح يمثل ظاهرة إجتماعية عالمية، وذلك من خلال البحث حول طرق علاج العقم في المعتقدات الشعبية وبيان نجاعة هذه الطرق في الشفاء والإنجاب و خاصة أن الطب الحديث لم يجدي نفعا رغم التطور الذي يشهده هذا المجال.

3/ والسبب الثالث وهو إستكمالا لإهتماماتي بالبحوث التي تدور حول المجالات الصحية خاصة وأننا نعلم أن البحوث في المجال الصحي من الناحية الانثروبولوجية و السوسيولوجية قليلة جدا مقارنة بأبحاث الدراسات الإجتماعية الأخرى.

4/ التعرف على الممارسات الطبية الشعبية في المجتمع التبسي و البحث عن علاقة هذه الممارسات بمفهوم الصحة و المرض لدى الأفراد

5/ التعرف على الطقوس و الممارسات التي يتبعها ممارسوا العلاج الشعبي في علاج العقم وكيف يتم تفسيره وبيان أسبابه.

6/ سبب آخر قد أطلق عليه السبب الذاتي أو الأسري، والذي أقصد به ممارسة بعض الأقارب والأصدقاء لطرق علاج العقم بالتطبيب الشعبي و معاشتي لهذه الممارسة عن كثب .

2/ أهداف الدراسة

مما لا شك فيه أن كل بحث علمي لا بد له من جملة أهداف يسعى إلى تحقيقها في النهاية، والتي قد تكون بداية لأبحاث ودراسات أخرى. في دراستنا هذه حول طرق علاج العقم في المعتقدات الشعبية، نهدف إلى تحقيق ما يلي:

- تحليل شامل وعميق لطرق علاج العقم في المعتقدات الشعبية.
- زيادة الوعي حول أهمية التراث الشعبي وطرق العلاج التقليدية، والتي تحمل في طياتها فوائد علاجية.
- توفير رؤية قيمة يمكن أن تساهم في تطوير سياسات صحية تراعي السياق الثقافي المحلي.
- تسليط الضوء على أنظمة المعرفة المحلية المتعلقة بالعقم، والتي غالبًا ما يتم تجاهلها أو تهميشها في الدراسات الطبية.

يُعدّ الإنجاب من نعم الله سبحانه وتعالى التي أنعم بها على الإنسان، لما يمنحه الأبناء من سعادة للأباء كما جاء في قوله تعالى ﴿المال و البنون زينة الحياة الدنيا﴾ سورة الكهف 46، والآية تدل على أن الأبناء هم زينة في حياة الآباء، فسعادة الأسرة و بهجتها لا تتم أو لا تكتمل إلا بالأولاد سواء كانوا ذكورا أو إناثا، ولذلك يُعتبر الإنجاب من أهم وظائف الأسرة كما الآن إستمرار المجتمعات يكمن من خلاله.

وتظهر أهمية الإنجاب بجلاء في حالات العقم، الذي عاني منه ومزال الكثير يعانون منه عبر الأزمنة ويسبب معاناة للكثير من الأزواج والأهل بصفة عامة، فالزواج في المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة لا يكون كاملاً إلا بوجود الأبناء، وعادة ما يبقى الزوجان محط إهتمام المحيط الأسري إلى حين حدوث الحمل، ويمكن القول أن الحمل في الأسر الجزائرية ليس بالمسألة الشخصية للزوجين فقط، فالإنجاب والقدرة عليه هو دليل على الهوية الجنسية لكل من الرجل والمرأة وأيضا من خلاله يتم الاعتراف الإجتماعي وتحديد المكانة الإجتماعية.

حيث يعتبر الزواج للمرأة مرحلة أولية تنتظر من خلالها مرحلة أخرى أكثر أهمية وهي إشباع الغريزة الفطرية لديها وهي تحقيق الأمومة، فالإنجاب والحمل موجودان في تصور المرأة أو الفتاة قبل الزواج، ولتشخيص العقم بحد ذاته للزوجين، أو حتى تأخر الإنجاب، آثار نفسية وإجتماعية عميقة، فهو أشبه بفقدان شخص ليس له وجود ملموس، لكن كانت هناك تصورات حوله وأحلام عنه، وخاصة عند المرأة، ولكن قد يتحول هذا الفقدان غير ملموس إلى واقع يتكرر ومع كل دورة طمثية، فتفقد المرأة الأمل في الحامل، فهي كانت تعطي الأمل بأنها سوف تحمل في هذا الشهر، لكن دون جدوى. وهذا ما يسبب لها

الإحباط مع كل دورة خاصة، ويصبح لديها الشعور بعقدة النقص الجسدي والقلق والتوتر من نظرة العائلة والآخرين. وهذا ينطبق أيضًا على الزوج، خاصة أن المكانة الاجتماعية تتأثر بالزواج والإنجاب.

إن الملاحظ للأدوار الاجتماعية في الأسرة يُدرك أن الدور الأساسي للزوجة هو الإنجاب. فالمرأة الولود التي تملأ وتزيد عدد أفراد الأسرة تحصل على مكانة رفيعة، عكس التي لم تلد. فالمرأة العقيم أو التي لم تنجب في المجتمع الجزائري تواجه نوعًا من التهميش، كأنه نوع من العقاب لعدم إكمال دورها كزوجة وإنجاب طفل زوجها، وهنا نلاحظ أن العقم يتحول من مشكل صحي لدى المرأة أو الرجل إلى مشكلة اجتماعية. حيث أن العقم يرتبط بالمرأة أكثر من الرجل على الرغم من تطور الطب الذي بين أن العقم يكمن لدى الرجل أو المرأة على حد سواء. إلا أن الثقافة العربية، والجزائرية خاصة، لم تقبل عقم الرجل، ويبقى التعامل مع عقم المرأة بأنها غير كاملة وناقصة وتتم إدانتها. وهذا الأمر يمكن إبرازه في أرض الواقع من خلال تشجيع المجتمع للرجل على تنطيق زوجته أو الزواج مرة ثانية، بينما إذا كان الرجل عقيمًا يتم التكتّم والسكوت عن الأمر، ويُعتبر "أمرًا من الله" وعلى الزوجة الصبر¹ ولكن بصفة عامة، فإن العقم يؤثر على الزوجين.

وقد قدّمت منظمة الصحة العالمية في تقريرها لسنة 2023 أن ما يقدر بنسبة 17.5% من سكان العالم يعانون من بعض أنواع العقم خلال مدة حياتهم الإنجابية، ويتراوح عدد الأزواج الذين يعانون من العقم بين 48 مليون زوج و186 مليون شخص على الصعيد العالمي، أي بمعدل شخص من بين كل

¹/ خلود السباعي، الجسد الانثوي وهوية الجندر، جداول للنشر و التوزيع، ط1، لبنان، 2011، ص155.

سنة أشخاص¹. أما في الجزائر، فقد قدرت نسبة العقم ب 1 من كل 7 أزواج مصابين، وتشير آخر الإحصائيات المتعلقة بالصحة أن 25% من الأزواج يعانون².

ولهذا، ومن أجل تحقيق حلم الأبوة والأمومة، ينطلق الزوجان في رحلة البحث عن العلاج لتأخر الإنجاب ومعرفة الأسباب، يبدأ ذلك من الفحوصات والأدوية وصولاً إلى التلقيح الاصطناعي الذي يتطلب تكلفة مادية مرتفعة. ولكن هناك حالات لم يستطع الطب علاجها، أو حتى تفسير سبب العقم لعدم وجود مشاكل صحية وجسدية لدى الزوجين. وهذا ما يدفع بالزوجين للبحث عن طرق أخرى للعلاج، وهنا يأتي دور الثقافة والمعتقدات في توجيه المصاب بالعقم إلى العلاج والممارسات الشعبية، تقدم هذه الممارسات تفسيرات للعقم بعيدة عن الطب والتفسيرات العلمية. لكنها تدخل ضمن الثقافة الشعبية للمجتمع، وتجد هذه الأسباب والتفسيرات قبولاً لدى الأزواج، خاصة وأن بعضها يرتبط بالدين، كما تحدد الطرق التي تعالج كل سبب.

يلعب الطب الشعبي دوراً مهماً في كثير من الأحيان، خاصة في علاج حالات العقم التي تستعصي على الطب والعلوم المعروفة. فهو الدواء الأول للإنسان منذ الأزل، والذي استخدمته الحضارات السابقة للعلاج والوقاية. وهناك العديد من المعالجين بالطب الشعبي، البعض منهم ورثها أباً عن جد، والبعض الآخر تعلمها بالفطرة والتجربة والخبرة. وفي نظرة لمصطلح الطب الشعبي، فإنه يعني المعارف والمهارات والممارسات القائمة التجارب والخبرات السابقة الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات، والتي تُستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها.

¹ / منظمة الصحة العالمية، تقرير منظمة الصحة العالمية، 04 أفريل 2023.

² / <https://www.elkhabar.com>

يشتمل الطب الشعبي على العديد من الممارسات العلاجية التي تعتمد على البحث في الطبيعة عن مواد نباتية وحيوانية للتغلب على المشاكل الصحية، سواء كانت عضوية أو روحية. فقد نتج عن هذه التجارب والمجهود المبذولة العديد من الممارسات العلاجية الأخرى التي تنبع من ثقافة كل أمة، كالحجامة والكي.

كما يشمل العلاج بالأعشاب والطقوس السحرية، بالإضافة الى ممارسات غير محسوسة تمثلت في السحر والتمايم والتعاويذ والرقية وغيرها من أشكال الطب الشعبي الذي يشكل جزءًا هامًا من الثقافة الشعبية للمجتمعات.

لقد كان المرض والعقم قديمًا لعنات الآلهة، لكن الآلهة لا تقوم بنفسها بإحداث المرض، بل تأمر به وتسخر كائنات العالم الأسفل للقيام به. وكان الشفاء كذلك يحدث بأمر يصدر عن الآلهة، وكان الكاهن والمعزم يقوم بدور الوساطة بين المريض والآلهة ويتعهد نيابة عن المريض أنه سيقوم بواجباته نحو الآلهة كما يجب، ويتم ذلك بالصلاة والقرايين والأدعية في المعابد¹.

فالاعتقاد الذي كان سائدًا أن الأمراض، ومن بينها العقم، هي عقاب من الآلهة، ومن ثم فإن الاعتقاد بطرق الشفاء نابع من الإرث الاجتماعي الذي يخص مجموعة من الأفراد، بحيث تتميز بمعتقدات قد تتوافق مع غيرها أو تختلف عنها. ونركز هنا على المعتقدات السائدة حول الحمل وكيفية تفسيرها له، ونجد: الفأل، والحسد، والسحر، والأحبة، والتعاويذ. فالأفراد الذين يعيشون في ثقافة معينة يتأثرون بقيمتها السائدة، وتمسك المرأة بمعتقدات يمثل ترسبات للتنشئة الأسرية. ولهذا، نجد أن الإقبال على

¹ / الماجدي خزل، بخور الآلهة، الاهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998، ص233.

مختلف الممارسات العلاجية الشعبية لعلاج العقم نابع من مجموعة المعتقدات التي تفسره وتبين طرق علاجه، فالمعتقدات لها ارتباط وثيق بالطب الشعبي ومجموعة الممارسات والطقوس العلاجية.

لهذا، ترتبط الصحة والمرض والوقاية والعلاج بالثقافة السائدة، ولذلك فهي تفسر على أساس المعتقدات الشعبية حول جسم الإنسان وعلاقته بالعالم الطبيعي الذي يعيشه ويدركه، والعالم فوق الطبيعة الذي يعجز عن إدراكه. لا يخرج تفسير المعالج الشعبي عن هذه التصورات، وكذلك تفسير الأفراد لأسباب المرض.

وكان للمرأة نصيب وافر من الطقوس والعادات والتقاليد والمعتقدات المتعارف عليها في المجتمع، والتي حددت تفاصيل حياتها. فمنذ ميلادها إلى غاية زواجها وحتى بعده، تمارس أو يمارس عليها مجموعة من الطقوس للظفر بمكانة اجتماعية كبنت أو زوجة أو أم. وقد حملت المرأة على مر العصور مسؤولية العقم دون الرجل، ففي قانون حمورابي: "إذا أبطأت المرأة في الإنجاب، إما يُسرع الزوج بالخلّاص منها"¹. وفي معظم المجتمعات الشرقية، يقع اللوم على المرأة. وهذا نجده في مجتمع البحث؛ فنجد الزوجة بعد مرور بضعة أشهر تتساءل عن حدوث الحمل، وإذا مضى زمن على زواجها ولم تنجب، يصبح موضوع عقمها وتأخر إنجابها موضوعاً للحديث لدى أهل الزوج. وحسب الاعتقاد الشعبي السائد، فإنه قد يكون بسبب الأعمال السحرية، وهنا لا بد أن تلجأ الزوجة إلى مختلف الممارسات العلاجية الشعبية من عقاقير وأعشاب وطقوس سحرية...إلخ.

لذلك تتمثل مشكلة هذه الدراسة في معرفة طرق علاج العقم في المعتقدات الشعبية في منطقة تبسة.

¹ / عمر رضا كحالة، المرأة في القديم والحديث، ج1، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1، 1979، ص126.

أن مشكلة الدراسة تتمحور حول السؤال¹ المركزي الآتي:

_ ماهي الممارسات والأساليب الشعبية المتبعة في علاج العقم في منطقة تبسة؟

ويتفرع عن السؤال المركزي الأسئلة الفرعية الآتية:

1/ لماذا يلجأ الأزواج إلى علاج العقم بالطب الشعبي؟

2/ ماهي الطقوس والشعائر والممارسات العلاجية التي يتم إستخدامها في علاج العقم حسب المعتقدات الشعبية؟

3/ ماهي التصورات و التفسيرات الشعبية لأسباب العقم ؟

4/ كيف تؤثر المعتقدات الشعبية على حياة الازواج الذين يعانون من العقم؟

¹ الجدير بالذكر أننا استخدمنا التساؤلات بدلا من الفرضيات لأن طبيعة أغلب الدراسات الأنثروبولوجية إن لم نقل كلها تفرض العمل وفق التساؤلات لا الفرضيات بصفة عامة وطبيعة موضوعنا على وجه الخصوص تفرض العمل وفق التساؤلات لا الفرضيات كون بحثنا كيفي يكاد يخلو تماما من الكم ومرن غير مرتبط بالفرضيات التي تحتاج إلى التحليل الكمي في غالب الأحيان.

4/ تحديد المفاهيم .

إن البحث في علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا يتطلب تحديد المفاهيم التي يعمل عليها ، باعتبارها من الركائز الأساسية في البحث السوسيولوجي، فكل موضوع يطرح في إطار البحث العلمي يركز على مفاهيم أساسية و رئيسية و تعتبر هي مفاتيح للدراسة، و تتمحور دراستنا حول المفاهيم التالية:

أولاً: تعريف العقم:

1/ لغة

عَقَمَتِ الْمَرْأَةُ: كَانَتْ عَقِيمًا لَا تَلِدُ

عَقَمَ اللهُ الْمَرْأَةَ: جَعَلَهَا عَقِيمًا لَا تَتَجَبَّ

عَقَمَ الرَّجُلُ عَقَمًا، لَا يَلِدُ

عَقَمَ اللهُ الْمَرْأَةَ أَوْ الرَّجُلَ: جَعَلَهُ عَقِيمًا

وفي المعجم عربي عامة يعرف العقم :

عقم: "العُقْمُ والعُقْمُ، بالفتح والضم: هُرْمَةٌ تَقَعُ فِي الرَّجْمِ فَلَا تَقْبَلُ الْوَلَدَ.

عَقَمَتِ الرَّجُلُ عَقْمًا وَعُقِمَتِ عَقْمًا وَعَقَمًا وَعَقَمَهَا اللهُ يَعْقِمُهَا عَقْمًا وَرَجِمَ عَقِيمٌ وَعَقِيمَةٌ مَعْقُومَةٌ، والجمعُ عَقَائِمٌ وَعُقَمٌ، وما كانت عَقِيمًا وَلَقَدْ عُقِمَتْ، فهي مَعْقُومَةٌ، وَعُقِمَتْ إِذَا لَمْ تَحْمِلْ فَهِيَ عَقِيمٌ وَعُقِرَتْ، بفتح العين وَضَمَّ الْقَافِ، مسدودة لاتلدا¹.

¹/ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1979، ط3، ص412.

2/ إصطلاحا:

يعرف العقم بأنه العجز عن الحمل أو الإخصاب خلال فترة الفاعلية الجنسية السليمة، أي عدم القدرة على الإنجاب بعد سنة من حياة الجنسية الطبيعية دون استعمال أي موانع للحمل¹.

وتعرفه منظمة الصحة العالمية على أنه مرض يصيب الجهاز التناسلي، عند الرجل أو المرأة و يمنع القدرة على الحمل بشكلٍ طبيعي بعد 12 شهراً من ممارسة العلاقة الجنسيّة بين الزوجين دون اتباع أيّ من طرق منع الحمل المختلفة².

3/ **التعريف الإجرائي للعقم:** هو عدم القدرة الزوجين على الإنجاب، وخاصة الزوجة وذلك بعد مرور شهرين أو ثلاثة على الزواج بالرغم من السلامة الجسمية لكليهما، إلا أنهما لم يتمكنوا من الإنجاب مما يدفع بهما، وخاصة الزوجة، الى اللجوء الى الطب الرسمي، وأحياناً الطب الشعبي من أجل الكشف المبكر والاطمئنان بأنه لا توجد موانع جسمية أو روحية تمنع الحمل.

ثانيا : تعريف المعتقدات الشعبية:

إن تعريف الثقافة الشعبية يقتضي تفكيكه لشقين: شق متعلق بالمعتقدات، والثاني بلفظ "الشعبية" فمفهوم المعتقدات الشعبية يصعب تحديده بدقة؛ فكلّمة "معتقد" مرتبطة بالإعتقاد، وهي تعني كل ما يقبل بفعل إيماني يمكن إعتبارها إعتقاداً، وأما إذا أصبح قابلاً للتحقيق و الملاحظة الإمبريقية فإنه يصبح معرفة. وهما يختلفان كلياً فالإعتقاد واللاوعي تولده بعض الأسباب المستقلة عن إرادة الفرد، عكس المعرفة³.

¹/ محمود السيد أبو النبيل، الامراض السيکوسوماتية، دار النهضة العربية، بيروت، 1994ن ط2، ص322.

²/ منظمة الصحة العالمية، التقرير الصادر عن منظمة الصحة العالمية في 15 سبتمبر 2020.

³/ غوستاف لوبون، الاراء و المعتقدات نشوؤها وتطورها، تر: نبيل أبو صعب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2014، ص23.

حيث أن معظم الناس يكتسبون معتقداتهم سواء كانت إمبريقية أو ماهي غيبة أو ماورائية على أساس الثقة في الآخرين¹.

والمعتقد هو القوة المحركة و الموجهة للسلوك الإنساني، فرداً أو مجتمعاً، سواء كانت هذه العقيدة أعرافاً أو قواعد سلوكية متعارف عليها في المجتمع، أو كانت معتقدات و ممارسات دينية يعتنقها أو يعتقد بها أفراد المجتمع².

و العقيدة الدينية ترتبط بمفهوم المعتقدات الذي يثير الكثير من الغموض وهذا المفهوم الذي ينص على وجود عالم خفي أو عالم غيبي ، قد يكون مرئي وغير مرئي ، حيث يحمل مفهوم المعتقدات جملة من مفاهيم عن قنوات وطقوس يمنحها الأفراد لأنفسهم لتحقيق الخلاص وللبحث عن السكينة و البحث عن الراحة³.

2/ التعريف الإجرائي للمعتقدات الشعبية: هي كل ما يؤمن به مجتمع أو الفرد فيما يتعلق بالعالم الخارجي والامور الغيبية ويتم الإيمان بصحتها حتى وإن لم يكن لها تفسيراً أو إثبات علمي والمعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة تتدخل في جميع جوانب الحياة مثل: الاعتقاد في العين الشريرة، السحر، الزواج، الولادة، أو الموت أو طقوس معينة لجلب الحظ أو دفع الشر، فالمعتقدات الشعبية توفر نوع من الراحة النفسية للأفراد.

¹ / مان ميشيل، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص600.

² / عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار اسامة للنشر و التوزيع، الاردان، 2010، ص344.

³ / فيليب لابورت تولرا وجان بيار فارنييه، إثنولوجيا انثروبولوجيا، ت: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، لبنان، 2004، ص169.

ثالثا: تعريف الطب الشعبي:

عرّف الطب الشعبي بأنه جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من ممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته بصرف النظر عن النسق الرسمي للطب العلمي أو الحديث حيث أن الطب الشعبي له قواعده وأسسها كما للطب الحديث¹.

و تُعرّفه منظمة الصحة العالمية على أنه مصطلح شمولي يستخدم للدلالة على أنظمة الطب الشعبي كالطب الصيني والعربي واليوناني...إلخ، كما يمكن إستخدام بعض الأعشاب الطبية أو أجزاء الحيوانات أو بعض المعادن، في المعالجة، و بعض الممارسات العلاجية الشعبية وبالإضافة إلى العلاج اليدوي، التدليك، و العلاج الروحاني².

فالطب الشعبي هو مجموعة من الممارسات العلاجية الطبية التي كانت تستخدم منذ القدم من أجل معالجة الأمراض وطبعا فإن هذه الممارسات أثبتت صحتها ونجاعتها في العلاج، والجدير بالذكر أن الصحة و المرض تحكمها مجموعات من المعتقدات الشعبية التي بدورها تعطي أسبابا للمرض و تفسيرات و تحدد ما هو صحي. وهنا، قد تختلف هذه التفسيرات من ثقافة إلى أخرى وقد تتفق في بعض الأسباب. والعلاج في الطب الشعبي يكون من خلال مجموعة من الأشخاص يعتقدون أنهم يمتلكون القدرة على معالجة الناس.

¹ / سعاد عثمان، نجوى عبد الحميد سواس، فوزي عبد الرحمان، الصحة والمرض وجهة نظر علم الاجتماع والانثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص29.

² / منظمة الصحة العالمية، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب الشعبي، سويسرا، 2005، 2002، ص01.

2/ التعريف الإجرائي للطب الشعبي: هو مجموعة من الطرق والممارسات العلاجية التي تُقدم من خلالها وصفات علاجية. قد تكون هذه الوصفات أدوية عشبية ومواد طبيعية، يشمل العلاج أيضًا العلاج الروحي بالقرآن عن طريق الرقية الشرعية وقراءة القرآن، أو العلاج الروحاني باستخدام الأحجبة والتعاويذ، التي قد تُستخدم فيها الأعشاب والزيوت أحيانًا التي تُؤكل أو تُشرب أو يُغتسل بها وأحيانًا يتم التبخير بها، كما توجد ممارسات جراحية مثل الحجامة والكي. يُستخدم كل نوع من هذه العلاجات حسب الحالة المرضية للمريض، بدءًا من تشخيص مرضه وصولًا إلى إعطائه وصفة خاصة يجب عليه الالتزام بها والإيمان بفعاليتها وقدرتها العلاجية. تُعتبر هذه الممارسات والطرق جزءًا من الثقافة العلاجية الشعبية.

05/ الدراسات السابقة:

تعتبر الدراسات السابقة من المراحل الهامة في البحث، ومن الخطوات التي يعتمد عليها الباحث في بناء رصيده المعرفي حول الموضوع المراد دراسته. فالدراسات السابقة من أهم الركائز العلمية التي يُعتمد عليها بعد تحديد واختيار مشكلة البحث بحيث تشكّل أساساً نظرياً ومنهجياً للإنتلاق في الدراسة. وعليه، تضمّنت الخطوة التالية الإطلاع على الدراسات المتعلقة بموضوع الأطروحة، والهدف من توظيف أو ذكر الدراسات السابقة هو التعريف بكافة أو بعض الدراسات التي سبق إجراؤها في موضوع البحث مع عرضها بطريقة منطقية .

كما أن الإطلاع على الدراسات المنشورة حول هذا الموضوع أو جزء منه يزود الباحث بالسياق الذي يضع داخله الموضوع المدروس، كما تمكنه من البناء القاعدي النظري لموضوع دراسته.

الدراسة الأولى بعنوان: التصورات الإجتماعية للعقم لدى سكان بلدية الفيض وهي إحدى دوائر ولاية بسكرة للطالب بن خليفة محمد، وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المرضي الإجتماعي للسنة الجامعية 2007/2008،

وعن خطة الدراسة: فقد تضمنت المذكرة سبعة فصول، تطرق فيها الباحث في الفصل الأول لموضوع الدراسة، وتناول في الفصل الثاني مفهوم التصورات الإجتماعية. وعن الفصلين الثالث والرابع على التوالي، فقد تطرق فيهما الباحث للحديث عن العقم عند الجنسين من حيث أسبابه وطرق علاجه، وتصور المجتمع الجزائري للعقم والإنجاب. وبالنسبة للفصل الخامس، فقد خُصص للإجراءات المنهجية، مع عرض النتائج في الفصل السادس، أما الفصل السابع فقد تضمن تفسير ومناقشة النتائج.

الدراسة الثانية بعنوان: أشكال الطب الشعبي بمنطقة الزيبان بسكرة، للطالب بوغديري كمال، وهي مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع جامعة خنشلة لسنة 2009.

وعن خطة الدراسة: لقد تضمنت الدراسة خمس فصول، تناول الفصل الأول الإطار المنهجي والمفاهيمي لدراسة، ليشمل الفصل الثاني إتجاهات التنظير للطب الشعبي والأنثروبولوجيا الطبية، أما الفصل الثالث فكان حول الثقافة الصحة والمرض، وفي الفصل الرابع تعرض الباحث للطب الشعبي من حيث المفهوم والممارسات، ليتضمن الفصل الخامس أشكال الطب الشعبي في منطقة الزيبان.

كما إعتمدنا على دراسة إدموند دوتية، التي كانت بعنوان السحر و الدين في إفريقيا الشمالية، والذي ترجمه فريد الزاهي. وقد إحتوت هذه الدراسة على 12 فصلا كلها مخصصة للمعتقدات الشعبية من سحر وكهانة وعرافة وطلاسم وقوى مقدسة وتضحية في المغرب والجزائر ودول شمال إفريقيا. ركزت هذه الدراسة الأنثروبولوجية على هذه الممارسات بالوصف و التحليل و التفسير، ولقد حولنا الإستفادة من المادة النظرية ومن البعد التاريخي لهذا الدراسة.

وأیضا إعتمدنا على دراسة عبد الغني منديب، بعنوان الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، والتي تضمنت خمسة فصول تحدث فيها عن الكثير من المعتقدات الشعبية السائدة في مناطق من المغرب الأقصى والتي تطرقنا إليه في دراستنا كما إستفدنا من جابن دراسته للمعتقدات الشعبية خاصة في الجانب النظري.

5/1 تعقيب الدراسات السابقة:

تأتي هذه الدراسة مواصلة للبحوث التي قدمت في هذا الميدان و التي إستقдна منها سواء في الجانب الميداني أو النظري، وفي إعطائنا نظرة عامة عن الطب الشعبي والمعتقدات الشعبية، حيث أثرت الدراسات السابقة الكم المعرفي لدينا حول الممارسات العلاجية بصفة عامة. ورغم ذلك، فهي تختلف عن دراستنا في عدة نقاط نذكر منها:

- تناولت معظم الدراسات السابقة جانب الطب الطبي الشعبي دون ربطه مع مرض معين كما في دراستنا، حيث ركزنا على أهم الممارسات العلاجية للعقم سواء عند النساء أو الرجال.
- تناولت معظم الدراسات ممارسة الطب الشعبي من طرف المعالجين الشعبيين، على عكس دراستنا التي تتناول ممارسات الطب الشعبي عند المعالجين عند المرضى. وخاصة مع التطور الإعلامي و التكنولوجي، أصبح بالإمكان تجريب وصفات للعلاج الشعبي من مختلف الدول العربية وغير العربية خصوصاً مع كثرة البرامج التي تتناول موضوع العقم أو الصفحات عبر وسائل التواصل الإجتماعي. كما تطرقنا إلى أسباب العقم و الدوافع الأساسية للإقبال على العلاجات الشعبية من كلا الطرفين.
- لقد تناولت الدراسات السابقة العقم من الجانب النفسي لا الجانب الأنثروبولوجي.
- إن التساؤلات و الفرضيات وحتى المتغيرات التي تتناولها الدراسات السابقة لا تتفق كثيراً مع دراستنا.

06/ مناهج وتقنيات جمع وتحليل المعلومات:

يمر إجراء البحث العلمي عموماً، و البحوث الاجتماعية خصوصاً، بعدة مراحل، كل منها يتضمن خطوات أساسية تساهم في إتمام الدراسة وهي :

المرحلة التحضيرية أو مرحلة الدراسات الاستطلاعية: هي بمثابة نقطة البداية لإستكمال البحث الميداني. في المرحلة الأولى للتخطيط و الإعداد للبحث، تعد هذه المرحلة من أهم خطوات إجراء البحوث العلمية؛ حيث يجد الباحث نفسه أمام كم كبير من الموضوعات المتنوعة و المتعددة، ولا بد عليه من تحديد موضوع معين لإجراء بحثه، ثم بناء مشكلة البحث التي سيتم في إطارها جمع البيانات وإستكمال الخطوات المنهجية الأخرى. إن ميدان دراستنا جديد لم يتناوله الباحثون بكثرة من قبل ، لذا قمنا بدراسة استطلاعية تهدف إلى استطلاع الظروف المحيطة بالظاهرة، وقد تمت هذه الدراسة في مدينة تبسة وفي مناطق متفرقة منها حسب مكان إقامة المبحوثين.

يعد الجمع الببليوغرافي و التوصل لمستوى معين من القراءات وبعد صياغة التساؤلات الرئيسية لدراستنا، قمنا بالعمل الاستطلاعي الذي هدفنا من خلاله الى جس نبض مجتمع بحثنا من خلال إجراء مقابلات استكشافية مع مبحوثات لهن فترة علاج؛ حيث أن لديهن اطلاعاً جيداً وواسعاً بطرق العلاج. والأمر الذي ساعدني، كما سبق ذكره أنني على علاقة مباشرة بحالات كن يعانين من تأخر الإنجاب. ومما تجدر الإشارة له وهو أمر مهم جداً، أن كوننا نعرف حالات أو أننا من مجتمع البحث، فهذا لايعني إلغاء العمل الاستطلاعي، و لا يعني إلمامنا وفهمنا لمجتمع البحث إلابعدما قمنا بهذه الدراسة، خاصة أن موضوع الإنجاب حساس لدى المرأة، ومنهن من تتقبل الحديث عنه وأخرى ترفض الحديث. لذلك أجرينا الدراسة الاستطلاعية نظراً لضرورتها المنهجية والمعرفية.

المرحلة الثانية:

الدراسة الميدانية

يمثل النزول للميدان أصعب مرحلة في البحث الأنثروبولوجي. ونجاح البحث في إنشاء واستقصاء المعلومات مرتبط بقدرة البحث بدخوله و التأقلمه مع الميدان و أفراد المجتمع المدروس من أجل الحصول على المعلومات الصحيحة¹. فلا بد على الباحث أن يقيم ويصبح جزء من مجتمع البحث لمدة معينة، بحيث يستطيع أن يعاين ويلاحظ نمط عيش المبحوثين أو بعضا من ممارساتهم و الطقوس الخاصة بهم في مختلف مراحل حياتهم أو مراحل السنة، مثل: الزواج، الولادة، الموت، و الإحتفالات الدينية أو السنوية ... إلخ لهذا فإن المدة التي يقضيها الباحث تساعده على ملاحظة كل ما يتعلق بموضوع بحثه عن قرب، خاصة إذا كان الميدان جديد على الباحث فأول عمل له هو المرحلة الإشتكشافية للمبحوثين ولا بد من الحذر و الإنتباه²

وفي الفترة التي تمت فيها الدراسة الميدانية، تم إجراء مقابلات تجريبية على مبحوثين، و الهدف منها هو ملاحظة مامدى صلاحية الأسئلة وكيف تم التجاوب معها من طرف المبحوثين، وكذلك مدى ملائمتها لأغراض بحثنا. هذا ما مكننا من معرفة بعض نقائص المقابلة فحاولنا تصحيحها وتعديلها.

وفي الفترة الممتدة ما بين 01 مارس 2024 إلى غاية ماي من نفس السنة، تم إجراء المقابلات مع 20 امرأة تأخر لديها الإنجاب، مع الملاحظة أن هناك من لم يسمحوا لنا بالتكلم معهن. وبعدما قمنا بإجراء المقابلات مع معالجين شعبيين من سكان مدينة تبسة.

¹ / جيامبيتور وجوبو، لإجراء البحث الاتوغرافي، تر: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، ط1، مصر، 2014، ص249.

² /Jean Claude Combessie:La méthde en sociologie, la dicouverte, 5émeédition, Paris, 1996, pages, 13,14

المرحلة الأخيرة قمنا بإستخلاص النتائج .

المناهج التي تم الاستعانة بها

إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج الذي يجب إتباعه؛ لأن كل دراسة لها منهج يخدمها أكثر من غيره، وفي نفس الوقت قد تجمع في ظلها كل المناهج، وهذا وفقاً لمبدأ المرونة المنهجية الذي لا يعتمد على منهج واحد في دراسة، وعلى هذا الأساس، لم تعتمد الدراسة الراهنة على منهج واحد بل إعتمدت على التكامل المنهجي، وهذا ما تدعو له طبيعة البحث في تكامل المناهج وتساند العلوم، التي تفرض على الباحث الإستفادة من مناهج البحث المختلفة في فهم الظاهرة المدروسة. ومما لاشك فيه أن المنهج الملائم للبحث هنا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع البحث، ومن جهة أخرى قد اقتضت طبيعة الدراسة إستخدام أكثر من منهج.

من خلال هذه الدراسة نسعي لمعرفة طرق علاج العقم بالطرق الشعبية لدى أفراد المجتمع التبسي، حيث استخدمنا المناهج التي تسمح لنا بالوصول إلى المعلومات وهي: المنهج الوصفي، والإتجاه التاريخي، والمقابلة المعمقة من خلال التسجيل الصوتي و التصوير الفوتوغرافي كواسطة بين الباحث والعينة.

حيث تتطلب الدراسات الأنثروبولوجية تنوعاً في المناهج، منها ما هو مشترك مع بعض الفروع و التخصصات الأخرى، ومنها ما هو خاص بعلم الأنثروبولوجيا، وباعتبار أن منهجية البحث قائمة على المنهج الكيفي ومستندة على البحث الإثنوغرافي الذي يلزم علينا ضرورة إستخدامه في أدوات البحث الأنثروبولوجي.

تعددت تعريفات المنهج في أدبيات البحث العلمي وإختلفت وجهات نظر الباحثين نحوها، ولعل أكثر التعريفات شمولاً وبساطة هو الذي يرى أن المنهج: هو الوسيلة التي يتبعها الباحث عند دراسته لمشكلة ما لاكتشاف الحقيقة، وللإجابة عن التساؤلات والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث، أو هو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى حقائق و طرق إكتشافها¹.

كما يُعرّف المنهج اصطلاحاً على أنه: الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة التي تهيم على سير العقل و تحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة². حتى تصل أي دراسة علمية إلى تحقيق أهدافها، من الضروري أن تتبع منهجا يتلاءم وإشكالية الدراسة وتساؤلاتها. وعليه، نشير في هذا الصدد أن دراستنا الحالية تندرج ضمن الدراسات الوصفية. فالمنهج الوصفي هو المناسب لهذه الدراسة، و يُعرّف على أنه " يُستخدم في دراسة الظروف أو الظواهر أو المواقف أو العلاقات، كما هي موجودة في الواقع دون أي تدخل من الباحث. وبعدها يقوم بعملية وصف دقيق للمعطيات ومن ثم تحليلها"³.

من المعروف أن المنهج الوصفي من أكثر مناهج البحث ملائمة في العلوم الإجتماعية و الأنثروبولوجية خاصة، فمن خلاله يستطيع الباحث التعمق و التعرف أكثر على الظاهرة المراد دراستها

¹/ شفيق محمد، البحث العلمي و الخطوات المنهجية لاعداد البحوث الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1993، ص86.

²/ عبد الرحمن البدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص05.

³/ منسي محمود عبد الحليم، مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية و النفسية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2000، ص200.

و فهم جوانبها بشكل أفضل ؛ لأنه يساعد على فحص مختلف العوامل المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة وفي وظائفها كما هي موجودة في الواقع من أجل تحليلها وتفسيرها بشكل علمي منظم¹.

يجب على الباحث إختيار منهج ؛ لأن أي دراسة ميدانية تحتاج إلى منهج يتقيد به الباحث من أجل استقصاء الحقائق و المعلومات الصحيحة. و بطبيعة الحال، فإن الدراسة هي التي تحدد المنهج المناسب. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، وذلك من منطلق معرفة طرق العلاج الشعبية للعقم، ومنها البحث عن الأسباب التي تعزز من لجوء الأزواج لعلاج العقم بالطب الشعبي، والأسباب التي تشجعهم على اللجوء للمعالجين الشعبيين، فضلاً عن البحث عن أسباب العقم غير المرضي ولم يوجد له سبب علمي، وعلى هذا الأساس استندت في هذه الدراسة بناءاً على المنهج الوصفي أدوات لجمع البيانات تتناسب وطبيعة الدراسة، وهي المقابلة وكذا الملاحظة بدون مشاركة.

6/1 أدوات جمع البيانات

إن طبيعة الدراسة تتطلب تعدد الأدوات التي تم استخدامها في جمع المعلومات. وعلى هذا الأساس، فقد إعتمدنا في جمعنا للمعلومات على أداتي المقابلة و الملاحظة، كتالي:

المقابلة: وتُعرف على أنها "عملية إجتماعية صرفة بين شخصين، أوبين الباحث والمبحوث الذي يُراد جمع المعلومات منه، بعد إجابته على الأسئلة الموجهة إليه من قبل الباحث"².

¹/ ربحي مصطفى العليان، عثمان محمد غنيم: _مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيقي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص42.

²/ أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص128.

إذن فإن المقابلة أحد أهم وسائل جمع المعلومات، وذلك لأنها تتيح للباحث الإلتقاء و الإحتكاك المباشر مع المبحوث ومعرفة الأفكار التي يعتقدها و مجموعة آرائه حول موضوع الدراسة وأيضاً تمكنه من رؤية إنفعالاته و حركاته عند الإجابة، وأيضاً مشاعره و الأحاسيس من خلال الإيماءات و الإشارات التي يراها الباحث على وجه المبحوث، وكذلك من خلال تردد المبحوث في الإجابة على الأسئلة من عدمه.

وعليه، فإنني في الدراسة إعتمدت على المقابلة الموجهة، من خلال طرح الأسئلة على مجموعة من النساء اللواتي تأخرن في الإنجاب، و أيضاً على المعالجين الشعبيين. وقد كان طرح الأسئلة يتم بطريقة تلقائية وبأسلوب الأسئلة المفتوحة لإستداج المبحوث في الإجابة بكل حرية، بل قد يجيب أحياناً على بعض الأسئلة التي لم نسأله عنه. إن وسيلة المقابلة هذه قد بدأ إستخدامها منذ إختياري لهذا الموضوع و البدء في الدراسة؛ حيث كانت لي علاقات مع نساء يعانين من تأخر الإنجاب، وكنت دائماً أسألهن عن طرق العلاج، أو إن كنا في مجموعة فإنه لابد أن يفتح موضوع العلاج وعن المعالجين معروفين، وأيضاً إعطاء أمثلة عن نساء رُزقن بالأولاد بعد العلاج عند المعالج في منطقة. معينة، وأيضاً فإن أهم سؤال هنا هو عن سبب العقم فمن خلال معرفة السبب يحدد طريق العلاج. وأنا، من خلال هذه العملية أو الحوار، استطعت إلى حد ما أن ألم بصلب الموضوع.

ويمثل دليل المقابلة مجالا من مجالات الأسئلة المتعلقة بموضوع معين للبحث. ويتم وضع هذه الأسئلة وفق تنظيم معين ؛ حيث يقترح "وايس" إطاراً موضوعياً لصيغة دليل المقابلة يبدأ بالتفكير في موضوع الدراسة ثم تدوين قائمة بالموضوعات المطلوب معرفتها. وكل موضوع في هذه القائمة يُعتبر

مساراً أو مجالاً للبحث، يريد الباحث تتبعه أثناء إجراء المقابلة، وهو ما يتيح للباحث من وضع أسئلة المقابلة للوصول إلى المعلومات التي تخص كل مجال من مجالات بحثه¹.

بالنسبة لدليل مقابلتنا، فقد ضمنا الصفحة الأولى منه بمعلومات متعلقة بالمؤسسة الأكاديمية التي ننتمي لها، وبالإضافة للمعلومات المتعلقة بالأستاذة المشرفة و بالباحث و عنوان البحث وفي أسفل الصفحة ذكرنا ملاحظة هامة تتعلق بسرية المعلومات الواردة في الدليل.

- الملاحظة:

تعتبر الملاحظة وسيلة سهلة و صعبة في نفس الوقت. ونحن لا نعني بها الملاحظة العادية أو الملاحظة العابرة التي يلاحظها الناس يومياً، وإنما نقصد بها الملاحظة العلمية التي تستند إلى مجموعة من الشروط والضوابط ؛ وذلك لأنها تتطلب الدقة في عملية المراقبة ورصد المعلومات ومعاينة الظاهرة المراد دراستها.

وقد استُخدمت الملاحظة بالمشاركة من خلال حضوري لجلسات مع بعض المعالجين الشعبيين، كالجلسة عند أحد الرقاة في مدينة تبسة، بصفتي إحدى المريضات في حدود ثلاثة مرات؛ حيث كان يزاول العلاج في منزله و بشكل جماعي مع حضور عدد كبير من النساء و الرجال، كل منها في غرفة خاصة ويبدأ بعملية العلاج الجماعي. كما حضرت جلسة علاج أخرى عند معالج يعالج بالأعشاب وبالرقية و بالحجامة، ولكن كانت طريقة العلاج بالرقية تختلف ؛ حيث يطلب هذا المعالج حضور الأسرة أو حضور الولي أو حضور المحرم (الأب، الإبن، الزوج، الأخ...)، كما أنه في حالات العقم يرقى

¹/ شارلين هس-بيير وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، مصر، سنة 1001، ص222.

الزوجة والزوج وكلاهما. وكما حضرت ولاحظت بل ومارست العلاج بالحجامة، وقد بدأت هذه الممارسة منذ اختياري لهذا الموضوع، وهذا بهدف الوقوف عن كثب على فعالية العلاج الشعبي و أيضا من أجل لقاء حالات تُعالج من أجل الإنجاب.

لقد استقذت كثيرا من الملاحظة التي اعتمدت فيها على المشاركة مع الآخرين في عملية العلاج، وسجلت بذلك ملاحظاتي التي لها علاقة بموضوع الدراسة. غير أنه لم أتمكن من إستعمال جهاز التصوير، ذلك لأن النساء يرفضن ذلك، وهذا راجع للخوف من أسرهن و للعادات السائدة في مجتمعاتنا من أن المرأة لها خصوصية ولا ينبغي تجاوز هذه الخصوصية. بالإضافة إلى معرفتي ببعض الحالات التي تعاني من العقم، وكنت على إطلاع كامل بمراحل العلاج، بداية من الطب الحديث إلى غاية العلاج الشعبي، على مدار سنوات طويلة من العلاج.

لقد وقفت على عدد من الممارسات العلاجية التي حكى لنا الواقع الذي نعشه ونؤمن به؛ إذ على الرغم من المستوى التعليمي لبعض الأشخاص، إلا أنهم يؤمنون بالثقافة الشعبية، وما أنتجت من علاجات لمختلف الأمراض. وكما رصدت أيضاً طريقة معاملة المعالج للمريض، والتي تمت الاشارة لها في الجانب النظري بوجود صلة ثقة بين الطرفين.

- أدوت تحليل البيانات:

لقد تم الاعتماد أثناء تحليل البيانات و المعلومات التي جمعتها من الميدان أو من المبحوثين على التحليل الكيفي، بما أن الدراسة وصفية تحليلية، وهذا يسمح لنا بالتعليق و المناقشة و التفسير. بالإضافة إلى التحليل الكمي حيث إستخدمنا جداول إحصائية في التحليل و التفسير.

6/2 العينة و كيفية إختيارها:

يخضع اختيار عينة أي دراسة إلى عدة إجراءات دقيقة وصعبة من أجل الوصول إلى عينة ممثلة للبحث و مشكلته، خاصة أن صحة نتائج الدراسة تتوقف على الإختيار الصحيح و الدقيق للعينة التي يجب أن تكون ممثلة لمجتمع البحث في كل مزاياه. وفي بحثنا هذا، سنعتمد العينة العمدية أو القصدية، لكون مجتمع الدراسة غير محدد، أي أن المعالجين الشعبيين وكذا المترددين عليهم ممن يعالجن العقم غير مسجلين إحصائيا في سجلات وزارة الصحة والسكان، فمن خلال معرفتنا ببعض حالات العقم والمعالجين الذين بدورهم قادونا للبعض الآخر من المعالجين و العقيمات.

فطبيعة موضوعنا فرضت علينا إختيار مفرداتها، وهذا الاختيار يكون مبني على أساس تقدير وحكم الباحث، بحيث أن الحالات التي يختارها قد تفي بغرض البحث. لذلك، يُطلق على هذه النماذج العينة غير الإحتمالية أو العمدية ؛ لأن الباحث يقصد أو يعتمد إختيار مفردات البحث¹.

وهذا ماوضحه "موريس أنجيه" في تعريفه للعينة القصدية، حيث يقول: "أنها عينات غير إحتمالية تحتوي على دقة في إنتقاء العناصر، بحيث أنه يعتبر مفردات لها نفس الخاصية أو تكون لها عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر².

وهذا النوع من العينات يكون غير تمثيلي وإختياره بطريقة لاتعطي جميع وحدات السكان أو مجتمع البحث فرصة متساوية³، فطبقا لهذا، فإن إختيار نوع معين من أنواع العينات يكون وفقا للشروط وأساليب

¹ / طلعت إبراهيم لطفي، أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1995، ص69.

² /Angers Maurice, Initiation pratique a la Méthodologie des sciences, Casbah université, Alger, 1997, P P226, 237.

³ / إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص52.

منهجية يحددها البحث، وذلك تماشياً مع الإمكانيات المادية والزمنية وحتى طبيعة الموضوع وصعوبته
تحدد مجتمع البحث بسبب الجهل الكلي لعدد المرضى، وهذا ما فرض علينا إختيار نوع مناسب من
أنواع العينات التي إستخدمناها من أجل التكيف مع طبيعة مجتمع البحث.

وفي هذا الصدد، تقول 'شارلين هسبي': 'لابد على الباحث عند إختياره للبحث أو موضوع الدراسة للبحث فيه يجد نفسه أمام التساؤل المتعلق بالمقاربة التي سيعتمدها و إلى ما يتناسب مع طبيعة و مضمون البحث'¹.

بالنسبة للمقاربة التي إعتدناها في دراستنا هي المدخل البنائي الوظيفي بإعتباره الإطار الفكري و المقاربة الرئيسية التي تنطلق منها دراستنا؛ لأنها الأنسب له، فالمجتمع يمثل بناءً متكاملًا ومتناسكًا يشمل جملة من الأنساق الإجتماعية التي تتضمن مجموعة من النظم و الأنساق الإجتماعية، حيث يؤدي كل نسق وظيفة تتكامل و تتساند مع باقي الأنساق الأخرى، أي أن هناك تداخلًا بين مكونات البناء الإجتماعي. لكن الجدير بالذكر أن المقاربة البنائية الوظيفية لن تتفرد بهذه الدراسة؛ لأن طبيعة بعض العناصر في موضوعنا تحتاج لطرق أخرى في المعالجة المنهجية و التفسير، لذلك استعنا بمقاربة الفهم والمقاربة التأويلية إلى جانب المقاربة البنائية الوظيفية التي لازمت عملنا من بدايته نهائية. حيث ركزنا من خلالها على تحليل المعتقدات الشعبية و الممارسات العلاجية محل الدراسة وفق منظورين، أحدهما البناء والآخر الوظيفة التي يؤديها هذا البناء في إطار النظام العام، هذه البنى تمثل جانبًا من المعتقدات الشعبية المتعلقة بالممارسات العلاجية التي تعتبر محل الدراسة، كالتمايم، حيث تؤدي وظيفة تُحقق نوعًا من الراحة النفسية لحاملتها و تُعطيها الأمل في الشفاء و الإنجاب، بإعتبارها تعويذة مضادة للحسد أو السحر، بالإضافة إلى ذلك، أهنأك بعض الممارسات التي تعتبر غريبة نوعًا ما، كأكل حيوان

¹ / شارلين هس بيبر، باتريشيا لفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2001، ص119.

معين أو جزء منه يساعد في الشفاء. وقد درسنا وفق هذه المقاربة معظم المعتقدات الشعبية المتعلقة بالممارسات العلاجية الشعبية.

إن استخدام هذه المقاربة في موضوعنا يُحينا لإعطاء فكرة عامة عن مفهومها وكيفية تطبيقها من أجل إيصال فكرة واضحة عن علاقتها بموضوعنا وعن كيفية استخدامها فيه كمقاربة رئيسية.

تعود بدايات البنائية الوظيفية كمدرسة للفكر الوضعي الذي يؤرخ له في القرن 19م، حيث ظهر مفهوم البناء أول مرة عند "لايبنتز" LEIBNITZ في الرياضيات وكان ذلك في 1684. وبعدها استخدمه "إميل دور كهايم" سنة 1895م، حيث يرى أن وظيفة النظام الاجتماعي هي التوافق بينه وبين احتياجات الكائن العضوي. أما عن البنائية الوظيفية في الأنثروبولوجيا، فقد كان أول من أعطى تعريفاً لها هو 'برونسلو مالفينوفسكي' وكان ذلك سنة 1926. كما قدم 'راد كليف بروان' مفهوم البناء الاجتماعي، حيث يعتبر هذا الإتجاه في الأنثروبولوجيا طريقة لتفسير الظواهر الثقافية من خلال وظيفتها والطريقة التي تربط بها مع بعضها البعض في إطار النسق الثقافي والاجتماعي الواحد وكيفية إرتباط هذا النسق بالبيئة¹.

ولقد إهتم هذا الإتجاه في الأنثروبولوجيا على التركيز على مدى التشابك والتفاعل بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل وكيف تُحافظ على تماسك المجتمع و إستمرار وحدته وكيانه²، حيث يرى 'هربرت

¹ / إيكه هولكترناس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، مصر، 1972، صص 366، 367.

² / فتحة محمد أبراهيم ومصطفى حمدي لشنواني، مدخل الى مناهج البحث في علم الانسان، الانثروبولوجيا، دارالمريخ للنشر، السعودية، 1988، ص114.

سبنسر' المجتمع على أنه يشبه جسم الإنسان أو ما يُعرف بالمماثلة العضوية، فالوظيفية تعني دراسة الظواهر الثقافية و الإجتماعية من حيث وظيفتها في المجتمع.

كما عرفها 'إميل دوركهايم' على أنها 'علاقة التوافق بين الأنشطة وإحتياجات الكائن العضوي الإجتماعي"، أما البنية فتعني النسيج المكون من مجموعة العلاقات التي تترابط فيما بينها و بين أعضاء المجتمع. وهنا يرى 'راد كليف بروان': أنه من خلال الملاحظة المباشرة يتم الكشف على أن الأفراد يرتبطون معا بشبكة من العلاقات الإجتماعية ، فأى نظام إجتماعي هو عبارة عن مجموعة من أنماط وقواعد السلوك التي تتمثل بمظهر معينة من مظاهر الحياة الإجتماعية، و يكمن دور القواعد في الحفاظ على إستمرار وجود المجتمع ولكن تجرى تعديلات بين الحين والآخر¹.

ويرى 'إيفانز بريشارد' أن البناء مرتبط بضرورة التمييز بين الثقافة و المجتمع بطريقة منهجية، حيث يتم الفصل بين ما هو محسوس وما هو مجرد. ويرى أن على الأنثروبولوجي أن يهتم بتأويل السلوكيات و الأعراف، ولن يفلح في ذلك إلا عن طريق إستخراج التجريدات اللازمة على ضوء ما يهدف له موضوعه².

ويرى 'برونسولومالينوفسكي' أن المنهج البنائي الوظيفي وُضع بغرض وصف وتحليل ثقافة معينة وصلت من خلال نمو تاريخي طويل. والبنى الثقافية ماهي إلا وسيلة لتحقيق وإشباع حاجات معينة، كما يعتبر أن الثقافة تعمل إلى حد كبير في نفس الإتجاه الذي تسلكه الغرائز الطبيعية و تحقق نفس الأهداف و عي إشباع الإحتياجات البشرية على الرغم من إختلاف كل منها.

¹ نفس المرجع، ص 116.

² جمال فزة، المنهجية الانثروبولوجية بين إدوارد فسترمارك وإيفانز بريشارد، دار الامان، المغرب، 2013، ص 107.

ومع تعدد رواد هذا الإتجاه إلا أن أغلبهم يتفق أن الإنطلاق من مبدأ أن الكل يمكن تمثيله بالجزء. فمثلا، الطب الشعبي والممارسات العلاجية جزء من المجتمع وتُعبّر عن النظام أو البناء الإجتماعي، كما أنها ذات طبيعة تكاملية فالجزء يمثل الكل. لذلك ففهم الجزء يساعد في فهم الكل نظرا للترابط و التساند الوظيفي بين الأنساق والأجزاء في البناء ككل¹.

ولهذا فإن المقاربة البنائية الوظيفية لازمت دراستنا، حيث ركزنا من خلالها على الممارسات العلاجية للعقم ضمن ما يُعتقد به في المجتمع، والتي تنظم الممارسات الشعبية للعلاج بالأعشاب أو الممارسات السحرية والممارسات الدينية. حيث يمثل كل واحد منها بناءً اجتماعيًا وثقافيًا يؤدي وظيفة معينة في المجتمع، حيث أن هذه الأخيرة هي أنماط وقواعد للسلوك التي ترتبط بمظاهر معينة من مظاهر الحياة الإجتماعية. الممارسات السحرية قد تُستعمل للتحصين و العلاج من الحسد أو السحر، فهي تعمل على إستمرار الحياة الإجتماعية أو تُدخل عليها تعديلاً، مثل طقوس العبور التي تتم ممارستها أثناء الإنتقال من مرحلة إلى أخرى كالثقاف 'التصفيح' و الزواج في مجتمع الدراسة وفي كل أشكال الحياة الإجتماعية. كما تحافظ المعتقدات، حسب المقاربة الوظيفية على استمرار وجود إجتماعي معين أو إلغاء آخر في المقابل، حيث نرى تمسكاً بالممارسات السحرية على عكس زيارة الأضرحة التي تراجع في الفترة الأخيرة في مجتمع الدراسة.

إن موضوعنا ثري بالكثير من الممارسات والمعتقدات المتعلقة بالصحة والمرض وطرق العلاج. ووفق هذه المقاربة، فإنها تُشكل بُنى وتتضمن بنيات تؤدي وظائف متنوعة ومتعددة. وهذا التنوع في المعتقدات راجع إلى طبيعة مجتمع البحث الثري بالمعتقدات الشعبية التي تحفز الممارسات العلاجية عامة. وعلاج

^{1/} السيد حافظ الاسود، الانثروبولوجيا الرمزية دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 2002، ص55.

العقم خاصة، فمثلاً، على سبيل المثال، من أجل توضيح كيفية إستخدام المقاربة البنائية الوظيفية، 'العزائم' أحد الممارسات العلاجية التي تُصنف في إطار طقسي شفاهي له بنيته الخاصة، بالإضافة إلى البنية المادية التي تتجلى في الإستخدام، وله بنية رمزية يظهر جانب منها في السلطة.

وفي نفس السياق، يقول مالينوفسكي: "أن السحر له وظيفة تعويض النقص"، إذ يرى أن هذا الأخير ماهو إلا رد فعل لشعور الإنسان بالقصور، وقلة حيلة في العالم الخارجي في السيطرة و التحكم فيه، وله وظيفة معرفية و هي سد الثغرات في المعرفة السببية لظواهر الطبيعية¹، وفي هذا الصدد، نستطيع الإشارة إلى العقم مجهول السبب والذي يعجز الطب عن تفسيره بطرق علمية، وهنا نجد وظيفة السحر التي تتجلى في إعطاء تفسير ضمن المعتقدات الشعبية، وأيضاً يتقبله الأفراد ويساعدهم في التخفيف من الشعور بالنقص؛ لأن السحر خارج عن قدرة الإنسان، وهنا يثبت أن الخلل ليس فيه خاصة لدى المرأة العقيم أو الرجل، فهذا يساعد على التخفيف بالشعور بالنقص. كما وجدنا أن بعض المبحوثات تقمن بتعليق تميمة سحرية من أجل الإنجاب، وكما ذكرنا سابقاً أن التميمة لها بنية مادية و رمزية وتؤدي وظيفة تحقيق الراحة و إعطاء الأمل في الشفاء والحماية من السحر، بالإضافة إلى الممارسات العلاجية التي تؤدي فيها طقوس التضحية، وكما نعلم أن التضحية تمثل طقساً دينياً ولكن الإستخدام هنا يكون سحرياً. ولكن طقوس التضحية لها معتقدات شعبية متوارثة وبنية لها كيان مادي وآخر لامادي يظهران من خلال عملية إسالة الدم، حيث يعتبر الدم بنية مادية و لا مادية في نفس الوقت، وأيضاً نستطيع القول أنها بنية رمزية.

¹ / مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي، ط9، لبنان، 2005، ص154.

وكما ذكرنا سابقا أننا قد إعتدنا المقاربة البنائية الوظيفية وأيضا إستخدمنا بالتوازي معها، حسب ضرورة وطبيعة كل مرحلة في بحثنا، مرحلة التحليل التي تفرض علينا إستخدام مقاربة الفهم ل"ماكس فيبر" حيث أنه يعتبر أن أصل الحياة الإجتماعية هو الفعل والنشاط الإنساني الذي يمتلك معنى، وحتى يتم فهمه يجب التعرف على معنى النشاط الإجتماعي والذي عرفه على أنه " السلوك الإنساني ولايهم إن تعلق الأمر بفعل داخلي أو خارجي، بخضوع أو بتسامح، وهذا السلوك الذي يرفقه الفاعل أو الفاعلين بمعنى ذاتي"¹

وبالرجوع الى جزئيات موضوعنا في كل عناصره، نقف أمام حاجة كبيرة لفهم الكثير من هذه الجزئيات والعناصر، هذا الفهم الذي يتحقق مبدئيا من خلال المقاربة البنائية الوظيفية ومقاربة الفهم ل"ماكس فيبر"

¹ /كاترين كوليويتلين، ماكس فيبر و التاريخ، تر: جورج كتورة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، لبنان، 1994، صص، 88، 90.

08/ صعوبات البحث

لا يخلو أي بحث من البحوث الإحتماعية من بعض الصعوبات التي تعرقل سيره. ومن جملة الصعوبات التي وجدها في هذه الدراسة:

- قلة المراجع والمصادر التي تتناول علاج العقم بالطب الشعبي خاصة في الدراسات الأنثروبولوجية. وإن وجدت، تكون دراسات في علم النفس أو في الطب أو الشريعة الإسلامية.

- صعوبة التحكم في جمع المعلومات والبيانات عن العقم، خاصة من طرف المبحوثات، حيث تم إستقبالنا منهن برحابة صدر، ولكن الحماس الذي كان في البداية سرعان ما تحول إلى تراجع في الأقوال بحجة طوال الوقت و نسيان بعض التفاصيل وعدم الدراية بالممارسات الطقسية، أو رفض الإجابة أو تهرب منها، خاصة فيما يمس الممارسات السحرية العلاجية وإعتبارها ضرباً من الشعوذة والسحر. وقد وردت بعض العبارات: 'أنا لا أمارسها'، 'بعيد الشر' أنا لست ساحرة'، 'أنا لا أمارس السحر'، 'أنا لا أذهب عند المشعوذين'؛ هذه هي العبارات عند سؤالهن عن الممارسات السحرية كأحدى طرق العلاج العقم.

- تخوف معظم المعالجين الشعبيين من مقابلتنا، ظناً منهم بأننا سوف نأخذ الوصفات منهم وطرق العلاج التي يستخدمونها ونطبقها.

- عدم الإفصاح عن طرق العلاج بالتدقيق من قبل المعالجين، وإعطائنا فكرة عامة فقط مع إعطاء الأسباب للعقم حسب تفسيراتهم. فقط حيث أن البعض رفض إجراء المقابلة.

- رفض بعض المبحوثات والمعالجين الشعبيين لإستعمال أدوات التصوير أو التسجيل أثناء المقابلة.

- تخوف المبحوثات من إعطائنا المعلومات أو الإجابة عن الأسئلة.

يُعد الإطار المنهجي بمثابة الأساس الذي قامت عليه دراستنا، فهو يوضح الخطوات والأسس العلمية التي اتبعناها. بدأنا بتحديد الدوافع والأهداف من اختيار الموضوع، مبرزين أهميته في سد فجوة معرفية. هذه الأهداف كانت بمثابة نقاط مرجعية وجهتنا في كل مرحلة لضمان القيمة العلمية للعمل.

حرصنا على تحديد المفاهيم الأساسية بدقة لتجنب أي التباس، من ثم، صغنا الإشكالية البحثية الرئيسية، وهي التساؤل المحوري الذي يسعى البحث للإجابة عنه. هذه الإشكالية تفرعت إلى تساؤلات فرعية فصلت جوانبها، مما سمح بتحليل معمق وموجه.

لم تبدأ دراستنا من فراغ، بل اعتمدنا بشكل كبير على الدراسات السابقة ذات الصلة. هذه الدراسات لم تكن مجرد مراجع، بل كانت بمثابة قاعدة معرفية غنية ساعدتنا على فهم التطورات وتحديد الفجوات البحثية. لقد استفدنا منها في بناء الخطة العلمية وتحديد المناهج وتقنيات جمع البيانات. كما تطرقنا إلى تفاصيل تعاملنا مع الميدان، بدءًا من تحديد العينة وتحديات الوصول إليها، مما يعكس مرونة وواقعية تطبيق المنهجيات النظرية ويضمن مصداقية النتائج.

باختصار، يمثل هذا الإطار المنهجي خارطة طريق شاملة تُظهر الأسباب والخطوات والأسس العلمية التي ارتكزت عليها دراستنا، مؤكدين على التكامل بين الجانب النظري والتطبيق الميداني.

الفصل الثاني:

المعتقدات الشعبية والطب الشعبي.

تمهيد.

أولاً: ماهية المعتقدات الشعبية

1/ تعريف المعتقدات الشعبية.

2/ صفات الأساسية للمعتقدات الشعبية.

3/ تأثير المعتقدات الشعبية في التنشئة الاجتماعية.

4/ تأثير المعتقدات الشعبية في الطب.

5/ النظريات المفسرة للمعتقدات الشعبية.

6/ المعتقدات والطقوس.

7/ المعتقدات الشعبية الخاصة بطقوس العبور

8/ الدين والطقوس وعلاقتها بالصحة والمرض.

9/ الصحة والمرض في المعتقدات الشعبية.

ثانياً/ ماهية الطب الشعبي.

1/ نشأة الطب الشعبي.

2/ مفهوم الطب الشعبي.

3/ تعريف الممارسات العلاجية الشعبية.

4/ أنواع الطب الشعبي.

5/ الطب الشعبي وزيارة الأضرحة الأولياء .

6/ أبعاد السوسيو ثقافية للطب الشعبي.

7/ الطبي الشعبي في الدراسات الإجتماعية والأنثربولوجية.

8/ التفسير الإجتماعي للصحة والمرض.

9/ المداخل النظرية للطب الشعبي.

10/ الطب الشعبي في الجزائر.

11/ أليات ممارسة الطب الشعبي في الجزائر.

خلاصة.

تشكل المعتقدات الشعبية رمزاً من رموز الثقافة لأي مجتمع، فهي تعكس ما يؤمن الناس بصحته. هذه المعتقدات عديدة ومتنوعة، ومنها ما يتعلق بمفهوم الصحة والمرض. فالثقافة لها دور في تشكيل الوعي الاجتماعي لهذه القضايا التي يعتبرها الفرد من المسائل الأساسية.

التصورات الاجتماعية لمسألة الصحة والمرض تحمل تفسيرات كثيرة لدى الأفراد داخل الثقافة. فالبعض يفسرها على أنها عقاب إلهي أو نتيجة اختراق للمحرمات والتابوهات. والبعض الآخر يفسرها على أنها تعرض الفرد للمس من قبل الشياطين أو الجن. بينما يرى آخرون أنها بسبب التعرض للسحر. تحكم هذه التصورات والتفسيرات مجموعة من المعتقدات السائدة في المجتمع التي تقدم الأسباب وتحدد كذلك نوع وطريقة العلاج. ولهذا، نجد أن التفسيرات النابعة من هذه المعتقدات غالباً ما تقود إلى العلاج بطرق الطب الشعبي. هذا ما سيتم طرحه في هذا الفصل حول المعتقدات الشعبية وتفسيرها للمرض وكيفية علاجها في الطب الشعبي.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

أولاً: ماهية المعتقدات الشعبية

1/ تعريف المعتقدات الشعبية

1.1/ تعريف المعتقد لغة:

عقد: العقد: نقيض الحل، عقده تعقده، عقدا وتعقاد وعقدة¹.

والعقيدة: جمع عقائد: ما عقد عليه القلب والضمير، وما تدين به الانسان واعتقاده..... والمعتقد: الاعتقاد

أي ما يعتقد الانسان اعتقد الشيء: اشتد وصلب..... والعائدات: الساحرات، المعقد الساحر...².

2.1/ المعتقد اصطلاحاً:

هناك العديد من التعاريف لمصطلح "المعتقد"، ومن أبرزها تعريف "غوستاف لوبون" الذي يرى أن:

المعتقد ينبع من مصدر خارج عن إرادة وعقل الإنسان، على عكس المعرفة. يصفه لوبون بأنه "إيمان

ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على التصديق بفكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافاً".

ووفقاً لتعريفه، "فالعقل غريب عن تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل في تبرير المعتقد إلا بعد أن يتم تكوينه".

بمعنى أن المعتقد يتشكل أولاً في اللاوعي، ثم يأتي دور العقل لتبريره أو قبوله لاحقاً.

يُضيف لوبون أيضاً أن "المعتقد هو كل ما هو من عمل الإيمان" ويُشير إلى نقطة جوهرية " متى

استعان المرء في تحقيق صحة المعتقد بالتأمل والتجربة، لا يظل المعتقد معتقداً بل يصبح معرفة". هذا

¹ / ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، المجلد الثاني، بيروت، ص 835,836.

² / المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، ط48، 2004، ص518,519.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يعني أن التحول من المعتقد إلى المعرفة يحدث عندما يُخضع الإيمان للتفكير النقدي والاختبار التجريبي¹.

أما "إنجلش وإنجلش" فيُعرفانه بأنه "التقبل الوجداني لقضية أو خبر يتحمل الصدق حسب ما يوجد لدى الفرد من أسباب وحجج".

ويوضح هذا التعريف أن الحجج في المعتقدات غالباً ما يصعب فحصها وتشتمل على درجات متفاوتة من اليقين الذاتي؛ أي أنها تختلف في قابليتها للتحقيق.

ما كلمة "الشعبية" فهي مشتقة من كلمة "الشعب"، وقد تكررت هذه الكلمة تقريباً في جميع أمهات اللغة بنفس المعنى².

يشير هذا إلى أن كلمة "الشعبية" تتعلق بكل ما هو شائع أو منتشر بين عامة الناس، أو ما يخص الجمهور الواسع من أفراد المجتمع.

يؤكد التعريف الاصطلاحي للمعتقدات الشعبية، وفقاً للدراسات المتخصصة في علم الفولكلور، التغير الذي طرأ على هذا المصطلح عبر الزمن.

فقديمًا، كانت المعتقدات الشعبية تُسمى "الخرافات" أو "الخرعبلات"، خاصة عند رجال الدين. وذلك لأنها لم تكن تمثل لهم أكثر من مفاهيم وأفكار لا علاقة لها بالدين أو تتعارض معه³.

¹ / غوستاف لوبونن الآراء والمعتقدات، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ص16.

² / ابن المظور، نفس المرجع، 836

³ / محمد الجواهري، الدراسة العلمية لمعتقدات، ج1، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1، 1978، ص 42.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

والمعتقدات الشعبية ليست كباقي الألوان الشعبية الأخرى، بل تُعدّ أصعبها دراسة. ذلك لأنها تتعلق بالمشاعر والأحاسيس العميقة تجاه العوامل والظواهر المؤثرة على النفس الإنسانية، خاصة تلك المرتبطة بالعالم الروحي والفوق طبيعي. المعتقد هو بمثابة قناع كاشف لما يختلج في نفوس الأفراد من إحساس وشعور بالفرح، والخوف، والإيمان، والتطير (التشاؤم أو التفاؤل بناءً على ظواهر معينة)، خصوصًا إذا تعلق الأمر بالعالم الروحي أو ببعض مظاهر الواقع المعيشي¹.

فالمعتقدات الشعبية راسخة في قلوب الناس، تؤثر على نفوسهم وترسم لها مخيالاتهم أشكالًا مختلفة. وهي لا تُلقن من الآخرين بسهولة، بل تتخمر وتتشكل بصعوبة، ويلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعًا خاصًا.

المعتقدات الشعبية لم تكن وليدة الصدفة أو اللحظة، إنما هي حصيلة معارف وتجارب عبر عدد من الأجيال².

إن المعتقدات، سواء كانت شعبية أو رسمية، ليست وليدة حضارة معينة، أو ديانة سماوية أو وضعية، ولا زمان محدد. وهي لا تقتصر على المجتمع البدائي ولا المتطور. إنها عبارة عن أفكار أو أنماط سلوك تم تناقلها عبر الأجيال.

وبمنظور أنثروبولوجي، هي نتاج المراحل الفكرية الأولى للحضارة الإنسانية. هذه الأفكار قبلت بمظاهر مراحل الحياة الجديدة، لكنها لم تقبل بالتخلي نهائيًا عن خصائصها القديمة التي لا يزال يُعامل

¹ / سرير إلهام توظيف التراث في الرواية الجزائرية، دراسة لهجية، تلمسان 2001، ص 53.

² / محمد الجواهري، مرجع سابق، ص 47.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

بها ويُفسر بها، وأحياناً يُدافع عنها. وذلك لأنه، كما ذكرنا، إن المعتقدات أو المعتقد هو الإيمان بشيء معين حتى لو لم يكن له تفسير أو برهان علمي¹.

ومن الخصائص الأساسية المميزة للمعتقدات الشعبية أنها تحوي ما يُسمى بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة، أو ما يُعرف بالأفكار الأساسية².

الأفكار مهمة جداً في حياة الجماعة، وذلك ما أكد عليه إميل دوركهايم بقوله:

"لأن المجتمعات لا تتكون من مجرد مجموعات من الأفراد الذين يحتلون مكاناً معيناً في ظل ظروف مادية، بل إن المجتمع هو قبل كل شيء مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمشاعر المتلونة بواسطة الأفراد"³.

وارتباطها بموضوع الأفكار يمنحها صفة العمومية والعالمية، ويجعل مفهومها متطابقاً عند كثير من فئات المجتمع المختلفة. إلا أن ذلك لا يمنع من وجود اختلاف بسيط، لأن المعتقدات الشعبية موجودة ولكن بدرجات متفاوتة بالطبع في كافة الطبقات وعلى كافة المستويات⁴.

المعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة، ومن أبرزها:

• الاعتقاد بالكائنات العلوية والسفلية: مثل الجن والعفاريت وغيرها.

¹ / شوقي عبد الحاكيم، الفولكلور والاساطير العربية ، دار ابن خلدون، بيروت، ط2198، ص11.

² / محمد الجواهري، مرجع سابق، ص 44.

³ / جديعة لبيهي، المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، 2014/2015، ص149.

⁴ / أحمد الجواهري، مرجع سابق، ص 44.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

• الاعتقادات الخاصة بالتشاؤم والتفاؤل : المرتبطة بأشياء أو أفعال معينة أو حيوانات، كاعتقاد

البعض بجلب بعض الحيوانات للحظ السيئ أو الجيد.

• الاعتقاد بالطب الشعبي :الذي يشمل ممارسات مثل الكي، والعلاج بالأعشاب، واستخدام

المنتجات الحيوانية في الشفاء.

يبقى عالم المعتقدات شاسعاً، لا تحدّه حدود الفكر الإنساني ولا تقيده الممارسات اليومية. كما أن الطقوس

المخصصة له لا تجعل منه فضاءً ضيقاً، بل تُعزز من حضوره وتنوعه في حياة المجتمعات¹.

مكانة المعتقدات الشعبية في المجتمع، إن المعتقدات الشعبية تُعد عنصراً اجتماعياً تختص به

المجتمعات، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة المجتمع والمحيط الاجتماعي الذي تُمارس فيه هذه

المعتقدات.

لذلك، فإن أي معتقد شعبي يستمد عناصره من البيئة والمكان الذي نشأ فيه، ويكون الزمن عاملاً هاماً

في العملية الثقافية التي يتشكل بها المعتقد ويستمر².

فالمعتقد الشعبي مرتبط أساساً بقصة أو أسطورة فرضتها مراكز ثقافية وأصلتها مجموعة من التصورات

في المخيال الاجتماعي. المعتقدات الشعبية إذاً ليست وليدة حضارة معينة أو ديانة أو زمان محدد، بل

هي تراكم فكري عبر المراحل الإنسانية³، لذلك نجد أن ما يختزل طريقنا إلى المعتقد الشعبي في المجتمع

الجزائري هو أننا عايشنا هذا النسق الثقافي والعائدي منذ الطفولة ومن خلال الحياة اليومية. وكما قلنا

^{1/} عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات ... من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص160، 161.

^{2/} بولحبيب حميد، مدخل الى الادب الشعبي (مقاربة أنثربولوجية)، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص07.

^{3/} خشلافي لخطر، مرجع سابق، ص189.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

سابقًا، فإن المعتقد يتوارث بطريقة تلقائية بين الأجيال، لأنه في كثير من الأحيان يُمارس في الحياة اليومية أو في بعض المناسبات والاحتفالات.

وقد حظيت المسائل المتعلقة بدور المعتقدات الشعبية ووظائفها ومحدداتها الاجتماعية باهتمام كبير في علم الاجتماع. فقد ذهب دوركهايم، وفيبر، وباريتو إلى القول بأن المعتقدات تلعب دورًا أساسيًا في الحياة الاجتماعية.

إنّ يمكنها تحديد أهداف الفعل الفردي والجمعي، وتوجيه البحث عن الوسائل بحيث يجري اختيارها بمقتضى المعتقدات. أما القضايا الرئيسية التي أثارها التراث العلمي الاجتماعي في موضوع المعتقدات فإنها تدور حول المواضيع الأساسية الآتية: حساسية المعتقد بالنسبة إلى الواقع، الطابع النظامي النسبي الذي ترتديه المعتقدات، ودور المعتقدات ووظيفتها في تعيين أهداف الفعل الفردي والجمعي، الاجتماعي، الوسائل الأمثل لتحقيق الأهداف، العلاقة بين البنى الاجتماعية والمعتقدات، دور المصالح في تقرير المعتقدات¹.

تستند المعتقدات الشعبية في المجتمع الجزائري إلى طبقتين أركيولوجيتين من الأساطير والخرافات، والتي يمكن تصنيفها جغرافيًا حسب تقسيمات مخبر بحث أنثروبولوجيا المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في الجزائر كما يلي:

¹ / خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة النشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1984، ص195، 196.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

01/ الطبقة اللوبية الفينيقية

تُعد هذه الطبقة الأقدم، ويُحتمل أن تكون بقاياها أقوى في الجنوب الجزائري، خاصة في الجنوب الشرقي (بالتحديد في منطقة تمنراست)، وأقصى الجنوب الغربي (في منطقة بشار وتندوف). يعود ذلك إلى الانعزال النسبي لهاتين المنطقتين عن المناطق الأخرى التي شهدت مزاحمة من المعرفة والتغير الثقافي.

02/ الطبقة العربية الأمازيغية

تُعتبر هذه الطبقة حديثة مقارنة بالطبقة الأولى، وتشغل باقي الأماكن الجغرافية في الجزائر. تتميز هذه الطبقة بكونها الأكثر تمازجًا وتداخلًا بين العناصر البشرية المتعددة والمتنوعة ثقافيًا، خاصة في المناطق الداخلية التي كانت مساحة للاحكاك والامتزاج بين هذين العنصرين (العربي والأمازيغي)¹. ومما ربط ووثق هذه المعتقدات وتناقلها هو الممارسة الطقوسية الجماعية التي تُقام على شرف هذه المعتقدات وتُرسخها في النفوس. من أمثلة ذلك الوعدات والزرادات التي تُقام عادة في منطقة معينة، حيث تقوم مجموعة محددة بالطقوس ويشارك فيها باقي الأفراد، وتدوم لعدة أيام. وتُشارك المعتقدات الشعبية أيضًا في الاحتفالات الأخرى مثل الزواج والختان. وتختلف هذه الاحتفالات بحسب الطبقات المذكورة سابقًا (اللوبية الفينيقية والعربية الأمازيغية) في كيفية الاحتفال والطقوس التي تُؤدى فيها².

¹ / بوزيدة عبد الرحمن وآخرون، قاموس الاساطير الجزائري، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، منشورات CRAT، 2002، ص14.

² / خشلافي لخضر، مرجع سابق، 194.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

2/ صفات الأساسية للمعتقدات الشعبية

2.1/ المعتقد إحتياج نفسي مهيم :

المعتقد هو إحتياج مهيم على طبيعتنا العاطفية. إنه ليس إراديًا أو عقليًا، ولا يستطيع العقل تكوينه أو تسييره. بغض النظر عن عرق وأصل الأفراد والشعوب، أو وقت ظهورهم، أو درجة جهلهم وعلمهم، فإنهم جميعًا يتشاركون في عطشهم إلى المعتقد، فهو بمثابة غذاء نفسي ضروري لحياة الروح، تمامًا كما الغذاء ضروري للجسم.

فالأحاسيس والعواطف مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمعتقد. فإذا سيره الخيال، هنا تكون سلوكياته وأفعاله لا إرادية؛ لأنه لا يفرض وجود دليل أو برهان.

2.2 / عدم التسامح في أمر المعتقدات:

يُعد عدم التسامح إحدى الصفات الثابتة للمعتقدات العامة. وكلما كان المعتقد قويًا، قل تسامله، خاصة فيما يخص المعتقدات الدينية. هذا عدم التسامح لا يقتصر على غير المتعلمين، بل نجده أيضًا عند المتعلمين، بل قد يكون أقوى عندهم. وفي هذا الصدد، قال ميشليه: "أعجب أحيانًا من قسوة المتعلمين الشديدة التي قد لا يأتي بمثلها من هم أقل علمًا وأدنى معرفة."

فالمعتقد هو إيمان لا يتطلب لإثباته أدلة، وكثيرًا ما لا يتحقق بأدلة. ولو قام الإيمان على الدليل العقلي، لكان عدد المعتقدات التي ظهرت على مر الأجيال قليلة، وبراهينها في الغالب صبيانية بالنسبة

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

إلى العقل. ومع ذلك، فليس من خصائص العقل أن يقضي فيها (يُصدر حكمًا نهائيًا) لاشتقاقها من عناصر دينية أو عاطفية¹.

2.3 / إستقلال الرأي بشأن عدم التسامح الإجتماعي:

إذا دُرِس عدم التسامح في أمر المعتقد من الوجهة العقلية وحدها، فإنه يبدو شيئًا ثقيلًا لا يُطاق. أما إذا نُظر إليه من الوجهة العلمية، فإنه لا يكون كذلك؛ لأن الرغبة في الاستقلال الذي يتخلص به المرء من سيطرة المعتقد العام أمر نادر. وغالبًا ما ينتج عن هذه الرغبة الاستبعاد الاجتماعي. في الغالب، لا يشعر الأفراد بسيطرة المعتقد وأنهم بحاجة إلى التحرر منه.

لذلك، فإنه من الصعب إدخال العقل في دراسة المعتقد، عكس إدخاله في الجانب العملي.

2.4 / اشتداد المعتقد:

بين الرأي المؤقت والمعتقد التام الذي يسيطر على العقل وقوة التمييز توجد مراحل. كلما قُطعت هذه المراحل، وحينما نُجتاز في بعض الأدوار النادرة، تشتد اندفاعات المرء الدينية وما توجبه من مشاعر حتى لا يقدر على ردعها أو التخلص منها.

إن الاندفاعات الدينية، ومكانتها بين الآراء غير الدائمة والمعتقد المستمر، تمنحها حضورًا قويًا. فكلما تعمقت هذه الاندفاعات في طريقها، فإنها تُخلق مشاعر قوية، ولا تهاب القوانين وما تنص عليه من عقوبات.

¹ غوتاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، ط1، مصر، 2014، ص176، 180.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

2.5/ ما ينشأ عن المعتقدات من اليقين :

إن المعتقد القوي لديه يقين لا يزعه شيء. ومثل هذا اليقين تشتق أكثر حوادث التاريخ أهمية. فقد أيقن محمد صلى الله عليه وسلم أن الله أمره بالدعوة إلى دين جديد، رغم كل المعتقدات السائدة في وقته، مما غير العالم. فإذا كان المعتقد قويًا، يكون اليقين قويًا أيضًا.

مثال ذلك الاعتقاد بالموت والبعث. هذا الاعتقاد لا يمكن تغييره، بل الإيمان بحقيقة حدوثه موجود عند كل شخص. أو الاعتقاد بالأمور الغيبية والأرواح؛ هي تقريبًا نفسها مع بعض الاختلافات التفسيرية، لكن الاعتقاد واحد وهو وجودها وقدرتها على التأثير في الإنسان، عكس ما يحدث إذا كان الاعتقاد ضعيفًا، فيكون اليقين ضعيفًا¹.

3/ تأثير المعتقدات الشعبية في التنشئة الاجتماعية

تُعرّف التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي. خلال هذه العملية، يتم نقل ثقافة المجتمع إلى الناشئ، فيصبح الطفل يتفاعل على نحو إيجابي مع المجتمع. يفعل ذلك لأن شخصيته قد تشكّلت عبر ما تعلّمه من ثقافة المجتمع وما تحمله من قيم ومعايير².

¹ / غوتاف لوبون، نفس المرجع، 2014، ص176، 180.

² / سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص106.

فالطفل في بداياته الأولى يتعلم من الوالدين مجموعة من القيم والسلوكيات، طبعًا بما يسمح به عمره. ومع مرور الوقت، يبدأ في التعمق والتوسع في تعلم هذه القيم، وتكون سلوكياته وردود أفعاله ضمن نسق هذه القيم التي تتدرج بدورها ضمن النسق الثقافي للمحيط الأسري.

والمعتقدات الشعبية هي العملية التي تنتقل عبر التربية والتثقيف المنوطة بالأسرة من جيل إلى جيل، بطرق متنوعة. بغض النظر عما إذا كانت هذه المعتقدات سلبية أو إيجابية، أو تتفق مع الدين أو تتنافر معه، فإن لها أهمية عند الوالدين في تشكيل وعي أبنائهم، باعتبار أن المعتقدات مماثلة وداعمة لثقافة المجتمع ذاته.

ومن أهم ما يُنقل إلى الطفل مجموعة المعتقدات التي تؤمن بها الأسرة على وجه الخصوص، وتعتقد فيها اعتقادًا قويًا، وتساهم في إشباع احتياجاتهم ولها أهمية في حياتهم. مثل الاعتقاد بالأعمال السحرية، والحسد، والعين، والتشاؤم بالحيوانات أو الأشياء، ولبس التماائم وتعليقها... إلخ¹، من الاعتقادات السائدة في الأوساط الأسرية تلك التي، كما ذكرنا، تكون نابعة من الثقافة المحلية².

وتظهر سلوكيات الطفل في أدواره الاجتماعية، فهو سيصبح فاعلاً ومشاركاً فيما بُث فيه من أفكار وقيم ومعتقدات، بحيث يُؤثر ويتأثر بها داخل محيطه الاجتماعي³.

¹/ سيد أحمد عبد الحكيم خليل، أثر المعتقدات الشعبية في التنشئة الاجتماعية للاطفال، مجلة الثقافة والتنمية، العدد 64، 2013، ص54.

²/ غوتاف لوبون، نفس المرجع، ص181.

³/ المرجع نفسه، ص55.56.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

4/ تأثير المعتقدات الشعبية في الطب:

تأخذ المعتقدات الشعبية جانباً واسعاً في مجال الطب الشعبي، حيث يستعملها الأفراد عندما لا يجدون دواءً شافياً يزيل عنهم الألم في الطب الحديث. فيلجؤون إلى استعمال العلاج الشعبي بطرقه المختلفة من شعوذة وسحر وتعليق التمانم والتبرك¹، يتميز الطبيب الشعبي في كل حضارة عن غيرها. فعند قدماء المصريين، كان لا بد من توفر بعض الشروط في الطبيب، كأن يكون له قوة خارقة، وواسع الحكمة والمعرفة، أو أن يكون على اتصال بالعالم الآخر. كما يجب أن يتمتع بهيبة ووقار ليحظى بالاحترام والتقدير. مكانة الطبيب الشعبي تتطلب إضفاء بعض القدسية عليه ليميز عن الآخرين ويلقى في قلوب الناس حماسة التطب، والنقة، والاطمئنان به وله.

وقد استُخدمت في مهنة الطب الأعشاب التي لها منافع وقدرة على علاج الأمراض. بالإضافة إلى ذلك، شمل الاستخدام الحيوانات أو بعض أعضائها، وكذلك المعادن مثل النحاس والحديد وغيرها، والتي أثبتت نفعها واقعياً².

تكثر في المجتمعات ذات المستوى الثقافي والاقتصادي المتدني الأعمال والعلاجات الشعبية، خاصة في الدول التي تسيطر عليها الثقافة المجتمعية التي تدعو إلى الاستطباب بالطرق الشعبية.

غالباً ما تكون أكثر العلاجات الشعبية انتشاراً هي تلك المتعلقة بالأمراض العقلية، وقضايا الحمل والولادة والعقم، والسحر، والعين، والحسد. ويعود ذلك إلى سيطرة السحرة والمشعوذين على تفكير الأفراد في المجتمع.

¹ عبد الحميد عبد الواحد، معتقدات شعبية في الطب، مجلة التراث الشعبي، العدد 10، العراق، 1980، ص 278.

² جبرة صابر، تاريخ العقاقير والعلاج، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 101، 122.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

ينتشر الطب الشعبي في القرى والبادية أكثر من الحضر والمدينة، وذلك بسبب تباين الثقافات، وخاصة الثقافة الصحية. ويلجأ المرضى إلى الطب الشعبي في علاج:

- الكسور والالتواءات وآلام الظهر.
- لدغات الأفاعي والعقارب والزواحف الأخرى.
- الكي وكاسات الهواء.
- ممارسة الحجامة وعمليات التشريط.
- الوصفات الشعبية بالأعشاب الطبيعية، وخاصة في أمراض المغص والكلى والمعدة والأمراض الجلدية.

إلى جانب الممارسة العملية بإجراء جبائر أو حجامه أو علاج عشبي، هناك العلاج عن طريق السحرة والمشعوذين، ومناجاة الأولياء، وتقديم القرابين لهم من أجل التقرب منهم وطلب المساعدة للشفاء، خاصة فيما يتعلق بالحمل والإنجاب. يمكن تفسير نجاعة الأساليب الشعبية في العلاج هذا بكون العاملين في مجال المعالجة لديهم الخبرة والدراية الطويلة في مجال العلاج الشعبي ويتوارثونها عن أجدادهم، بحيث تنتقل من جيل إلى آخر¹.

¹/ قديري الشيخ علي وآخرون، علم الاجتماع الطبي، مكتبة المجتمع العربي، ط1، الاسكندرية، 2008، ص196، 197.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

5/ النظريات المفسرة للمعتقدات:

كان الدافع وراء دراسة نظم المعتقدات بالنسبة للعلماء هو وجود هذه المعتقدات لدى جميع الشعوب والمجتمعات والثقافات على مر الأزمنة، وعلى اختلاف وتباين أنماطها. هذا مادفع كل من الأنثروبولوجيين، والسوسيولوجيين، والسيكولوجيين إلى تقديم نظريات تحاول تفسير عمومية المعتقدات الشعبية وانتشارها لدى كافة المجتمعات الإنسانية.

وقد خلصوا إلى الآتي:

5.1/ النظريات الإجتماعية:

من أبرز علماء الاجتماع الذين قدموا تفسيراً اجتماعياً للدين هو إميل دوركهايم. يرى دوركهايم أن الدين نظام اجتماعي كغيره من النظم الاجتماعية، فهو استجابة لمتطلبات اجتماعية حياتية.

لقد حدد دوركهايم الدين على أنه "نظام موحد من المعتقدات والممارسات حول أمور مقدسة"، وتكون له أصول ترتكز إلى الواقع. والمجتمع في نظره هو الذي يميز بين الأشياء المقدسة؛ إذ لا يمكن أن يصبح شيء موضوعياً هكذا تلقائياً شيئاً مقدساً، وإنما لا بد أن يكون رمزاً لشيء مقدس قد قدسه المجتمع وليس الفرد وحده.

باختصار، يؤكد دوركهايم على أن الدين ظاهرة اجتماعية بامتياز، تنبع من المجتمع نفسه وتخدم وظائف اجتماعية أساسية للحفاظ على تماسك الجماعة.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يتفق سوانسون مع دوركهايم في أن ظروف المجتمع تنتج عنها استجابات تُطلق عليها "الدين" . ويعتقد أن الاعتقاد في الأرواح ينبع من أنواع معينة من جماعات السيادة في المجتمع. هذه الجماعات تتميز بأن لها سلطة مستقلة وتتخذ قرارات قوية تُمارس على مختلف جوانب الحياة.

ويشمل ذلك أيضًا الجماعات التي يتكون منها المجتمع مثل الأسرة، العشيرة، القرية، والدولة. هذه الجماعات تُحدد سلوك الفرد بدرجة كبيرة. فالفرد يولد في أسرة وجماعة قرابية تنتمي إلى المجتمع ككل، وبالتالي إلى جماعات السيادة. وتعمل الجماعات الاجتماعية على جعل الفرد يسلك ويعمل وفقًا للمعايير الاجتماعية السائدة¹.

يُشير هذا التفسير إلى أن سوانسون، على خطى دوركهايم، يربط نشأة المعتقدات الدينية وهيكل الأرواح أو الآلهة بالهياكل الاجتماعية القائمة في المجتمع، مؤكدًا على أن المجتمع هو المصدر الأساسي لهذه المعتقدات والسلوكيات المنظمة.

5.2 / النظريات النفسية:

ينظر البعض إلى الدين على أنه كليّ وعالمي لأنه يساعد على تخفيف القلق الذي يشعر به الأفراد جراء التأثير بالأشياء المجهولة. حيث يرى مالمينوفسكي أن الدين هو استجابة للقلق والخوف من المجهول الذي يؤثر في شخصية الأفراد.

يركز مالمينوفسكي على الوظيفة النفسية والاجتماعية للدين. فهو يرى أن الإنسان يلجأ إلى الدين والطقوس الدينية عندما يواجه مواقف أو ظواهر خارجة عن سيطرته أو فهمه²، (مثل الكوارث الطبيعية،

¹ / محمد حسن غامري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، ص128.

² / نفس المرجع، ص ص126، 127 .

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

الأمراض المستعصية، أو الموت). في هذه اللحظات من اللاتيقين والخوف، يوفر الدين طمأنينة ويزود الأفراد بإطار لفهم المجهول، مما يساعدهم على التعامل مع القلق والتوتر الناتج عن هذه التحديات

6/ المعتقدات والطقوس:

6.1/ تعريف الطقس

كلمة "طقس" (وجمعها: طقوس) تُشير إلى الطريقة أو الأسلوب. وقد غلب استخدامها لتدل على

الطريقة الدينية، حيث تُصبح بمعنى النظام وترتيب وإقامة الشعائر¹.

استخدامات أخرى لكلمة "طقس".

- في السياق الجغرافي (قطر المحيط): تُطلق كلمة "الطقس" على حالة الهواء مثل طقس مشمس، طقس ممطر .

- في السياق المسيحي (عند النصارى): تُطلق على شعائر الديانة واحتفالاتها، وجمعها "طقوس".²

لقد اختلفت نظرة علم الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى الطقس؛ فمنهم من ربط الطقوس بالدين، ومنهم من يرى أنها عادات اجتماعية سائدة في المجتمع لا تكون بالضرورة ذات علاقة بالدين.

هنا، قام "جلوكمان" بالتمييز بين الشعيرة والطقس:

¹ / المنجد في اللغة والاداب، مرجع سابق، ص468.

² / بطرس البستاني، قطر المحيط، ج 2 ، مكتبة لبنان، دزط، دت، ص1645.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

- عرّف الطقس بأنه: "تنظيم مركب للنشاط الإنساني ليست له طبيعة فنية أو ترويجية بارزة، ويتضمن استخدام السلوك الذي يتسم بقدرته على التعبير عن العلاقات الاجتماعية".
- بينما عرّف الشعيرة بأنها: "تعتمد على بعض الغايات والوسائل الروحية الدينية"¹.
- من خلال هذا التفريق، نجد أنه قد تم التمييز بين الشعيرة والطقس من حيث المضمون:
- الشعيرة: يجب أن تُقام أو تُستخدم في إطار ديني بحت. على سبيل المثال، نقول "شعائر الحج" لأنها ذات مدلول ديني واضح.
- الطقس: هو ممارسات قد تحمل مضموناً دينياً أو لا. فنقول "طقوس الزواج" على الرغم من أن بعضها قد لا يكون له علاقة مباشرة بالدين، بينما البعض الآخر قد يتضمن جوانب دينية.
- بشكل عام، الشعيرة مرتبطة دائماً بالدين، بينما الطقس مفهوم أوسع يمكن أن يشمل ممارسات دينية أو اجتماعية بحتة.
- وفي هذا الصدد، يرى "راد كليف براون" أن "الطقوس عبارة عن حدث رمزي يُعبر عن قيمة اجتماعية مهمة."²، أما "دوركهايم" فيرى بأن "الطقوس هي كفاءات للفعل وهي لا تنشأ إلا وسط فرق مجتمعية"³.
- يؤكد دوركهايم على أن الطقوس ليست مجرد أفكار أو معتقدات، بل هي أفعال منظمة تُمارس جماعياً ضمن سياق اجتماعي. أي أنها تتطلب وجود مجموعة من الأفراد يتفاعلون معاً لتتأصل وتستمر.

¹ شارلوت سيمور شميث، موسوعة علم الانسان، تر: مجموعة من المترجمين، د ط، د ت، ص331.

² دينكل ميشل، مجسم علم الاجتماع، تر: غسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986، ص176،

³ الساسي محمد الضيفاي، ميثولوجيا الهة العرب قبل الاسلام، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014، ص136.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

فالطقوس إذا عبارة عن مجموعة مشاهد تمثيلية أو فعاليات درامية يتم خلالها إيجاد مشاهد خيالية تُجسد الواقع والطبيعة، بمعنى أن الطقس يُعد بديلاً عن حدث حقيقي¹.

يُعرف قاموس الأنثروبولوجيا الطقوس بأنها " : فعاليات وأعمال تقليدية لها في الغالب علاقة بالدين والسحر، ويحدد العرف أسبابها وأغراضها."

ويُوضح القاموس أن الطقوس تكون دائماً مشتقة من حياة الجماعة التي تُمارسها. وكان البدائيون يعتقدون أن أدائها يرضي الآلهة والقوى ما فوق الطبيعية. وتُجرى الطقوس في فعاليات مختلفة مثل الرقص، وتقديم القرابين، ونحر الأضاحي، وأداء الصلوات، وترديد التراتيل² في بعض الأحيان، تكون هناك أوقات معينة لأداء الطقوس، بالإضافة إلى أزياء خاصة بكل طقس. وبعضها يجب أن يؤديه أشخاص معينون لكي ينجح الطقس، ويتم اختيار هؤلاء الأشخاص وفقاً لمجموعة من الشروط والمعايير.

وقد جاء في قاموس الإثنولوجيا والفولكلور أن "الطقوس تُعبر عن مضمون اعتقادي حتى وإن كانت تبدو لا علاقة لها بالدين"³

يعتبر "دوكلاس" أن الطقوس تحل محل الدين في معظم النظريات والكتابات الأنثروبولوجية، طالما أن المقصود بها هو التصرفات الرمزية المتعلقة بالأشياء والكائنات المقدسة للشعوب⁴.

¹ / يوهان كوتسينغا، ديناميكية اللعب، تر: صديق محمد جوهر، هيئة أوبي للتراث، ط1، 2012، ص75.

² / شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص824.

³ / إيكه هواتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، الأمل للطباعة والنشر، 1999، ص263.

⁴ / دينكل ميتشل، المرجع السابق، ص176.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

أما "صاموئيل هنري هوك" فقد قدّم تعريفاً للطقس على أنه: "لا يتألف من الأفعال وحدها، لقد كانت الأفعال تترافق مع الكلمات المحكية، مع التراتيل، ومع التعاويذ التي كانت فعاليتها السحرية جزءاً جوهرياً في الطقس"¹.

يُعرف "السواح" الطقس بأنه: "مجموعة الإجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية"².

من خلال مجموعة التعاريف المقدمة، يتبين أن الطقس عبارة عن مجموعة حركات ترافقها أقوال، يلجأ إليها الأفراد من أجل التواصل مع العالم الغيبي، بغية طلب العون أو لتجنب غضب الأرواح. يمكن تقسيم الطقوس بناءً على تقويم نجمي أو معيار بيولوجي مرتبط بمصير الفرد.

1/ الطقوس الدورية (المرتبطة بالتقويم النجمي/السنة)

نعتمد في هذا القسم على دورة الطقوس بحيث تتوزع هذه الطقوس خلال السنة ويشارك فيها جميع أفراد الجماعة الاجتماعية، مثل طقس المطر الذي يُقام في بداية موسم الزراعة.

2/ الطقوس المرتبطة بدورة حياة الفرد

هذا القسم خاص بالفرد، أي دورة حياته، مثل طقوس الولادة، الزواج، والموت.

¹ صاموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية، تر: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1983، ص10.

² فراس السواح، الاسطورة والمعني، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001، ص129.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

إلى جانب هذه الطقوس الدورية، توجد طقوس تخص مناسبات خاصة لأنها تظهر بصورة غير متوقعة.

هذه الظروف قادرة على التسبب في اللجوء إلى طقوس المناسبات، فقد تكون مرتبطة بـ:

- الحياة الجماعية: مثل الجفاف، الأوبئة، أو الحروب.

- الحياة الفردية: مثل العقم، الأمراض، أو غيرها.

ويمكن تقسيم الطقوس أيضًا حسب معجم "الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا" إلى¹:

يمكن تلخيص تقسيمات الطقوس بشكل عام كما يلي:

- طقوس موسمية: تتوزع على فترات مختلفة من السنة، مثل الطقوس المرتبطة بالمواسم الزراعية

أو تغير الفصول.

- طقوس دورة الحياة: ترتبط بالمراحل الأساسية في حياة الفرد، مثل الولادة، الزواج، والوفاة.

- طقوس مناسبات طارئة: تُقام استجابة لأحداث غير متوقعة، سواء كانت تؤثر على فرد (مثل

المرض أو العقم) أو على جماعة بأكملها (مثل الجفاف أو الحرب).

ولقد أعطى "السواح" تقسيمًا آخر للطقوس تمثل في الآتي²:

أ_ الطقوس السحرية : تُقوم الطقوس السحرية على الإيمان بوجود قوى غيبية تتحكم في جميع مظاهر

الكون. هذه القوى لا تصدر عن إله أو أي كائن روحاني ذي شخصية محددة وإرادة مستقلة وفاعلة، بل

¹ / بيار بونت وميشال إيزار وآخرون، معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا، دار مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2011، ص633.

² / فراس السواح، المرجع نفسه، ص129، 142.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

هي قوة غفلية غير مشخصة. كما أنها قوة حيادية، أي أنها فوق الخير والشر بالمفهوم الأخلاقي المتعارف عليه.

يُعتبر الاعتقاد بوجود قوى سحرية هو أول أشكال الاعتقاد الديني .والطقوس التي نشأت من أجل التعامل مع القوة السحرية هي أول أنواع الطقوس، وتهدف إلى التأثير على القوة الحيادية وتوجيهها لتحقيق غايات معينة.

بـ الطقوس الدينية الروتينية: ونجدها في الصلاة الجماعية وعند تقديم القرابين في المعابد.

جـ الطقوس الدورية الكبرى: وتشمل طقوس الميلاد، الزواج والموت، وكذلك الطقوس المتصلة بأيام وفصول السنة بحيث أنها تتكرر بصفة دورية.

6.2/ العلاقة بين المعتقدات والطقوس:

إذا كان المعتقد حالة ذهنية، فإن الطقس هو مجموعة من الأفعال المترابطة فيما بينها. وإذا كان المعتقد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدسات، فإن الطقس مجموعة من الأفعال المتعلقة بكيفية التعامل مع ذلك العالم. المعتقد لا يمكنه الظهور والاستمرار عبر الأجيال إذا بقي كفكرة مجردة في الأذهان، بل لا بد أن يتجسد من خلال الأفعال والطقوس.

استنادًا إلى ما تقدم، يقول السواح: "إن الطقس ليس فقط نظامًا من الإيماءات التي تُترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، بل هو أيضًا مجموعة من الأسباب والوسائل التي تُعيد خلق الإيمان بشكل دوري."

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

ذلك أن الطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما البعض. فرغم أن الطقس يأتي كنتاج لمعتقد معين ويعمل على خدمته، إلا أن الطقس نفسه سرعان ما يعود ليؤثر على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه، بما له من طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة الذهنية والنفسية للأفراد¹.

7/ المعتقدات الشعبية الخاصة بطقوس العبور:

ظهرت عبارة "طقوس العبور" لأول مرة على لسان "فان جينيب" سنة 1909. وهي تُشير إلى أن مراحل حياة الفرد تتخللها مراحل طقوسية، تبدأ منذ الميلاد والأسبوع الأول والعام وغيرها، وتستمر حتى سن النضوج الذي يترافق مع طقوس الزواج والولادة ووصولاً إلى طقوس الموت.

يرى فان جينيب أن كل مرحلة هامة في حياة الفرد يصاحبها بعض الطقوس التي تمكن الأفراد من الانتقال من وضع إلى آخر. الهدف منها هو "العبور". تُقام شعائر الانتقال في شكل طقوس تتواكب مع كل مرحلة من مراحل الحياة.

وقد حاول "فان جينيب" في كتابه "شعائر المرور" دراسة الأنماط الطقوسية وعلاقتها ببعضها البعض. كما حاول الربط بين كل الأنماط الطقوسية التي تصاحب الانتقال والتحول من مكانة اجتماعية إلى أخرى. وقد حددها أو قسمها إلى ثلاثة أنواع من الطقوس² وهي:

• **طقوس الانفصال:** تمثل الانفصال عن الوضع السابق.

• **طقوس الهامشية:** تمثل الفترة الانتقالية بين الوضعين.

^{1/} فراس السواح ، دين الانسان، دارعلاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 2002، ص54/55.
^{2/} عباس محمود إبراهيم ونخبة من أعضاء هيئة التدريس، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، مصر، 2005، ص، ص345، 348.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

• طقوس الاندماج :تمثل الاندماج في الوضع الجديد.

طقوس الاندماج هي مجموعة من الخطوات والإجراءات التمهيدية التي تتطوي عادةً على مراسيم احتفالية وطقوس شعائرية. هذه الطقوس تنتهي بدخول المرء كعضو فاعل في جماعة ما.

مثال على ذلك طقوس البلوغ، حيث تنتقل الفتاة من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة (المرأة). وتتضمن هذه الطقوس تمتعها بامتيازات محددة، وتشير إلى كونها قد أصبحت عضواً كاملاً في الجماعة¹.

تعتبر طقوس البلوغ للطفل، سواء كان ذكراً أو أنثى، مرحلة وسطى بين الطفولة والبلوغ. وقد احتفل الساميون ببلوغ الصبي من خلال حلق شعره، لأن حلق الشعر يعني انتهاء مرحلة من الحياة ودخول الطفل لمرحلة جديدة، وهي مرحلة الرجولة، المرحلة الهامة التي سيكمل بها حياته الباقية كرجل.

ويُعتبر حلق الشعر من طقوس العبور الدالة على انتزاع الصبي من حصن الأم ووصله بعالم الذكورة. وقد شاع هذا الطقس عند العرب وغيرهم، حيث كانوا يحلقون شعر غلمانهم عند البلوغ.

أما عند عرب مكة، فكانوا عند بلوغ الطفلة يأخذونها إلى دار الندوة، ويتم شق درعها ثم تدريعها به، ثم تُؤخذ إلى أهلها فيحجبونها. والحجب هنا هو فعل رمزي غايته إعلام الجماعة بأن الفتاة قد فارقت طور الصبا لتصبح امرأة. ويقال: "أكبرت المرأة حين حاضت لأنها تدخل مرحلة الكبر بالحيض".

وبذلك، فإن الشق يعتبر من طقوس العبور، شأنه شأن الختان والحلق والعقيقة.

¹ / عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر و التوزيع، ط1، الأردن، 2006، ص، 302.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يذكرنا الشق بطقوس الخصب التي كانت تتمثل في تقديم القرابين ونثر الحب على الأرض. تُعتبر حراثة الأراضي، وهي فعل عنيف، طقساً من طقوس الخصب التي تسبق الزراعة، تماماً مثل الافتضاض والحمل. ومعنى ذلك أن النماء يحتاج للعنف.

ولما كانت المرأة رديفة الأرض، فقد تطلبت هي الأخرى إعداداً يتطابق مع إعداد الأرض، فكان الشق رفقةً مخصبة وفعلاً رمزياً عن موعد فتح الرحم ليصبح وضغاً مهياً للاستهلاك ومستعداً لاستقبال الزرع. وبذلك، تتحول البنت إلى أنثى معطاء¹.

¹/أمال قرامي، ص 327، 328.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

8/ الدين والطقوس وعلاقتها بالصحة والمرض

إن العلاقة بين الدين والصحة والمرض وثيقة جداً. فمن خلال البحث في التاريخ، نرى أن الإنسان كان يدرك هذه العلاقة. فقد كان الإغريق يجسدون نظرتهم إلى الصحة من خلال ممارساتهم الدينية، حيث كانوا يقومون بزيارة الأضرحة.

حتى في بيئتنا العربية والإسلامية، هناك اعتقاد بأن جلب الصحة وطرد المرض يكون في زيارة الأولياء الصالحين، وفق مجموعة من الطقوس في مكان الضريح، مع تقديم القرابين مثل الأضاحي وطبخ الطعام وغيرها. وذلك من أجل التقرب إليهم وطلب الشفاء والعون منهم، خاصة في بعض الحالات مثل المرأة العاقر لترزق بولد، والعانس من أجل الزواج، وغير ذلك.

ونجد أن الدين الإسلامي حث على ضرورة أن يعتني الإنسان بصحته، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: 195 البقرة، إذا تتبعنا نظام حياة المسلم من خلال أوامر القرآن الكريم والسنة النبوية، فإننا نجده كله نظافة وطهارة تتجلى الإنسان من الوقوع في المرض.

من جزئيات نظام حياة المسلم أنه يتوضأ للصلاة خمس مرات في اليوم، وبالتالي فأعضاؤه دائمة النظافة.

أما حول نظام الأكل والشرب، فقد حث الإسلام على التوسط في ذلك، فالمعدة هي مصدر الداء. كما حرمت بعض أنواع من الطعام والمأكولات.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

فيما يتعلق بنظافة الروح والصحة في الجانب المعنوي والروحي والنفسي، فقد حث الإسلام على التأخي، وحب التآزر، والسلامة بين الأفراد. ومن ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم الناس من يده ولسانه" و"تبسمك في وجه أخيك صدقة".

كما رغب الإسلام في الأجر الرباني الكبير لمن اعتنى بتمريض المريض، وزيارته، وعيادته، وتقديم العون إليه. وهناك الطب النبوي الذي يحتوي على كنوز كبيرة مفيدة لتشخيص المرض والعناية بالصحة. أما حول الطقوس، فلكل مجتمع ثقافته الخاصة وطقوسه المتعلقة بجانب الصحة والمرض. وغالبًا ما يقوم الإنسان بهذه الطقوس للحفاظ على الجانب الصحي في حياة الفرد والجماعة¹.

9/ الصحة والمرض في المعتقدات الشعبية

إن للمعتقدات تأثيرًا قويًا في حياة الأفراد بمختلف جوانبها. وإذا تناولنا جانب الصحة والمرض تحديدًا، لوجدنا أنها تؤثر في صياغة تمثيلات الأفراد للصحة والمرض، وكيفيات التشخيص، وطرق العلاج. هناك بعض المعتقدات المنتشرة في مجتمعاتنا والتي لا يزال لها تأثير قوي، منها:

- **العين الشريرة:** الاعتقاد بأنها تسبب إصابة الأفراد بأمراض قد تؤدي بهم إلى حد الوفاة.
- **السحر:** المعتقد الذي يسبب الخمول وعدم السعي للحركة والعمل، وكذلك عدم الإنجاب، والجنون، وقطع الرزق، أو عدم الزواج، وغيرها.

¹/ مختار زحاب، الصحة والمرض وعلاقتها بالنسق الثقافي للمجتمع مقارنة من منظور الانثروبولوجيا الطبية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 15، 2014، ص181.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

هذه المعتقدات تُشكل جزءًا لا يتجزأ من النسيج الثقافي وتؤثر بشكل مباشر على السلوكيات الصحية للأفراد والمجتمعات.

ركز الأنثروبولوجيون على دراسة تأثير المعتقدات على الصحة والمرض وطرق العلاج. وقد نتج عن ذلك العديد من الدراسات في هذا الجانب، نذكر منها دراسة "ريفرز" بعنوان "الطب السحر الديني"، ودراسة "ماكليين" بعنوان "الطب السحري". ولا تزال الدراسات الأنثروبولوجية تبحث في العلاقة بين المعتقدات وتمثيلات الأفراد لمفهوم الصحة¹.

لقد حاول الباحثون الأنثروبولوجيون إجراء العديد من البحوث الميدانية في ضوء مجموعة من المتغيرات، مثل: الطبقة الاجتماعية، الفروق البيئية، الفروق العمرية، والفروق التعليمية. وأظهرت نتائج هذه الأبحاث أن المعتقدات السائدة في الوسط الاجتماعي لها تأثير كبير على تقييم أعراض المرض، وعلى تفسير أسبابه، وبالتالي على نوعية الخدمة المطلوبة سواء كانت رسمية أو شعبية.

وفي حالة فشل الاستشفاء، قد يُفسر فشل العلاج بسبب إتيان المعاصي، أو قطع صلة الأرحام. نجد في بعض المعتقدات أن رفض الرجل للزواج رفضًا قاطعًا يُفسر على أنه مصاب بـ "التابعة". وهي عبارة عن نوع من الجن تسكن الرجل وتتزوج منه وتمنعه من النظر إلى النساء أو الاقتراب منهن. كما يُصاب الرضيع كذلك بنوع آخر يسمى "أم الصبيان"، فيظل الطفل الرضيع يعاني من إصابته، ويكثر من البكاء دائمًا، ويكون عرضة لتغير خلقته البيولوجية.

¹ / علي محمد مكاي، الأنثروبولوجيا الطبية ، ص 61، 62.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

إن للمعتقدات دوراً مزدوجاً حول الصحة والمرض. فقد تعمل على تجنيد العلاج التقليدي والاعتماد على الطقوس الرمزية العلاجية المعتادة.

كمثال على ذلك، تأثير المعتقدات على نظرة سكان البوادي والأرياف للصحة والمرض. فهؤلاء غالباً ما يلجؤون في حالات المرض إلى العلاج التقليدي. فالبدوي، على سبيل المثال، عادة ما يستعمل بعض الأعشاب والسوائل الطبية، وغالباً ما يوفرها في بيته ليستخدمها عند الحاجة. فقد يصاب الفرد بحالة من الإسهال الحاد ولا يذهب إلى الطبيب وإنما يستخدم علاجاً تقليدياً لهذا المرض. وقد يكون الأمر أشد خطورة كأن يصاب الفرد بلسعة الحيات السامة كالعقرب مثلاً ولا يلجأ إلى المصاب الطبيب، وإنما يستخدم علاجاً تقليدياً من خلال الاعتماد على بعض الأعشاب والسوائل، وفي المقابل، قد تعمل المعتقدات على تحفيز الناس للاعتماد على الطب الحديث¹.

¹ / علي محمد مكاي، الانثروبولوجيا الطبية ، ص 61، 62.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

ثانياً_ ماهية الطب الشعبي

1/ نشأة الطب الشعبي:

يرجع تاريخ الطب الشعبي إلى زمن قديم، حيث كانت الطبيعة هي المستودع الأول لكل من الإنسان والحيوان في استغلال مكوناتها العشبية للوقاية من الأمراض وحفظ الصحة. فإذا مرض الفرد، يستطيع أن يجد في الطبيعة الدواء المناسب له، فهي مزودة بكميات كبيرة من الأدوية. ولا شك أنه عن طريق الملاحظة والتجربة والمحاولة والخطأ، تكونت الطبيعة العلمية للطب الشعبي¹.

إن الطب الشعبي لم يكن الطب البديل في بداياته، ولكن مع تطور الزمن ظهر الطب الحديث. ولقد كان الحيز المكاني للطب في المعابد، وكانت مهمة علاج المرضى تقع على عاتق الكهنة، وذلك لاعتقاد الأفراد في المجتمعات البدائية أن الأمراض ناتجة عن غضب الآلهة ومس من الجن والأرواح.

لقد ذكر هيرودوت أن المرضى كانوا يوضعون في الساحات العامة خارج المدن ليتم الاتصال بهم من قبل المارة، بحيث يستفسرون منهم عن شكاوهم. فإذا كان هناك من مر بنفس الحالة أو سمع عنها، يدل أو يرشد المصاب على كيفية العلاج والطرق المتبعة والوسائل طلباً للشفاء.

وكانت هذه البوادر الأولى لانتشار الطب الشعبي على نطاق واسع، ليخرج من حيز المعابد ويشمل الأسواق والبيوت. وهذا ما وُجد في بعض الآثار التاريخية من نقوش في الألواح الطينية التي تؤكد حقيقة

¹/ محمد محمود الجوهري و آخرون، علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة، الأردن، 2009 ، ص 79 .

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

قيام الطب الشعبي في الأسواق، بحيث كانت هناك بعض الممارسات الطبية منتشرة في الأسواق مثل التجبير وعلاج الجروح وتضميدها¹.

وكما وُجدت الدايات (القابلات)، بالإضافة إلى وجود الساحرة والمشعوذين والعطارين المشتغلين في بيع الأعشاب الطبية وبعض الخلطات الطبية. وهم لحد الآن موجودون في وقتنا هذا ويعملون في الأسواق².

لقد لعبت النباتات والأعشاب الطبية والوصفات العلاجية الشعبية دورًا فعالًا في علاج ووقاية البشرية من الأمراض والأوبئة. فقد كان الطب الشعبي هو الوسيلة الوحيدة للعلاج وظل كذلك لفترات زمنية طويلة، حيث تم توريثه من جيل إلى جيل شفويًا.

لا شك أن الطب الشعبي يتضمن بعض الخرافات، ويرجع استمرارها إلى أنها جزء من التراث من ناحية، ومن ناحية أخرى أنها توفر لممارسيها الراحة النفسية والطمأنينة³.

نجد أن المصريين القدامى كانت الرقى والعزائم أساس العلاج، لاعتقادهم أن الأمراض هي تجسيد للغضب الإلهي على الفرد. فلا طريقة للعلاج منها غير التقرب والتوسل للآلهة، ولهذا كانوا يلجؤون إلى الكهنة لتقريبهم منها.

¹ / عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي في الأسواق داسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد 23، 2009، ص125.

² / المرجع نفسه، ص125.

³ / عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي من منظور اطباء الطب الحديث، مجلة دراسات موصلية، العدد 18، 2007، ص18.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

أما الكلدان والبابليون والآشوريون، فقد كان الاعتقاد السائد والمسيطر في تفسير المرض يرتبط بالقوى الغيبية والأرواح الشريرة. وكانت أكثر الطرق المستعملة في العلاج هي الرقى والعزائم، مع استخدام بعض الأعشاب. وقد اعتمد الهنود على السحر والرقى، وقد ذكر ذلك في كتابهم "ريجنيدا" الذي يتحدث عن خصائص الأعشاب التي لها فعالية في الشفاء والعلاج¹.

يزعم الصينيون أنه كان لديهم حدائق لتربية النباتات الطبية قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام، وينسبون إلى الملك هوانج تي كتابًا في الطب ألفه حوالي 2600 قبل الميلاد، وهو موجود لديهم إلى يومنا هذا. وكان الطب موجودًا لدى اليونان قبل أبقراط؛ لأنه هو نفسه ينقل عن مؤلفات سابقة. ولكن أبقراط قد خلّص هذا العلم مما علق به من الشعوذة والمعتقدات المتعلقة بالأرواح. فلولا أن أبقراط اعتمد على الموروث الطبي الذي وجدته، لما قام بما قام به في الطب².

ومنه نستنتج أن المداواة نشأت مع الألم، والألم صاحب الإنسان منذ مهده. بدأ الإنسان في معالجة آلامه منذ بداياته في الغابات. ولذا، لا بد أن يكون أول من مارس الطب هو سيدنا آدم عليه السلام عندما ساعد حواء وهي تضع مولودها الأول.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وخلق معه الداء والدواء، فالدواء إذاً موجود على وجه البسيطة منذ الأزل³.

¹ / بلقاضي محمد، الطب النبوي في الممارسة العلاجية الشعبية - أحواز تلمسان أنموذجاً- مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2013، 2014، ص11، 10.

² / نفس المرجع، ص 11.

³ / عمر وعبد الرحيم سعيد، عالم العطارة، دار الهداية، بيروت، 1991، ص14.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

فالطب الشعبي يضم الممارسات المرتبطة بالطب النباتي أو طب الأعشاب في العلاج، كنتيجة أولية للعلاقة القائمة بين الطبيعة والإنسان، أو بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها. هذه العلاقة تتضمن ردود الأفعال والاستجابات المبكرة لسعي الإنسان في البحث عن علاج لأمراضه عن طريق الأعشاب والنباتات الطبية¹.

2/ مفهوم الطب الشعبي:

2.1 / مفهوم الطب:

2.1.1 / الطب لغة:

الطب هو علاج الجسم والنفس.

يُطلق على الرجل العالم بالطب اسم "طبيب"، ويُقال "متطبب" لمن يتعاطى علم الطب. إذا قيل "إذا كنت ذا طَبِّ لنفسك"، فهذا يعني أن تبدأ أولاً بإصلاح نفسك.

والطَّبِّ، أو الطبيب، يعني الرجل الحاذق الماهر بعلمه. فكل حاذق بعلمه طبيب عند العرب².

2.1.2 / الطب إصطلاحاً:

¹ / محمد رفعت، الموسوعة الصحية للعلاج بالأعشاب قديماً و حديثاً، مؤسسة عز الدين، القاهرة، ص.19

² / ابن المنظور مرجع سابق، ج8، ص112، 111.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

الطب من العلوم البديهيّة التي لا يستغنى عنها البشر، والاختلاف في أمر الطب هو في كيفية العلاج لا في أهميته. ولذلك نجد العرب تداووا بأساليب مجربة كاستعمال الكي والتداوي بالأعشاب وصولاً إلى الاستعانة بالسحر والشعوذة¹.

2.3 / مفهوم الشعبي:

2.3.1 / الشعب لغة:

هو من مادة (ش , ع , ب ,) الشعب :الجمع، والتفريق، والإصلاح، والإفساد والشعب القبيلة العظيمة، وقيل الحي العظيم بتشعب من القبيلة، وقيل هو القبيلة نفسها، والجمع شعوب، والشعب أبو القبائل التي ينتسبون إليه، أي يجمعهم ويعظمهم²، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝۳ ﴾³

كلمة "شعبي" مصدرها "شعب"، وتُستخدم للدلالة على عدة معانٍ:

- الخضوع لنظام اجتماعي: تعني خضوع مجموعة من الناس لنظام اجتماعي معين.
- الصادر من الشعب: تُطلق صفة "شعبي" على ما هو صادر من الشعب أو مُعبّر عن رأيه.
- المنتشر أو المؤلف: تُشير إلى ما هو منتشر بين الشعب، أو خاص به، أو مألوف لديه، أو ما يرضى عنه. مثل: "معتقدات شعبية"، "تقاليد شعبية"، أو "لغة شعبية".

¹/ هنية عوينات، المعتقدات الشعبيّة في الأطفال، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الوادي، 2015، 2014، ص15.

²/ ابن منظور، المرجع السابق ، ص127.

³/ سورة الحجرات الآية 13.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

- **الرائج والخاص بالفولكلور:** كما أنها تُعتبر صفة لما هو رائج عند عامة الشعب، أو ما يلقي منهم قبولاً خاصاً بالفولكلور والعادات الشعبية¹.

2.3/ تعريف الطب الشعبي

تعددت تعريفات الطب الشعبي، ونذكر منها:

هو مجموعة من الممارسات الطبية التي تُمارس من خلال معالجين شعبيين. قد يُشير التعريف أحياناً إلى تحديد الوسائل العلاجية المستخدمة فيه، وإلى المجتمعات والجماعات الثقافية التي يُمارس داخلها. هو مجموع المعارف والمعتقدات والممارسات التي يُمارسها أفراد المجتمع، والتي تتوارث من جيل إلى جيل آخر. هذه المعارف تتحدّر في إطار الثقافة الشعبية.

يُعرف الطب الشعبي أيضاً بأنه مجموعة الممارسات والمعارف والمهارات القائمة على معتقدات وخبرات أصيلة تمتلكها مختلف الثقافات، والتي تُستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها. ويشتمل على مجموعة واسعة من المعالجات التي تختلف من مكان إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى. ويُطلق عليه أيضاً اسم الطب البديل أو التكميلي.

كما يُعرّف الطب الشعبي بأنه مجموعة أساليب وطرق معينة تُستخدم غالباً الأعشاب والنباتات الطبيعية على شكل خلاصات كيميائية، بتأثير بعض المعتقدات والأفكار السائدة في المجتمع.

¹/ المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، لبنان، 2013، ص27.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يعرفه ديرتوفام (Debrttopham) بأن الطب الشعبي هو: "التطبيب من الأمراض والأعراض عن طريق الأعشاب أو الممارسات التقليدية التي أمكن التعرف عليها منذ زمن بواسطة مطبيين محليين أو السائدة في المجتمع¹.

تُعرف منظمة الصحة العالمية الطب الشعبي بأنه مصطلح شمولي يُستعمل للدلالة على أمرين:

1. أنظمة الطب الشعبي المعروفة، مثل الطب الشعبي الصيني، والطب الهندوسي (الأيورفيدا)، والطب الشعبي العربي اليوناني.

2. أو للدلالة على أشكال مختلفة من الطب الشعبي المحلي.

ويمكن أن يُستخدم في هذا النوع من الطب بعض المعالجات الدوائية كالأعشاب الطبية، وبعض الحيوانات أو أجزائها، بالإضافة إلى المعادن. كما يمكن أن يتم العلاج عن طريق التدليك والمعالجة الروحانية².

كما تم تعريف الطب الشعبي بأنه: يتضمن نماذج مختلفة من الممارسات والأساليب والمعارف والمعتقدات التي تعمل من أجل بلوغ الصحة والعافية، وكذلك للمعالجة أو التشخيص أو الوقاية من المرض³.

¹ / خلايفية سلوى، بن فرحات فتيحة، علاج الاطفال بممارسات الطب الشعبي دراسة ميدانية ولاية تبسة، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، 2019، ص 192.

² / منظمة الصحة العالمية، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب الشعبي، سويسرا، 2002_2005، ص1.

³ / نفس المرجع، ص1.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يرى سولبيان أن الطب الشعبي يتعلق بالمعتقدات والتقاليد والممارسات الخرافية حول أمراض الإنسان وكيفية الشفاء منها، بالاعتماد على الأشخاص التقليديين الذين يقومون بالعلاج¹.

يعرف دان يودر (Dan Yoder) الطب الشعبي بأنه جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته، بغض النظر عن النسق الرسمي للطب العلمي أو الحديث.

كما وضع دان أن هناك ثلاثة أنماط من الطب تُمارس على امتداد العالم وهي:

1. الطب البدائي

2. الطب الشعبي

3. الطب الحديث

ويشير إلى أن الطب البدائي والطب الشعبي لديهما نفس النظرة للعالم ونفس العناصر الشائعة كالنباتات والمواد العلاجية والجوانب السحرية، والتي تتجسد أو تُستخدم بحسب النسق الثقافي والاجتماعي².

يعرف ابن خلدون الطب الشعبي على أنه: "مبنٍ في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وقد يصح بعضه." ويُضيف أن العرب قد اشتغلوا به، وكان فيهم أطباء معروفون³.

¹ / الخشاب أحمد، دراسات في علم الاجتماع والانثروبولوجيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1975، ص381.

² / الخولي حسن، الريف والمدينة في المجتمعات العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية القاهرة، مصر، 1982، ص16.

³ / ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، لبنان، ص493.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يُعرّف أحمد زكي بدوي الطب الشعبي بأنه: "مجموع المعتقدات والممارسات المتصلة بعلاج المرض، والتي هي حصيلة الثقافة الشعبية¹.

عرف محمد الجوهري الطب الشعبي على أنه: "عناصر من عناصر المعتقدات الشعبية، وهو يُمارس من قبل أشخاص لديهم خبرة واسعة وغالبًا ما يكونون كبار في السن ولديهم وصفات علاجية لكل الأمراض تقريبًا. كما أن له صلة وثيقة مع عناصر المعتقدات السحرية من حيث أسباب المرض وطرق علاجه، أي التفسيرات الشعبية للمرض².

يعرف الطب الشعبي من حيث أسلوب توارثه بين الأجيال بأنه:

- عتمد بشكل كبير على النقل الشفوي لمعلومات والوصفات تنتقل غالبًا من جيل إلى جيل عن طريق الكلام، على الرغم من أنه قد يتأثر بالمطبوعات مثل الكتيبات والنشرات.
 - نظام غير رسمي يُعد نظامًا غير رسمي نسبيًا في البناء الصحي، بالرغم من أنه قد يتم تدريب المتخصصين فيه في مراكز تدريب مهنية رسمية.
- نظرًا لأن كل خاصية من هذه الخصائص التعريفية تمثل جزءًا من الكل، فمن المنطقي أن تكون بعض هذه الموروثات أكثر أو أقل شعبية من موروثة أخرى.
- يشير تعريف الطب الشعبي، وفقًا لنوعية الممارسات التي تُمارس من خلاله وأنماط المعالجين الشعبيين الذين يمارسونه، إلى أنه:

¹ / بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، دار الكتاب المصري، مصر، ط1، 1986، ص100.

² / الجوهري محمد، انثروبوجيا نظرية وتطبيقات علمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990، ص521، 520.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

- ممارسات طبية شعبية خاصة بأعضاء جماعة عرقية معينة، مثل الطب الشعبي الصيني أو الطب الشعبي المكسيكي الأمريكي.
- يُمارس بواسطة ممارسين طبيين من خارج المؤسسات الطبية الرسمية¹.

3/ تعريف الممارسة العلاجية الشعبية:

يُقصد بالممارسات العلاجية الشعبية مجموعة من السلوكيات والأفعال التي يقوم بها أشخاص ذوو خبرة وتجربة فيما يخص المرض وكيفية العلاج، بالإضافة إلى معرفة واسعة نوعًا ما بالأعشاب الطبية . وذلك بهدف الحد من المرض أو التخفيف منه. يكتسب هؤلاء الأفراد هذه المهارات من ثقافتهم ومن خلال مجموعات العادات والتقاليد التي تتوارثها، وذلك لأن الممارسات العلاجية الشعبية لها طرق خاصة لممارستها².

تُعرّف المنظمة العالمية للصحة الممارسات العلاجية التقليدية بأنها: "المجموعة الكلية للمعارف والكفاءات والممارسات التي تعتمد على نظريات ومعتقدات وتجارب خاصة بثقافة مجتمع ما، والتي تستخدم للحفاظ على صحة الناس ومن أجل الوقاية من الأمراض وتشخيصها ومعالجتها بالنسبة للمرضى الذين يعانون من أمراض نفسية وجسدية".

¹/ أليس إسكندر بشاي، الاتجاهات الحديثة في دراسة الطب الشعبي التقليدي، ترجمة محمود الجوهري و زملائه، دار المسيرة، عمان، 2009، ص 40.

²/ يوسف بلقاسي، الممارسات العلاجية الشعبية بمنطقة دكالة المغرب دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، المجلد 3، العدد9، ص54،55.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

ومنه، فالممارسات العلاجية الشعبية عبارة عن سلوكيات وممارسات يقوم بها أفراد من المجتمع اكتسبوا تجربة أو خبرة في علاج الأمراض. وتكون هذه الممارسات العلاجية مستوحاة من ثقافة المجتمع، وتسعى للحفاظ على صحة الأفراد والوقاية من الأمراض.

العلاج الشعبي: العلاج الشعبي هو علاج موروث عن السلف في جميع خصائصه، سواء العلمية منها أو الخرافية. فهو بمثابة مجموعة من المعتقدات الشعبية والممارسات العلاجية الطبية التي استُعملت منذ الأزل لعلاج الأمراض بواسطة مجموعة من الأفراد ممن يُعتقد أنهم يملكون الخبرة والقدرة على مداواة الناس.

يحتوي العلاج الشعبي على مجموعة من الأساليب والطرق التي تسعى إلى تحقيق الراحة العضوية والنفسية للمريض. وقد ذكر لوفلين (Laughlin) أن العلاج الشعبي يضم كلاً من الأساليب السحرية الدينية من جهة، والأساليب الكيميائية الآلية من جهة ثانية. إن نجاح الجماعات الإنسانية لا يكون بالاعتماد على الأساليب الطبية الحديثة فقط، بل أيضاً على استعمال الأساليب الشعبية في التطبيب والمداواة.

وبهذا، فالعلاج الشعبي هو مجموعة من المعارف والمهارات القائمة على الخبرات والمعتقدات التي تحتويها مختلف الثقافات وتنتقل من جيل إلى جيل. تستعملها للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية التي تهدد حياة الإنسان¹.

¹ / نفس المرجع، ص55.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

المرض: يُعرف المرض بكونه "اعتلال يصيب جسم الإنسان وصحته، ويتضح هذا الاعتلال عادةً من خلال الأعراض المرضية الإكلينيكية، سمات وعلامات المرض. ويكون ذلك في شكل تطوري يؤدي إلى عجز وظائف الجسم عن عملها، ويتطلب العلاج."

هذا بالنسبة لتعريف المرض من وجهة النظر الطبية. أما المفهوم الاجتماعي الثقافي للمرض فيُعنى به حالة اجتماعية تضم تغييرًا في السلوك، وهو ظاهرة إنسانية تختلف باختلاف الثقافات. ففي حين أن المرض بمعناه البيولوجي يحدث مستقلاً عن المعرفة والتقييم الإنساني الاجتماعي، فإن المرض بهذا المعنى ينشأ ويتطور عن طريق هذه المعرفة والتقييم الاجتماعي.

في هذا الإطار، نجد الباحث "بارون" يركز على الدلالات الاجتماعية والثقافية للمرض وأيضًا الخلفية الاجتماعية له. هذا يبين أن المرض له جذور متأصلة في أعماق المجتمع من حيث الدلالة والتعامل والأسباب، بمعنى أن المرض ظاهرة من صنع المجتمع تتأثر بشكل مستمر بالواقع الاجتماعي. وبالتالي، يمكن تعريف المرض بأنه ظاهرة بيولوجية، اجتماعية وثقافية في آن واحد تعكس الواقع الثقافي الاجتماعي لمجتمع معين. فالمرض مفهوم يختلف معناه وتتعدد أساليبه علاجه من مجتمع لآخر تبعًا لخبراتهم ومهاراتهم الموروثة عن السلف¹.

4/ أنواع الطب الشعبي:

ينقسم الطب الشعبي إلى قسمين رئيسيين وكل قسم منها يتضمن مجموعة من الممارسات والاستخدامات في العلاج وهما:

¹ / نفس المرجع، ص55.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

4.1 / الطب الشعبي الطبيعي (الأعشاب):

يضم هذا القسم الممارسات المرتبطة بالطب النباتي أو طب الأعشاب في العلاج. وهو يعبر عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة وكيف استفاد منها الإنسان في علاج الأمراض عن طريق الأعشاب والنباتات الطبية التي تمكن من اختبار كفاءتها عن طريق التراث التجريبي.

فالطب الشعبي يعتقد في ممارساته أن الإصابة بمرض ما هي إلا نتيجة لخلل أو اضطراب يصيب عاملاً من العوامل الأساسية في القوانين الطبيعية. وهنا يركز الطب الشعبي على التغذية التي تكون مستمدة من الطبيعة¹.

4.2 / الطب الشعبي الغيبي:

وهو فرع من فروع الطب الشعبي يضم الممارسات المرتبطة بعالم الجن والأرواح في العلاج. فهذا النوع يعتمد في العلاج على السحر والغيبيات. وقد عرّفه زيدان عبد الباقي على أنه "حرفة يُقصد منها إحداث الخوارق بأساليب غير مرئية وغير محسوسة"².

عرّفه مارسال موس بأنه: "طقوس خاصة وسرية خفية وغامضة، وهي لا تدخل في نطاق العبادات والشعائر المنظمة. وهي طقوس أقرب منها إلى الممنوع والحرام"³.

¹/ محمد ابراهيم عباس، الانثروبولوجيا الطبية الثقافات والمعتقدات الشعبية، ج1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1992، ص180.

²/ زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الديني، دار العريب للطباعة، مصر، 175.

³/Mauss Marcel ،sociologie et anthropologie. Introduction de Claude Levi Strauss.7édition.Paris.France.1997.p16

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يعرّف كيمف (Kemph) السحر في العلاج بأن المعتقدات السحرية هي شهوات نفسية علاجية لتخفيف الضغوط الفسيولوجية التي تحدث في محيط اجتماعي. وقد صنع الإنسان أساليب ومعتقدات كي يضبط تلك الوظائف الفسيولوجية.

وحسب التحليل النفسي، فإن السحر مرض نفسي يصيب إما الأفراد أو الجماعات، وهذا راجع إلى الإحباط والمعاناة كما أشار إليها فرويد. كذلك يمكن أن يشكل السحر كمارسة للعلاج، وهذا يظهر الجانب الإيجابي للسحر، ويسمح للمصابين بالأمراض النفسية من تفريغ المكبوتات¹.

إذن فالطب الشعبي الغيبي يعتمد في طرقه وأساليبه العلاجية على ممارسات السحرية والغيبية .

5/ الطب الشعبي وزيارة الأضرحة الأولياء

تختلف أضرحة الأولياء والطب الشعبي من حيث درجة التنظيم، وكلاهما يمارس في الحياة اليومية. كما أن كلاّ منهما يمكن أن يكشف عن الجوانب العميقة، وكلاهما ظاهرة ثقافية متكاملة.

فموضوع أضرحة الأولياء يشمل أنشطة دينية، تروحية، واجتماعية، وما إلى ذلك. بينما الطب الشعبي يشمل جوانب عقلانية، وجوانب دينية، وجوانب سحرية، وما إلى ذلك. وعلاوة على ذلك، فإن كلاّ منهما له عدو يحارب، أو يريد أن يقهره ويتغلب عليه؛ فأضرحة الأولياء يحاربها الدين الرسمي، والطب الشعبي يطارده الطب الرسمي. ومع ذلك، فكلاهما ما زال موجودًا وحيا، مما يدل على عمق جذوره في الواقع الثقافي.

¹/Freud Sigmund, Totem et Tabou, petite Bibliothèque. Paris. France. 1968, p29

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

أما عن الجوانب التنظيمية، فيلاحظ أن موضوع الأولياء يتميز بأكبر قدر من التنظيم، حيث تتم ممارسته على أوسع نطاق ولمدى كبير في حياة الناس من خلال عملية رعاية واحتضان الطرق الصوفية لاحتفالات الأولياء ومناسبات تكريمهم. وحسب الخولي: "إن الشواهد الواقعية تدل على أن الطرق الصوفية تلعب دورًا بارزًا فيما يتعلق بتدعيم المعتقدات والممارسات المتصلة بالأولياء، وكيف أن هذه الطرق تتعهد الأولياء بالرعاية، وتشارك في إقامة موالدهم، وتردد حكاياتهم وكراماتهم، وتسهم في صنع الأولياء الأحياء، مما يضمن استمرار عملية زيارة الأولياء¹.

في مقابل ذلك، يتسم ميدان الطب الشعبي بقدر كبير من التلقائية والمرونة، فهو ممارسة فردية في الاحتياج إليها وفي تقديمها.

هناك اتصال وثيق بين الطب الشعبي وعناصر المعتقدات الأخرى كالدين والسحر، حيث تُفسر بعض الأمراض بأن سببها سحري، وتُشفى هذه الأمراض من خلال أعمال سحرية يقوم بها بعض المعالجين، مثل الجنون والأمراض العقلية والعقم والعجز الجنسي وغيرها من الأمراض التي يتم شفاؤها عن طريق الدين أو السحر.

ويتم كشف هذه الأمراض بواسطة المعالجين الذين يقومون بقياس أثرها في المريض لمعرفة سبب المرض. وقد يكون سبب المرض حسدًا، أو عملاً سحريًا، أو مسًا من الجن.

¹/ سيدي عابد عبد القادر، التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح مقارنة سيكو_انثربولوجية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص139.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

6/ الأبعاد السوسيو ثقافية للطب الشعبي:

6.1/ البعد الطبقي (المادي والاقتصادي) : يلعب المستوى الاقتصادي والاجتماعي دورًا مهمًا للأفراد في صياغة مواقفهم وقراراتهم فيما يتعلق بمواجهة المرض. يتجلى هذا عندما يتطلب العلاج نفقات والتزامات مادية، تدل الشواهد الواقعية على أن سلوك الفقراء غالبًا ما يتوزع بين البدائل العلاجية الشعبية، والعلاج الطبي الرسمي الرخيص الذي يقدم مجانًا أو بأجور رمزية. وكلما اشتدت وطأة الفقر، اضطر الفقراء إلى اختيار أرخص البدائل العلاجية الممكنة، أما الأغنياء، فإنهم يستطيعون مواجهة الأعباء المادية التي يتطلبها العلاج الطبي الرسمي. وكلما ازدادت درجة الثراء والغنى، فإن الأغنياء يكون بوسعهم الحصول على الرعاية الطبية المتقدمة مهما كانت التكلفة. فمنهم من يرتاد المستشفيات الخاصة، ومنهم من يسافر إلى الخارج لتلقي العلاج على يد مشاهير الأطباء العالميين المتخصصين¹، غير أن هناك متغيرات وسيطة تتدخل في العلاقة بين البعد الطبقي والسلوك العلاجي أو الاختيار بين البدائل العلاجية، وعندئذ تتخذ هذه العلاقة شكلاً آخر. فنوع المرض وطبيعته يمكن أن يؤدي إلى تحديد البعد المادي من خلال بعض الأمراض، مثل: تأخر حدوث الحمل، أو الاشتباه في الإصابة بالعقم.

في هذه الحالات، يلجأ الأغنياء والفقراء على حد سواء إلى الممارسات العلاجية الشعبية، بالإضافة إلى محاولات العلاج الطبي الرسمي. وينطبق الأمر ذاته على أنواع أخرى من الأمراض التي يُعتقد أنها ناجمة عن السحر.

¹ / بن عروس حياة، الطب البديل في المجتمع الجزائري بين الطب الشعبي والطب الحديث، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائري 2، 2015، 2014، ص86.

مما يزيد من إقبال الفقراء على الممارسات العلاجية الشعبية، بالإضافة إلى انخفاض تكلفتها نسبيًا، هو أنها توفر إطارًا يتميز بالمرونة والتسامح وخاصة فيما يتعلق بدفع الأجر. فهناك من المعالجين الشعبيين من يقدم خدماته العلاجية على نحو يلائم قدرات وإمكانيات الفقراء والأغنياء أيضًا، ومن ثم يتفاوت الأجر.

بالإضافة إلى ذلك، هناك نوع من التسامح الذي يبديه كثير من المعالجين الشعبيين خلال تعاملهم مع المرضى الفقراء. يتضح ذلك عندما لا يكون المريض قادرًا على دفع الأجر، فيقدم له المعالج خدماته العلاجية إما بسعر رمزي، خاصة إذا كان دائم العلاج عنده، أو عن طريق الدفع بالأقساط. وفضلاً عن ذلك، فإن النجاح الذي يحققه المعالجون الشعبيون يعمل على زيادة مصداقيتهم، وعلى دعم مكانة الطب الشعبي واستمراريته وإكسابه أرضًا جديدة¹.

وعليه، لا نستطيع الجزم بأن الاتجاه إلى العلاج الشعبي يرتبط بالدخل الضئيل. بل إننا نجد من ذوي الدخل المرتفع من لا يختلف سلوكهم في هذا المجال كثيرًا عن سلوك الفقراء.

لهذا، فالمترددون على الطب الشعبي، كلما زادت مدخولاتهم، كان إنفاقهم على العلاج الشعبي في حالات اللجوء إليه أكبر. ولهذا نجد بعض المعالجين الشعبيين من يردد مقولة: "ملح يدي" (وهو عبارة عن مبلغ رمزي يُعطى للمعالج، أي مبلغ يستطيع المريض دفعه، فالمعالج لم يحدد تسعيرة للعلاج خاصة في الرقية).

¹/ نفس المرجع ، ص 87، 89.

أما العلاج الذي يستخدم فيه الأعشاب والزيوت، فإن المعالج لا بد أن يطلب ثمنها، خاصة وأن بعض الأعشاب نادرة وتكون مرتفعة الثمن، وفي بعض الأحيان يطلب من المريض شرائها بنفسه. في مثل هذه الحالات، فإن اختيار العلاج الشعبي لا يرجع إلى عامل الإمكانات المادية فقط، ولكنه يرجع إلى عدة عوامل أخرى، مثل:¹

- الاعتقاد المسبق عن أسباب المرض.
 - أي الطرق الأنسب للعلاج.
 - سيطرة القيم التي تركز فكرة العوالم الغيبية وقدرتها على إصابتنا بالمرض.
- خاصة في الثقافة الشعبية المحلية، فإن الاعتقاد بالسحر والإصابة بالعين منتشر بكثرة. ومنه، فإن الاعتقاد بأن السحر قد يسبب أمراضًا عديدة منها العقم والجنون والألم في مختلف أعضاء الجسد. لهذا، فإن العلاج الأنسب هو الطب الشعبي وما يتضمنه من طرق وأساليب مختلفة. فالثقافة المنتشرة تلعب دورًا كبيرًا في اختيار نوع العلاج تبعًا لتفسيرات المرض في نفس الثقافة، بغض النظر عن المستوى المادي للمريض.

6.2/ البعد الثقافي :

يهتم هذا المنظور بدراسة العلاقة بين الثقافة والصحة، والوقاية والعلاج، وأهمية الثقافة في تحديد أنماط الأمراض وتفسيرها وعلاجها، وطبيعة التفاعل مع الخدمات الصحية الرسمية. في ضوء هذا المنظور، يهتم الباحثون بدراسة العلاقة بين الدين والقيم والممارسات الصحية... إلخ. كذلك، يحرص أنصار هذا

¹/ نفس المرجع، ص 87، 89.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

المنظور على تتبع تطور المرض وتوزيعه الجغرافي، والوسائل والأساليب التي اكتسبتها المجتمعات التقليدية للتعامل معه وعلاجه، والطرق المثلى لتحسين الطب الحديث وتطويره، وخاصة في المجتمعات التقليدية. ولهذا، فهو يلقي الضوء على المناخ الثقافي الذي يحدد تقييماً للحالات المرضية أو الأساليب التي يغزوها إليها، والأشخاص الذين يتمتعون بالسلطة في تقييمها وتحديد طرق علاجها.¹

6.3/ البعد النفسي:

يمثل البعد النفسي عاملاً مهماً في المفاضلة بين البدائل العلاجية المتاحة. لا يمكننا إنكار هذه الأهمية فيما يتعلق بتقبل المريض للعلاج وثقته في كفاءة من يتلقى منه العلاج، مما يجعل حدوث الشفاء.

هناك العديد من الشواهد الواقعية التي تؤكد أن المعالجين الشعبيين يجدون قبولاً ملحوظاً من جانب المرضى. فالمرضى يكونون دائماً في حاجة إلى من يستمع لشكاوهم بصدر رحب، ويشاركهم همومهم، ويهتم بأحوالهم، ويتعاطف معهم بتواضع، دون تكبر أو استعلاء.

والمعالجون الشعبيون مؤهلون للقيام بهذا الدور؛ لأنهم يشتركون مع المرضى في نفس الإطار الاجتماعي الثقافي. ومن ثم، يكون من السهل عليهم تحقيق تواصل جيد مع مرضاهم، وذلك من خلال الفهم المتبادل واللغة المشتركة وخاصة إذا كان المعالج قد تعرض لمثل هذه الحالات المرضية، ويُخبر المريض أنه قد مر بنفس حالته وتم شفاؤه عن طريق العلاج الذي يقدمه. هنا، يركز المعالج على أن

¹ / على المكاوي، تقديم محمد الجوهري، علم الاجتماع الطبي مدخل نظري، مرجع سبق ذكره، ص222، 220.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

الشفاء بيد الله، وأنه هو مجرد وسيلة سخرها الله لشفاء الناس، وأن على المريض التوكل والإيمان بأن الشفاء من عند الله ليتم الشفاء.

وقد ترتب على زيادة الوعي بهذه الحقيقة ظهور ما يعرف بـ "النموذج الطبي الثقافي". وهو نموذج ينظر إلى الصحة والمرض على أنهما مفهومان يحملان دلالات لفظية تتحدد بطرق مختلفة لدى المرضى وعائلاتهم والمجتمعات المحلية التي يقيمون فيها، والممارسين العلابيين الذين يتعاملون معهم. أي أن هذا النموذج الطبي يضع في اعتباره معايير الثقافة وتفاعلات الشخصية والجوانب السيكلوجية. ويمثل هذا النموذج إطار الممارسات الطبية الشعبية¹.

ويرى أنصار هذا النموذج أنه من الممكن ترشيد الممارسات العلاجية الشعبية المنزلية، أي التي يمارسها الأفراد داخل المنزل بالاعتماد على أنفسهم، وذلك كما يلي:

- تشجيع وتزكية أكثر للمحاولات المنطقية في اتخاذ القرارات العلاجية بواسطة أعضاء الأسرة.
- علاج أكبر نسبة من عوارض المرض العادية عن طريق الأساليب العلاجية الشعبية، ما دامت هذه العوارض يمكن علاجها بكفاءة دون الحاجة إلى العلاج الطبي الرسمي.
- تنظيم وتدعيم أساليب المحافظة على الصحة، والممارسات والإجراءات الوقائية داخل الأسرة.
- مساعدة الأفراد العاديين في الاستفادة الملائمة من المصادر الصحية المتاحة.

¹ / نفس المرجع ص 89،90.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

ومنه، فإن الدعوة إلى الاهتمام بالممارسات العلاجية الشعبية وترشيدها، سواء على المستوى الاحترافي أو المستوى المنزلي، وتطوير نماذج طبية جديدة ليكون إطاراً لها يركز على الأبعاد الاجتماعية والثقافية والنفسية، هذا لا يدع مجالاً للشك في أهمية الطب الشعبي، وقدرته على البقاء والاستمرار.

6.4/ البعد الديني:

تستمد الكثير من الممارسات العلاجية الشعبية قوتها من محاولة ربطها بالدين على نحو أو آخر. ويبدو هذا الارتباط بشكل واضح في العلاج الديني السحري، حيث تُستخدم أسماء الله الحسنى وآيات القرآن الكريم. كما يبدو أيضاً في الاستشفاء بالأولياء والقديسين. ومن المعروف أن موضوعات المعتقدات الشعبية مترابطة فيما بينها، فثمة ترابط بين الطب الشعبي والأولياء، والكائنات فوق الطبيعية والسحر، والمعتقدات المتصلة بالإنسان والحيوان والنبات... إلخ. ومن ثم، فإن هذه الموضوعات جميعها تدخل في الاعتبار عند تحليل عناصر المواقف الخاصة بالمرض والعلاج في المعتقد الشعبي.

إن ممارسات الاستشفاء بالأولياء مثلاً، قائمة على تنظيم محكم يعمل على تدعيم هذه الممارسات، وترسيخها واستمرارها باسم الدين. وتعرف الثقافة الشعبية المحلية والإسلامية بصفة عامة أن الجن والعفاريت قد جاء ذكرهما في القرآن الكريم¹.

وكذا السحر. ومن ثم، فإن التعامل مع الكائنات فوق الطبيعة إنما يتم عن طريق المشتغلين بالسحر عندما يكون المرض ناجماً عن هذه الكائنات.

¹ / نفس المرجع، ص 90، 91.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

كما هو معروف في المخيال الشعبي أيضًا أن هناك أساليب علاجية مفضلة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدمها ويوصي باستخدامها. ومن بين ذلك الرقية الشرعية واستخدام أغذية معينة كالتمر والعسل والنحل، والحجامة والكي... إلخ.

وحتى الأديان السماوية اهتمت بالجوانب الوقائية والعلاجية، فوجدت العديد من الآيات في القرآن الكريم التي تتحدث عن الجن والشياطين. نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ سورة الاحقاف الآية 29، وكذا: ﴿يُمَعَّشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية 33 من سورة الرحمن، وقوله تعالى * : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ سورة الجن الآية 1

ونظرًا للمفاهيم السائدة لدى الفرد التي تشربها من الثقافة العامة والتنشئة الاجتماعية، وغرست لديه الخوف من عالم الغيب عبر سلسلة من المفاهيم الميتافيزيقية، وكرست لديه مجموعة من الأساليب التي تعمل على حمايته من شرورها، وظلت تنتقل إليه عبر الأجيال حتى وقتنا الراهن. وكتكريس لدور الدين في العلاج، نجد المعالجين يُلقبون بألقاب مشتركة ما بين رجل الدين والمعالج، كـ"السيد" و"الشيخ الصوفي". وإن كنا نجد المتصوفة يحتلون مكانًا أكثر بروزًا في العلاج؛ لإمكاناتهم العلمية في مجال الفلسفة والآداب وعلوم الدين، بالإضافة إلى حالة التعبد والتقوى والزهد التي يبتغونها في حياتهم، مما أدى بالأفراد لأن ينسجوا حولهم قصص اتصالهم بالجن والشياطين وقدراتهم على التعامل مع هذه القوى. لذلك نجد الكثير من المعالجين الشعبيين ينسبون الطرق الصوفية في المجتمع.

ومن هنا، يتضح لنا أن رجال الدين يلعبون دورًا مهمًا في النسق العلاجي، خصوصًا الأمراض التي يعجز أمامها طب الأطباء، والتي لا يُعرف لها سبب مادي واضح وملموس. ويحتاج الأمر إلى الاستعانة

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

ببعض الإسهامات المتبعة في العلاج الشعبي، كالأرواح وبعض القوى الأخرى الخفية وغير المادية، والتي تؤلف جزءاً مهماً مما يُطلق عليه التصور الشعبي للدين¹.

7/ طب الشعبي في الدراسات الأنثروبولوجية والإجتماعية:

لقد أولى علماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع اهتماماً خاصاً بالعلاقة بين الثقافة والمجتمع. وإن كان البعض منهم لا يزال يحبذ دراسات العلاقات الاجتماعية التي تشكل النسيج المتكامل للمجتمع، مستبعدين الثقافة، فيكون ذلك في نطاق محدود وفي الموضوعات التي تبرز فيها الثقافة بشكل واضح².

كما تناولت الدراسات السوسيو-أنثروبولوجية العديد من الأفكار ذات السياق الثقافي. ففي كتاب "الاتجاه السوسيو-أنثروبولوجي" لمحمد عبده محبوب، تناول الكاتب النسق البنائي للمجتمعات وكيف تتداخل الأنساق فيما بينها لتعطينا فكرة عن ديناميكية الجماعة المراد دراستها. ويقول في هذا السياق: "على الرغم من تعدد الاتجاهات النظرية في تعريف العلاقات البنائية، أو بقول آخر التعريف بالبناء الاجتماعي باعتباره شبكة تنظم العلاقات التي تربط بين الأشخاص والجماعات في المجتمع، فإننا نفتقر الآن إلى تصنيف مقنع لتلك العلاقات في فئات متميزة على أساس اشتراكها في كونها تنتظم جانباً معيناً من جوانب الحياة الاجتماعية.

لكننا نجد، على سبيل المثال، أن الكتابات التي تدور حول المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي، أو بقول أكثر دقة، النظم أو الأنساق المجتمعية المكونة لنسق الضبط المجتمعي، باعتبارها تحكم جوانب النشاط الاجتماعي الأساسية التي يقوم بها أعضاء المجتمع من حيث كونهم أشخاصاً في جماعات

¹ نفس المرجع، ص 91، 92.

² محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، 1991، ص 29.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يخضعون لنظم في تقسيم الأعمال والملكية والتبادل والتهادي والزواج والعائلة والميراث والنسب والعبادات والسحر والدين¹، وعن طرق البحث والمنهج في الدراسات السوسيو-أنثروبولوجية، يقترح الكاتب هذا التصور النظري لحدود ذلك البناء ومكوناته والعمليات الأساسية التي تتم فيه باعتباره تكويناً ديناميكياً. ويتمثل هذا الاقتراح فيما يلي:

1. يقوم الأساس الفيزيقي لبناء المجتمع على ثلاث ركائز أساسية، وأول هذه الركائز هي الظروف الإيكولوجية.

2. تتمثل الركيزة الثانية في التكوين الديموغرافي.

3. وتتمثل الركيزة الثالثة في الثقافة بجوانبها المادية وغير المادية.

وقد اقترح الكاتب تصوراً نظرياً لذلك البناء الإدراكي لخصه في الشكل التالي:

تُعتبر مواضيع العلاج الشعبي من المواضيع الثقافية التي شغلت إدراك المجتمع ككل، حيث اهتم الأفراد منذ زمن بعيد بموضوعات الصحة والمرض من حيث العوامل الاجتماعية التي تؤثر على الصحة وتؤدي إلى انتشار المرض. كما اهتم الأطباء القدماء بتأثير الثقافة والسلوك الاجتماعي على الصحة والمرض، ومدى تأثير صحة الإنسان بنمط الحياة وبيئته الاجتماعية والطبيعية².

وقد بدأ الاهتمام بدراسة العلاقة بين الواقع الاجتماعي والأحوال الصحية والمرضية في المجتمع منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو بداية ظهور علم الاجتماع الطبي كفرع حديث من

¹ محمد عبده محجوب، الاتجاه السوسيو انثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت، ص31.

² نجلاء عاطف خليل، مرجع سبق ذكره، ص123.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

علم الاجتماع. هذا الأخير الذي ساهم في فهم طبيعة وأسباب المرض وكيفية استجابة الناس له، كما ساهم في دراسة العلاقة بين العوامل الاجتماعية كالعادات والتقاليد والمعتقدات، والعلاقة بين الطبيب والمريض. بالإضافة إلى دراسة الأسباب الاجتماعية والإيكولوجية للمرض، وتنظيم الممارسات الطبية واتجاهات التعليم الطبي، ودراسة الطب الشعبي وفنونه وممارساته العلاجية والمطبيين الشعبيين، ومقارنته بالطب الحديث وبيان مدى التداخل أو التعارض بينهما.

ولما كان هناك اهتمام مشترك بين الطب وعلم الاجتماع، كان هناك اهتمام مشترك بين الطب والأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، ما أفرز الأنثروبولوجيا الطبية التي تهتم بجانب كبير من الظواهر البيولوجية، وخاصة ما يتعلق بالصحة والمرض.

وهكذا، فإذا كان الاتجاه السوسيو-أنثروبولوجي يهتم بالإدراكات العامة لديناميكية المجتمع وعلاقتها بالعوامل الإيكولوجية والثقافية، فإن علم اجتماع الطب يُبرز قيم واتجاهات المجتمعات نحو العلاج الشعبي والعلاج الرسمي، وكيفية استثمار هذه الاتجاهات وتدعيم الصحة العامة في المجتمع. في المقابل، تساعد الأنثروبولوجيا الطبية على استكمال ظاهرة الصحة والمرض بالتركيز على العناصر الثقافية كالعادات والمعتقدات والطقوس الشعبية والمعالجين الشعبيين ودورهم في قضايا الصحة والمرض.

كذلك أشار المهتمون بثقافات الشعوب إلى أن اللجوء لطرق علاج هذه الأمراض، التي منها على سبيل المثال الضعف العام أو العقم، والضعف الجنسي، والكسور، وما إلى ذلك، يتم بالاستعانة بمكونات الطبيعة وعناصرها. وكأن هناك محاكاة للطبيعة سواء في أسباب المرض أو وسائل وطرق العلاج من

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

خلال الاستعانة بالمواد والعناصر الطبيعية كالأعشاب والحيوانات في إعداد تركيبات علاجية، أو الاستعانة بأشخاص مميزين في مجتمعاتهم¹.

من هنا، نجد أن المحددات الثقافية المتعلقة بطبيعة المجتمع تتصل ببعض القيم والعادات والبناء الإدراكي الخاص بشخصية أفراده. لذلك، تُعتبر تلك العوامل الثقافية وغيرها جزءًا هامًا في بناء المجتمع، وأن الممارسات السلوكية المرتبطة بأفراد المجتمع تساهم إلى حد كبير في الحفاظ على الثقافة التقليدية للمجتمع.

لقد حققت الممارسات المرتبطة بالطب التقليدي رواجًا كبيرًا في أوساط المجتمعات العربية والغربية على حد سواء، ولعل الفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى النجاح الذي حققه الطب الشعبي عبر التاريخ حتى يومنا هذا، ودوره في التخفيف من حدة بعض الأمراض، بل والقضاء عليها في بعض الأحيان.

لقد تعددت وتنوعت الممارسات العلاجية في علاج الأمراض الشعبية، حيث اعتمدت على السياق الثقافي الذي مورست فيه، وقدمت المعالج في صورة الكاهن أو الراهب أو الشيخ أو الساحر، وأطلقت عليه في كل الأحوال لفظ "الحكيم" الذي التصق بالأطباء إلى يومنا هذا.

يتضمن الطب الشعبي والممارسات العلاجية الكثير من الجوانب السحرية-الدينية الغامضة، والتمائم والتعاويذ، إلى جانب الوسائل الكيميائية الأولية، والفصد، والكي، وكاسات الهواء، وأشكال أخرى من العلاجات التي تعتمد على استعمال النباتات والأعشاب الطبية. يُنظر إلى هذه الممارسات على أنها علاجات شعبية للأمراض الجسمية والنفسية في إطار أنساق المعتقدات والمسببات العامة لهذه الأمراض.

¹/ محمد الجوهري، دراسات في علم الفلكرو ، مرجع سبق ذكره، ص474.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

كما تحرص أنماطها الثقافية على ممارستها كعادات وتقاليد شعبية. ويحتل طب الأعشاب مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية، حيث يعتبر من أقدم الممارسات التي اكتسبها الإنسان¹.

لقد اهتم علماء الأنثروبولوجيا الطبية بمعالجة الكثير من الموضوعات التي تشمل مفهوم المرض وما يؤثر عليه من عوامل، والتفسيرات التي وضعها الباحثون حوله، وأنماط السلوك التي يتبعها المرضى في مواجهة مخاطر المرض، والدور الذي يلعبه المعالجون التقليديون في التشخيص والعلاج².

وهناك العديد من العلوم التي جاءت لتدرس هذه التفاعلات والعلاقة المتداخلة فيما بينها، خاصة قضايا المرض والعلاج والمؤثرات المحيطة بها، وأساليب العلاج المتخذة للحد والوقاية من ذلك على اختلاف أنماطها وأساليبها.

في الطب الشعبي، يحتل التداوي بالأعشاب مكانة رفيعة، مما يخلق لنا عملية تفاعل واسعة ومستمرة، حيث تدخل الأعشاب بشكل واضح في كل الممارسات اليومية والطقوس الشعبية والأعياد الدينية والموسمية. وقد تشكلت من خلال هذه الممارسات العديد من التصورات والاعتقادات النابعة من مخيال الشعوب.

يندرج موضوع دراسة العلاج بالأعشاب ضمن مواضيع الثقافة بصفة عامة، والثقافة الشعبية بصفة خاصة، وهي من الدراسات السوسيو-ثقافية التي تفيد حقل علم الاجتماع. وقد أفرز موضوع العلاج

¹ / محمد حسن الحاج، طب الاعشاب تراث وعلم، دار القلم العربي، ط2، 2004، ص10.

² / طارق السيد، أساسيات في علم الاجتماع الطبي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007، ص131 .

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

بالأعشاب الكثير من الردود والاستجابات التي أدت إلى مواضيع خصبة تتعلق بالمعتقدات والتصورات والمخيال¹.

8/ التفسير الاجتماعي للصحة والمرض:

لقد اهتم العديد من الباحثين بموضوع الصحة والمرض لارتباطه الوثيق بالإنسان ومساسه بحياته. وقد عرف الباحث "قيري بيركنز" الصحة بأنها "حالة من التوازن النسبي لوظائف الجسم"²، كما عرفها "وينسلو" بأنها "علم وفن الوقاية من المرض"³، وذلك عن طريق تحسين البيئة، وتحسين وعي الأفراد، وتحسين الأداء في المجال الصحي والوقاية، وتحسين المستوى المعيشي، بالإضافة إلى الاهتمام بالصحة النفسية للأفراد. هذا لأن الجانب النفسي يؤثر على الصحة الجسدية بالضرورة، فالتعريف الأشمل للصحة هو التوازن العضوي والنفسي بالإضافة إلى المحيط الذي يعيش فيه الفرد، بحيث يكونون وحدة متكاملة يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به. فهناك أمراض بدنية تسببها الاضطرابات النفسية، وبعضها يكون ناتجاً عن الاختلال في البيئة التي يعيش فيها الفرد.

إن مفهوم المرض أو تصورات الأفراد وتمثلاتهم له تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، بحيث تختلف تفسيرات المرض عبر الأزمنة ومن حضارة إلى أخرى. تحكم هذه التصورات مجموعة من المعتقدات الشعبية السائدة في الثقافة. فكثيراً ما كانت تفسيرات المرض ترتبط بالحرام والعقاب الإلهي ومس من الأرواح الشريرة، ويُنسب إلى القوى الغيبية.

¹ طارق السيد، نفس المرجع، 131.

² /أبراهيم عبد الهادي المليجي، الممارسة المهنية في المجال الطبي والتأهيلي، المكتب العلمي، 1997، مصر، ص 84.

³ /نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الانجلوا المصرية، 2006، ص 27.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

لقد تطرق نوربيرت سلام إلى أن الحضارات البدائية كانت تعتبر المريض عبئاً يجب التخلص منه. وفي بعض الديانات، يُعتبر المرض عقاباً إلهياً، وعند البعض الآخر هو التغلب على امتحان ما، ووسيلة للتطهير بالألم¹.

إنّ، فإن أغلب أو مجمل التفسيرات تُنسب إلى غضب إلهي أو أمور غيبية وسحرية والأرواح الشريرة . لهذا، قام علماء الأنثروبولوجيا بتوضيح تمثلات المرض والدور الذي تلعبه الثقافة في صياغة هذه التمثلات. ولهذا، يؤكد علماء الأنثروبولوجيا كثيراً على العلاقة الموجودة بين الثقافة ونمط الحياة وأنماط الاستجابات للمرض وطرق العلاج، وعلاقتها بالمكون الشعبي والتأثيرات التي تمارسها البيئة الثقافية على المرض والمريض، وهذا بالتركيز على دراسة العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية التي تفسر المرض وتعالجه وتعطي أسبابه.

8.1/ المرض كأنموذج إعتقادي

لقد قام ريفرز بإجراء دراسة بعنوان "الطب، السحر، والدين"، اعتبر فيها أن الأنساق الطبية البدائية هي أنظمة اجتماعية، وأن الممارسات العلاجية يُنظر إليها على أنها منطقة في ضوء المعتقدات السببية السائدة. وقد قسّم ريفرز الطب البدائي إلى ثلاثة أقسام أو متغيرات: السحر، الدين، والطبيعة. هذا لأن سبب المرض والإصابة به يكون إما ناتجاً عن عمل سحري، أو قوة فوق طبيعية، أو إلى عملية طبيعية. فالطب البدائي قائم على نظام المعتقدات، حيث أن هذه الأخيرة متماسكة ومنطقية، ومن جهة أخرى

¹ /Sillamy N.(1980),Dictionnaire de psychologie, Paris :Bordas, p697

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

يبيّن أن هذه المعتقدات والممارسات الطبية جزء لا يتجزأ من الثقافة المحلية¹، أنه قد تختلف هذه الممارسات حسب اختلاف المعتقدات والثقافة لكل منطقة.

وحاول ريفرز الربط بين نمط الاعتقاد المتصل بالمرض والسلوك المتبع تجاه دور المعالج. فهو يرى أن المشعوذ يلعب دوراً رئيسياً عندما تسود معتقدات السحر والشعوذة، وأن الكاهن أو الراقى يقوم بنفس الدور عندما تسود التفسيرات الدينية للإصابة بالمرض². تجدر الإشارة هنا إلى أن في معظم حالات العقم التي لم يجد لها العلم تفسيراً، تُفسّر حسب المعتقدات الشعبية إلى وجود سحر الربط عند الرجل وسحر في الرحم عند المرأة.

أما محمد الجوهري، فيرى أن الطب الشعبي مستمد من المعتقدات الشعبية، والتي يرى أنها من أصعب المعتقدات وأشقها للتناول والدراسة والبحث؛ لأنها كامنة في صدور الناس. وكما ذكرنا سابقاً، فإن الأفراد أثناء استخدامهم للطرق العلاجية يسعون إلى السرية والكتمان، وخاصة بما يتعلق بالأمور السحرية التي يصعب دراستها، والبوح بها للعامة. فهي كامنة في أعماق النفس الإنسانية، وتوجد عند الريفيين كما توجد عند أهل الحضر، من المثقفين وغير المثقفين، أي أنها متعلقة بالإيمان³.

¹ /Good Byron , **Comment faire de l'anthropologie médicale ? Médecine, rationalité et vécu**, le Plessis Robinson Institut Synthélabo, coll Les empêcheurs de penser en rond, 1998, p12

² /.Ibid, p13

³ /محمد الجوهري، علم الفلكلور الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة: 1978 ص 42 .

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

8.2/ المرض كإنموذج إدراكي:

يهتم هذا التيار بدراسة التصورات الاجتماعية للصحة والمرض، ويعتبر هذا التيار أن التمثيلات الخاصة بالمرض تتشكل وتتبع من خلال الخطاب الاجتماعي، أي من الثقافة الخاصة بالجماعة¹.

حيث أن المسار الاجتماعي للمرض يتأثر إلى حد كبير بثقافة المجتمع، وتعتبر مفاهيم عن تصورات عديدة في الثقافات المختلفة²، وقد اهتم العديد من علماء الأنثروبولوجيا، أمثال رادكليف براون، بالدلالات الاجتماعية والثقافية للمرض، وذلك بالتركيز على الخلفية الاجتماعية للمرض³.

وترى باونز أنه في كثير من المجتمعات والثقافات الإنسانية، ترتبط فكرة المرض ببعض المفاهيم والخصوصيات الثقافية كالدين والقيم والعادات الاجتماعية والثقافة المحلية، التي تُعتبر مسؤولة عن ظهور هذه الرؤى الثقافية للمرض ولأسبابه ولأساليب العلاج⁴.

أما فوستر، فقد أكد أن الثقافة المحلية السائدة هي التي تقوم بصياغة وتحديد تقييم الأفراد لحالتهم الصحية والمرضية. وتختلف هذه الأحكام والتصورات باختلاف الخلفية الثقافية والاجتماعية والعرقية والدينية للأفراد⁵. وتُعتبر الفكرة الرئيسية هنا هي أن التصورات الخاصة بالمرض والصحة وطرق العلاج ترتبط بما يعرف بالنسبية الثقافية⁶، أي أن هذه التصورات والطرق تختلف باختلاف الثقافة المحلية. على

¹ /Carbonelle Sylvie , La santé, la maladie comme représentation, Bruxelles 2006,p32.

² علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي مدخل نظري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996، نص 90 .

³ /عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص.

⁴ /Eleanor Bowens ,The anthropology of health, Saint Louis,The C.V Mosby company, 1987p.68.

⁵ /George Foster ,Medical Anthropology , New York1978,p1

⁶ /Carbonelle Sylvie,op cit,p.33.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

سبيل المثال، تختلف طرق العلاج بين المجتمع المسلم والمجتمع المسيحي. وعلى المستوى المحلي، تختلف طرق العلاج في الجزائر باختلاف المناطق، كالجنوب والغرب مثلاً.

ومنه فإن الثقافة تلعب دوراً هاماً في تحديد مفاهيم المرض ودلالاته، وفي أساليب التعامل معه، والوقاية والعلاج. ويتغير مفهوم المرض بتغير الثقافة، ويرتبط بالنسق الثقافي السائد.

9/ المداخل النظرية للطب الشعبي

9.1/ مدخل السمات أو الذرات المنفصلة " كليمنتس": لقد قام كل من كليمنتس وفورست بمحاولات لتوزيع وتحديد السمات الثقافية المتعلقة بالصحة والتحكم في المرض. وقد تم تحديد خمس سمات أساسية تفسر أسباب المرض في المجتمعات غير الصناعية، وهي: السحر الأسود (Sorcery)، الضياع النفسي (Soul loss)، خرق التابو (Breach of taboo)، اقتحام المرض عنوة (Intrusion of Disease)، اقتحام الروح (Spirit Intrusion).

وقد ذكر أن أي مجتمع قد يتسبب المرض فيه عن خاصيتين منهما معاً، واستنتج من التوزيع المكاني مدى كونها جزءاً من ثقافة معينة. أي أن المكان يلعب دوراً في تكون ثقافة المجتمع؛ فمثلاً، مجتمع في الصحراء يتمتع بطابع ثقافي مميز نظراً للمكان الذي يتواجد فيه، عكس ما إذا كان يتواجد بقرب البحر. وقد سجل كليمنتس 299 دراسة في هذا المجال من خلال مسحه للمعتقدات الخاصة بتفسير المرض وإعطاء أسبابه¹.

¹ /إبتسام علام وآخرون، الصحة والبيئة، دراسات إجتماعية إنثربولوجية، ط1، 2001، ص128.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

9.2/ مدخل الصيغ الثقافية "روث بندكت":

لقد تأثر أكر كنخت بأفكار وآراء "روث" ووضع الطب في مضمونه الثقافي. وقد ركز على المكانة التي يحتلها الطب في حياة القبيلة والأفراد، وروح الممارسة التي تنتشر بينهم، والطرق التي يندمج بها الطب مع السمات الأخرى. ولقد كان نقد أكر كنخت بداية التحول الجوهري من المدخل التاريخي للظاهرة الصحية إلى الاتجاه النظري وبزوغ النظرية الوظيفية التي نظرت إلى المجتمع على أنه يتكون من أجزاء مترابطة.

9.3/ مدخل التكامل الوظيفي:

قد ساهمت الدراسة المتعلقة بالطب الشعبي في تطوير النظريات والمناهج في الأنثروبولوجيا السوسيو-ثقافية عن طريق دراسة التكامل الوظيفي لمكونات وأنساق الرعاية الصحية داخل النسيج الثقافي للمجتمع ومنظّماته الاجتماعية.

وبهذا أصبح مدخل التكامل الوظيفي والمدخل النظري المعرفي الرمزي هو الغالب في دراسة أنساق الرعاية الصحية، خاصة بعد أن قام كليمنتس بإصدار عمله الرئيسي منذ نصف قرن، بحيث أصبح الطب الشعبي أحد الأبعاد الجوهرية في الثقافة التي تجري فيها الدراسة، وازدادت الدراسات التي تركز على تصورات المجتمع عن الإعياء "المرض" في البحث عن: أسبابه وعلاجه، ودور المعالجين الشعبيين، والعلاقة بين المرض والكون¹، وتطابقت العلاقات بين ما بدا أنه ممارسات ومعتقدات صحية وبين الجوانب الأخرى للثقافة والتنظيم والإجماعي.

¹ / لطرش أمينة، الأعشاب الطبية ممارسات وتطورات مقارنة أنثروبولوجية بقسنطينية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2011 - ص 66 .

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

وأصبحت أكثر المعتقدات والممارسات الصحية، بل وأكثرها غرابة، مفهومة وأسهمت في توضيح الأشكال الاجتماعية. حينها يُنظر إليها في سياق المحتوى الثقافي الذي توجد فيه. وعلى سبيل المثال، إبراز فكرة أن المرض هو "ضحية للجيران" وأنه عقاب لانتهاك القواعد الاجتماعية، فهو عقاب لإثم أو نتيجة لخرق بعض المحرمات.

9.4/ المداخل السائدة: مدخل الكيفيات المتعددة أو نظرية الساخن والبارد "الأضداد"

وهو أحد موضوعات الطب الشعبي التي تُرست بدقة وظلت مادة للجدال. فإن مفهوم تضاد الخواص الذي يؤثر في الصحة ساد في أمريكا اللاتينية وفي أنماط أخرى من الطب الشعبي في الولايات المتحدة. لهذه النظرية، فإن الصحة هي توازن بين أضداد وأخلاق، كالتوازن بين الساخن والبارد والرطوبة والجفاف. وهي تتقش بين الهنود الأمريكيين، وترجع أصولها إلى ما قبل المسيحية، إلى حقبة التاريخ اليوناني والعربي (فoster 1978م). وقد وفدت إلى الشعوب البدائية التي تعيش على الفطرة في أمريكا في القرن السادس عشر عن طريق الغزاة الإسبان.

يتكون هذا النسق من أربعة متضادات هي: الساخن والبارد، الرطوبة والجفاف. التوازن بين تلك العناصر يحقق الصحة الجيدة، فنقص أو زيادة أحدها يؤدي إلى المرض. تظهر هذه النظرية في الوصف الأنثروبولوجي للطب الشعبي للشعوب التي تتحدث الإسبانية والبرتغالية. وقد لعب مفهوم خواص الأضداد دورًا بارزًا في الرعاية الصحية للمجتمعات الأمريكية الفطرية في غواتيمالا وأريزونا. ومع أن هذه الشعوب تعتمد على المفاهيم والتصورات التي تطبق هذه النظرية، وينتج عنها استجابات صامتة للتحكم في المرض¹.

¹ / ابتسام علام واخرون، مرجع سبق ذكره، ص130.

لقد تمت المقارنة بين عينة من سيدات الحضر ونسوة من ريف غواتيمالا، ووجد أن تصنيف مصطلحات المرض المألوفة لدى سيدات الحضر يختلف عن مصطلحات نسوة الريف، ولم يتم تصنيفها بنفس الطريقة. بالنسبة للناطقين باللغة Chinanteco بمدينة سان فرانسيسكو، فإن الممارسات الخاصة بالولادة يستخدم فيها بعض النباتات إما أن تكون باردة أو ساخنة في الولادة، وذلك لأغراض علاجية منها جعل الرحم يفرغ محتوياته أو يحجز محتوياته لمنع إسقاط الجنين. أي أن مفاهيم السخونة والبرودة تُعد عوامل مساعدة لعوامل أخرى لتحقيق الصحة¹.

10/ الطب الشعبي في الجزائر

إن لكل الشعوب طبها الشعبي الذي يعتمد على صفات أثبتت صحتها حيث مارسها الآباء والأجداد، والمجتمع الجزائري ليس استثناءً من هذه القاعدة، فهو شعب عريق وله العديد من الموروثات المختلفة في مجالات متعددة، ومن بينها الطب ومداواة الأمراض من خلال إعادة إنتاج الوصفات الطبية الموروثة. فالطب الشعبي هو معتقدات وسلوك الناس نحو المرضى وتمثلاتهم، فهو جزء من نسيج الثقافة أو الفولكلور الذي تختلط فيه الاعتقادات. وبذلك، يعتبر النسق الطبي متكاملًا يشمل المعتقدات والممارسات التطبيقية.

¹/ إبتسام علام وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص130.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

فالمجتمع الجزائري يزخر بعدد كبير من الممارسات التطبيقية بين أفرادهِ، ومن خلال الجانب العلمي فهو يشمل جميع أشكال الممارسات بما فيها الوصفات الوقائية والجمالية والوصفات العلاجية والممارسات الجراحية. فالعلاج بالطرق التقليدية له جذور قديمة في الجزائر¹.

ومن بين الممارسات العلاجية الشعبية التي يلجأ إليها المريض: معالجة الكسور والالتواءات وآلام الظهر، لدغات الأفاعي والعقارب والزواحف. كذلك الكي والتشليط الذي يعتبر علاجاً يُقدم في المنزل، والحجامة. بالإضافة إلى مختلف الوصفات الطبية التي تُستعمل فيها الأعشاب والحيوانات وما ينتج عنها².

لفهم طبيعة وأهمية الطب الشعبي في الجزائر، لا بد من الحديث عن خصائصه، حيث أنه ينقسم إلى عالمين اجتماعيين: عالم خارجي وعالم داخلي.

فبالنسبة للعالم الخارجي، فهو ذلك العالم الذي يتسم بوجود مؤسسات اجتماعية بقوانين رسمية وتقنيات حديثة ونظام رمزي يستمد مبادئه من النموذج الغربي. أما العالم الاجتماعي الخاص أو الداخلي، فهو الذي تكون العائلة أحد أهم مؤسساته، ويتشبهت بالقيم والعادات والتقاليد الضاربة في القدم، ويستعين بممارسات شعبية متوارثة عبر الأجيال.

¹ / لبقع زينب، تمثلات الصحة والمرض والممارسة التطبيقية في المجتمع الجزائري الحالي، دراسة ميدانية بولاية الاغواط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير الإجتماع والديناميكيات الإجتماعية في المجتمع، 2012، 2011، ص123.

² / نفس المرجع، ص123.

إن هذين العالمين يبدوان في حالة تعايش على الرغم من التناقضات الظاهرة في كليهما. فالحياة الاجتماعية تُسَيِّرُها الدولة، وهناك عالم آخر يخص الحياة الخاصة للناس وتحكمه العادات والتقاليد العائلية والاجتماعية.

مما سبق، نستخلص أن المجتمع الجزائري يتواجد به نظامان اجتماعيان يتجسدان في النظام الاجتماعي الحديث الذي يستمد مفاهيمه من النموذج الغربي، وهو بذلك يعكس النمط الغربي¹، والنظام الاجتماعي التقليدي المتوارث. وعليه، فالمجتمع يحيا ضمن ثنائية تقليدي-حديث. وهذا طبعا لا يعني بأي حال من الأحوال أن نُرجِّح كفة التقليدي.

وفي نفس السياق، يرى ليفي ستروس أن ثنائية "تقليدي-حديث" لا تمثل فترتين متلاحقتين، بل هما مرحلتان متلازمتان. إن هذه الثنائية التي تجلت في المجتمع الجزائري كانت أحد أهم مخلفات الفترة الاستعمارية التي عاشتها الجزائر تحت ظل الاستعمار الفرنسي، الذي لعب دورا كبيرا في إحداث تغييرات على المستوى المحلي. غير أن ذلك لم يمنع الجزائريين من تشبثهم وتمسكهم بقيمهم وثقافتهم الدينية رغم التطور الذي مس جوانب عدة من الحياة، وعلى رأسها الجانب الصحي. إلا أننا نلاحظ أن الفرد الجزائري لا يزال إلى يومنا هذا متمسكا بالتراث الشعبي في تعامله مع المشكلات الصحية.

وتمسك بالموروث الشعبي، وفي الوقت ذاته يتطلع للعيش في كنف الحضارة والمدنية، على الرغم من أنها تتعارض في حالات كثيرة مع أحكام القرآن الكريم. وكأن الناس يبحثون عن وسيلة للتصالح بين

¹ / سعيدة شين، التصورات الاجتماعية للطب الشعبي -دراسة ميدانية في منطقة الزيبان- اطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه العلوم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، 2014/2015، 141

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

النهضة والتطور، كما ذهب إلى ذلك روجي باستيد، والتي تؤهله لأن يكون واحدًا من الدول المتطورة. وهذا يعني محاولة المزج بين النمطين من أجل الحفاظ على كليهما.

إن وجود نظامين في المجتمع الجزائري يعني وجود نمطين من التفكير، خاصة إذا تعلق الأمر بالصحة والمرض. حيث تتعدد المفاهيم والخطابات حولهما، ومتى يكون الشخص مريضًا ومتى يمكننا القول أنه بصحة جيدة. ولهذا، يمكن القول أنه توجد شبكة معاني معقدة حول المرض والصحة في ظل الثنائية الموجودة في المجتمع الجزائري¹.

فالتفسيرات الموجودة تكون إما ذات ارتباط وثيق بالمريض ومحيطه الذي يتبنى في غالب الأحيان نموذجًا ثقافيًا محليًا من جهة، والاتجاه الثاني فيرتبط بنمط تفكير الطبيب والذي يتبنى النموذج العلمي.

تذهب نفيسة زردومي في هذا الصدد إلى وجود نوعين من الطب في المغرب العربي يتعايشان جنبًا إلى جنب، وكل منهما يحظى بأهميته ومكانته. وهما الطب العلمي الغربي والطب الشعبي الذي له طرائقه القائمة على تقاليد شفوية. ونجد أن الفرد الجزائري، على الرغم من تمسكه بالموروث الطبي الشعبي، يؤكد أيضًا على ضرورة تحسين الخدمات الصحية لمواطنيه. وهذا خلافاً لما كان سائداً أثناء الاستعمار، حيث كان يرفض الخدمات الصحية والتعليمية المقدمة من طرفه، بحجة أنه يقدمها من أجل إلغاء الهوية الوطنية والقضاء على الشعب.

فبالرغم من الاختلاف الواضح حول تشخيص المرض لدى الطبيب الأكاديمي والمعالج التقليدي، إلا أنه لا يعني تضاد النسقين الرسمي والشعبي. في هذا الصدد، بين الباحثان الفرنسيان ناتان (Nathan) وبونوا (Benoit) العلاقة بين أشكال العلاج الشعبي والحديث، حيث توصلا إلى أن الأطباء يبحثون،

¹/ نفس المرجع، ص142.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

من خلال ملاحظتهم وتفسيراتهم لحالة المريض عبر كلامه، عن شيء ذي معنى يُبين لهم نوع المرض. أما المعالجون الشعبيون، فإنهم يتناولون كلام المريض كواقع، وهو ما يقودهم إلى قلب العلة. فالفرق يكون معنويًا؛ أي أن الطبيب يبحث عن أسباب المرض العضوية والجسمية بعيدًا عن أي تدخلات أخرى، أما المعالج الشعبي فيتبنى الإطار الثقافي للمريض، وهذا ما يجعله قريبًا منه. وهذا ما يدل على أن المعالج الشعبي يعمل عمل الطبيب النفسي الذي يخلق جواً من الثقة المتبادلة بينه وبين المريض، الأمر الذي يجعل المريض يتحدث في أموره الخاصة والعائلية مع المعالج الشعبي. وهذا ما يجعل المعالج الشعبي ينجح في كثير من الأحيان في التشخيص السليم للأمراض¹.

ومما سبق، نجد أن المجتمع الجزائري يصنف الأمراض إلى أمراض تعالج عن طريق الطب الشعبي، مثل الصرع، العقم، السحر، العين، والحسد...، وأمراض تعالج بالطب الحديث، كالأمراض العضوية والعمليات الجراحية .

فكل ما لا يجد له الطب تفسيرًا أو علاجًا أو سببًا علميًا، يُعالج بالطب الشعبي، وخاصة فيما يتعلق بالأمور الغيبية. فالطب الشعبي يجعل الشخص المصاب يعيش في عالم رمزي محاط بالغموض، يشعر بالأمان والراحة فيه. كما أن الفرد يكون متشبّعًا بالثقافة المحيطة التي لها دور في تفسير المرض، بحيث يكون المريض مقتنعًا بفاعلية العلاج الشعبي.

¹ / نفس المرجع، 143.

11/ آليات ممارسة الطب الشعبي في الجزائر

لعل ما يضمن السلامة الصحية للإنسان هو الوقاية من المخاطر التي قد يتعرض لها في حياته. ومن خلال الثقافة المحلية، يستحضر الأفراد ثقافة علاجية معينة تداول عليها السلف أو تم توارثها من الأجداد، فيمتثلون لمجموعة من المعتقدات الشعبية والممارسات العلاجية المتوارثة في النسق الثقافي. فالعديد من الأفراد، وخاصة في المجتمعات التي تستخدم الطب الشعبي بشكل متداول، يكون لديهم اعتقاد سائد بعدم وجود أضرار جانبية للعلاج الشعبي مقارنة بالعلاج بالطب الحديث الذي قد تكون له أضرار جانبية لأنه يستعمل مواد كيميائية مصنعة¹.

وفي هذا التأثير في بنية التراث المحلي، يؤكد المنظر إرازموس (Erasmus) في ضوء نظريته عن التغير الثقافي، حيث يشير إلى أن التراث ليس قوياً لدرجة منع الناس من البحث عن المزايا التي يحبونها من تغيير سلوكهم. حيث أنهم يمكنهم تغيير بعض العادات والمعتقدات والممارسات من أجل تعويضها بشيء أفضل يعود عليهم بالفائدة، وإن كانت الأوضاع القائمة تحول أحياناً دون استقبال الأفكار والعادات الجديدة، ولهذا يستمر المجتمع بالتمسك بالتراث. وهذا يسمح لأفراد المجتمع بإضافة بعض الممارسات الجديدة في نشاطهم الثقافي والعلاجي من أجل الإحتفاظ بأهمية التراث، أي تجديد التراث بما يتماشى مع العصر الحالي مع الحفاظ على جوهره وأصالته.

ويُعد الطب الشعبي مجالاً واسعاً يشمل مختلف الإجراءات والممارسات الدينية والسحرية والكيميائية في الوقت نفسه. إن البحث عن دوافع الاشتغال في الفنون الشعبية كأحد المظاهر الثقافية والاجتماعية

¹/ نفس المرجع، 143.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

التي تحيط بالفرد والمجتمع، خصوصاً تلك التقليدية والمتوارثة منذ القدم، وهي العلاج التقليدي أو الشعبي باعتباره منطلقاً لسلوك شعبي يؤدي وظائف اجتماعية وثقافية على حد سواء¹.

ومن أهم أشكال الطب الشعبي، الطب الطبيعي كالكي والتجبير، والمداواة بالأعشاب الطبية. وهناك أيضاً الطب الشعبي الغيبي الذي يهدف في طياته إلى الولوج للممارسات الدينية والعقائدية المرتبطة بكيان الإنسان، كالعلاج بالأحجبة القرآنية والحرز، وزيارة أضرحة الأولياء الصالحين.

ومن المؤكد أن ميدان الطب الشعبي المحلي أو التقليدي هو من الميادين التي تربطها صلة وثيقة بميادين أخرى، حيث أن التدخل المعرفي والتفاعل المتبادل بين المعتقدات السائدة بين مختلف الميادين هو بالضرورة خاصية مميزة ضمن أطر الثقافة الشعبية على الخصوص والثقافة الإنسانية على العموم.

وعلى النطاق المحلي، نجد أن هناك أشكالاً للعلاج بالطب الشعبي منتشرة ومتنوعة ومختلفة باختلاف المكان الجغرافي وبالاختلافات الثقافية التي تتميز بها الجزائر. حيث تمارس فيها أشكال من العلاجات الشعبية تلك التي تتعلق بالعلاج المادي أو الطبيعي كالكي والحجامة والتجبير، أو ما تعلق الأمر بالعلاج الروحي عن طريق كتابة الأحجبة. وبهذا المعنى، تُصبح هذه الطرق التقليدية متوازنة مع البحث في الكشف عن محتوياتها وآليات الممارسة رغم حاجة الإنسان إليها. ومن بين الممارسات التي تتدرج في نطاق العلاقات العلاجية الشعبية المتوازنة نذكر:

• العلاج بالأعشاب

¹ / بلبشير عبد الرزاق، بدير محمد، الطب الشعبي التقليدي بين الية الممارسة الوظيفية وتأسيس لمبدأ الهوية الثقافية دراسة في أصول الممارسات العلاجية التقليدية في المجتمع الجزائري، مجلة التراث والتصميم، المجلد 1، العدد 1، 1021، ص 3، 4.

الفصل الثاني : المعتقدات الشعبية والطب الشعبي

- العلاج بالكي
 - العلاج بالحجامة
 - العلاج بالوصفات الشعبية
 - زيارة الأضرحة والأولياء الصالحين
 - العلاج الغيبي أو الروحي السحري
- ومنه، فإن المجتمع الجزائري يُولي اهتمامًا بالغًا بأساليب العلاجية الشعبية أو بالطب البديل والعودة إلى الطبيعة لمعالجة الكثير من الأمراض التي يكاد الطب الرسمي يعجز عن تشخيصها. فلا يكاد يخلو البيت الجزائري من وجود وصفات طبية شعبية متداولة أو ما يُطلق عليه بالعامية بـ"دوا العرب"¹.

¹/ بلبشير عبد الرزاق، بدير محمد، نفس المرجع، ص4.

خلاصة الفصل

إن فهم الأفراد للصحة والمرض يتشكل بشكل عميق من خلال البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيشون فيها. ففي المجتمع الجزائري، على سبيل المثال، تُعتبر العادات والتقاليد، والمعتقدات الشعبية، والطبوس، محددات رئيسية لكيفية إدراك الفرد لكونه "مريضًا" أو "بصحة جيدة".

هذه التصورات لا تبقى مجرد أفكار نظرية، بل تترجم مباشرة إلى أساليب علاجية ووقائية يتبناها الأفراد. فالفرد الذي يؤمن بأن مرضه ناجم عن "العين" غالبًا ما سيلجأ إلى الرقية الشرعية كطريقة علاجية رئيسية. وبالمثل، فإن الإيمان ببركة الأولياء الصالحين قد يدفع الأفراد لزيارة أضرحتهم طلبًا للشفاء.

تُعد ممارسات مثل الحجامة والكي جزءًا لا يتجزأ من هذا النسق الثقافي العلاجي، حيث تُمارس بناءً على تجارب متوارثة واعتقاد راسخ بفعاليتها. ولا يقتصر الأمر على الممارسات الجسدية، بل يمتد ليشمل استخدام الخلطات الطبية للأعشاب، التي تُورث عبر الأجيال وتُشكل جزءًا هامًا من صيدلية الطب الشعبي.

أما العلاج الروحاني أو السحري، فيُمثل بعدًا آخر من أبعاد الطب الشعبي الذي يستمد قوته من المعتقدات المتعلقة بعالم الغيب. عندما يفشل الطب الحديث في تقديم تفسير أو علاج لبعض الحالات، يلجأ الأفراد إلى هذه الأساليب التي تُوفر لهم إطارًا مفهوميًا وتفسيرًا لمأساتهم، مما يمنحهم شعورًا بالأمان والراحة النفسية، وهو عنصر حيوي في عملية الشفاء.

باختصار، تُشكل هذه الممارسات المتنوعة، من الرقية إلى الأعشاب، ومن الكي إلى العلاج الروحاني، جسرًا بين التصورات الثقافية للمرض والاستجابات العلاجية في المجتمع الجزائري. إنها تعكس مدى

خلاصة الفصل

تغلغل الثقافة في فهم الإنسان لصحته ومرضه، وكيف يتفاعل معها مستعينًا بكل ما توفر له بيئته

المعرفية والاجتماعية.

الفصل الثالث:

علاج العقم بالطرق الشعبية

تمهيد

أولاً: ماهية العقم

1/ تعريف العقم.

2/ التصورات الإجتماعية للجسد العقيم.

3/ الآثار النفسية للعقم.

4/ المرأة العقيم في المجتمع الجزائري.

5/ العقم في الاسلام.

ثانياً: الممارسات الشعبية للعلاج العقم.

1/ المعالجون الشعبيين.

2/ المكانة الاجتماعية للمعالج الشعبي.

3/ أصناف المعالجين في الطب الشعبي .

4/ العين والحسد في المعتقدات الشعبية.

5/ السحر والشعوذة كأحد مسببات العقم حسب المعتقدات الشعبية.

6/ الامراض الناتجة عن السحر والشعوذة.

7/ علاقة الاعشاب بالطقوس السحرية.

8/ أنواع الممارسات العلاجية الشعبية التي في تُستعمل علاج العقم.

9/ أسباب التوجه الى الطب الشعبي.

10/ عوامل الشفاء في الطب الشعبي.

خلاصة

إن وصول الطب الحديث إلى ذروته من التطور لا يعني أنه قضى على الطب الشعبي. فهذا الأخير، بأبعاده التقليدية، ما زال منغمساً في الذات العربية. يُلاحظ على الكثير من الفئات اقتناؤها للنوعين، الحديث والشعبي، وهذا ما تؤكد نتائج الدراسات الميدانية التي أثبتت استمرارية الطب الشعبي في العلاجات المختلفة. فالطب التقليدي لا تكاد مدينة أو قرية تخلو منه؛ فهو ظاهرة قديمة تضرب جذورها في أعماق التاريخ البشري، كما أنه يمثل حقلاً تعمل فيه المرجعيات الدينية، والثقافية، وحتى النفسية عملها.

في هذا الفصل، سنحاول التطرق إلى ظاهرة العقم والتصورات الاجتماعية عن الجسد العقيم، بالإضافة إلى معرفة التفسيرات الاجتماعية العامة للمرض، والعقم خاصة. كذلك سنتناول ماهية الطب الشعبي والمعالج الشعبي، أو الشخص الرئيسي في عملية العلاج الشعبي، والمكانة التي يحظى بها، وأهم طرق العلاج. كما سنبحث في أسباب التوجه نحو الطب الشعبي، بالإضافة إلى معرفة عوامل الشفاء في الطرق الشعبية

أولاً: ماهية العقم.

قبل أن نبدأ في تعريف العقم من منظور حديث، يجدر بنا الإشارة إلى أقدم نص جاء على ذكر المرأة العاقر، وهو ما ورد في "الأنوما إيليش"، أسطورة خلق الإنسان السومرية التي تعود إلى حوالي 4500 قبل الميلاد.

بعد أن اتخذ الكون شكله، واستقرت السماء في موضعها وكذلك الأرض، وأصبح كل شيء في مكانه، جاءت الآلهة الأنوناكي، بعد كل الجهد الذي بذلته في تنظيم الكون، تشتكي للإله إنكي وتطلب منه أن يخلق لهم من يحمل عبء العمل ويقوم على خدمتهم. فكان أن خلق إنكي عدة نماذج، جاءت جميعها تعاني من الضعف أو المرض، ومن بينها المرأة العاقر.

من الملاحظ أن الفلسفة الدينية في الطب السومري ارتكزت على مسألة أساسية وهي أن سبب نشوء الأمراض، ومن بينها العقم، إنما هو غضب إلهي يحل على الإنسان لخطيئة ارتكبها¹. هذا التصور يعكس نظرة الحضارات القديمة للعقم كعقوبة أو نتيجة لأفعال غير مرغوبة، وليس كحالة بيولوجية فقط.

¹ / نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الادب الشعبي في محافظة رام الله، قدمت هذه الرسالة، إستمكالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009، ص24.

1/ تعريف العقم:

1.1/ لغة:

وفي المعجم عربي عامة يعرف العقم العَقْمُ والعُقْم، بالفتح والضم، هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد، عَقِمَتِ الرحم عَقْمًا وعُقِمَتِ عَقْمًا وعَقْمًا وَعَقْمًا الله يَعْقِمُهَا عَقْمًا ورحم عَقِيم وعَقِيمة مَعْقومة، والجمع عَقَائِم وعُقْمٌ ، وما كانت عَقِيما ولقد عُقِمَت فهي مَعْقومة، وعُقِمَت إذا لم تحمل فهي عَقِيم وعُقِرَت بفتح العين وضم القاف

وقال ابن الأثير: والمرأة عَقِيم ومَعْقومة، و الرجل عَقِيم ومَعْقوم، ويقال للمرأة معقومة الرحم كأنها مسدودتها ... ورحم معقومة أي مسدودة لا تلد.

وقال الجوهري: العَقَامُ الداء الذي لا يبرأ منه¹.

وجاء في المعجم الوسيط أن العقم "حالة تحول دون التناسل في الذكر و الانثي"²

وأیضا جاء في اللغة ان تعريف العاقر هو : فاعل من عقر يعقر عقرا فهو عاقر لم يلد³.

1.2/ اصطلاحًا

¹ ابن المنظور، مرجع سابق ذكره، المجلد الثاني، ص848،849.

² إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

³ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة المصرية، مصر، الجزء2، 1988. ص512.

يُعرف العقم بأنه عدم القدرة على الإنجاب .وهو عبارة عن مرض عضوي يشترك فيه كل من النساء والرجال، وتختلف القدرة على الإنجاب أو العجز عنها بحسب حالة العقم التي يعاني منها كل فرد¹.

وقد تم تعريف العقم عند الأطباء على أنه: "عدم قدرة الزوجة على الإنجاب لمدة عام رغم حدوث معاشرة زوجية منتظمة دون استخدام أي موانع للحمل." وقيل أيضًا: "هو عدم القدرة على الإنجاب".

أما حسب قاموس لاروس الطبي، فيُعرّف العقم بأنه: "عدم القدرة على إنجاب الأطفال وذلك بعد عامين من محاولات إخصاب منظمة ومثمرة من أجل الإنجاب"².

أما في قاموس علم النفس، يُعرف العقم بصورة عامة بأنه غياب الأولاد وقلق الزوجين بعد مرور وقت على الحياة الزوجية³، هذا التعريف يركز على الجانب النفسي والاجتماعي للعقم، مبرزًا الأثر العاطفي والنفسي على الزوجين.

يشيع في الأوساط الشعبية التعبير عن العقم بكلمة "العقر"، ويُطلق على المرأة التي لا تتجب "عاقرة"، وكذلك الرجل الذي لا يُرزق بأبناء.

وقد عرّف الفقهاء المعاصرون العقم بأنه: "العجز عن الإخصاب الذي يتوقف على قدرة كل من الذكر والأنثى على إنتاج خلايا تناسلية، وهذه الخلايا لا يمكنها الاتحاد فيما بينها للحصول على جنين أو

¹/ سارة علاء عبد الهادي، العقم لدي النساء،مذكّرة مقجّمة لنيل شهادة البكلوريوس في العلوم، جامعة بابل ، ص6،7،

²/ Amdé Dmart ,et jack Bournef , petit Larousse de la médecine , Tome2, librairie Larousse ; paris 1976 ,P503

³/Sillamy,Norber,Dictionnaire de la psychologie , Larousse,Paris,1980, ,P263

حدوث الحمل، أو هو العجز عن الإنجاب لوجود علة أو عيب بالزوجين معًا أو بأحدهما، وهما في سن يسمح لهما بالإنجاب".¹

يعرّف الطبيبان زورن (R.J. Zorn) وسافال (M. Savale) العقم على أنه "استحالة الحمل لسبب متعلق بالمرأة أو بالرجل أو بالزوجين معًا خلال مدة معينة". ويضيفان أن عدم القدرة هذه قد تكون مؤقتة، أي قابلة للعلاج، أو تكون بصورة دائمة وغير قابلة للعلاج.

أما فيليب بورت فيعطي لمفهوم العقم معنى عدم الخصوبة، ويرى أن العقم يوجد أكثر عند النساء لتعقد جهازهن التناسلي من جهة، ولكثرة الأمراض التي قد تصيبه ولا تسمح للمرأة بالحمل، أو الحفاظ عليه لمدة تسمح للجنين بأن يولد حيًا².

يُعرّف العقم بشكل عام على أنه العجز عن الإنجاب. ويُقال للمرأة إنها "عقيم" إذا مارست الجماع بشكل صحيح وبانتظام لمدة تبلغ العام دون حدوث حمل.

وبشكل أوسع، يمكن القول إن العقم هو عدم القدرة على الإنجاب، سواء عند الرجل أو المرأة، وذلك لأسباب متعددة. يتحدد هذا أيضًا باستمرارية الحياة الزوجية لمدة سنة مع حدوث لقاء جنسي منتظم وطبيعي بين الزوجين بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعيًا، ودون استخدام أي موانع للحمل من قبل أي من الطرفين³.

¹ / زياد طارق حمودي نجم، مشكلة العقم وعدم الاخصاب (دراسة فقهية طبية)، مجلة الجامعة العراقية، العدد 48، الجزء 2، ص 156.

² / اسيا عطار، التوافق الزوجي لدى المرأة المصابة بالعقم العضوي الاول، مجلة تاريخ العلوم، العدد 10، 2017، ص 298.

³ / أرزاعي محمد، تمثيلات المجتمع لظاهرة عقم المرأة، قسم العلوم الانسانية، المدرسة العليا للعلوم التطبيقية، تلمسان، ص 116.

1.3 الفرق بين العقر والعقم

يشير مصطلح العقر إلى العقم، ويعني اصطلاحًا "استعقام الرحم"، وهو أن لا تحمل المرأة. يُقال "عقرت المرأة" إذا كانت تستطيع الحمل ولكن هناك علة مانعة يمكن علاجها. ويُعقر الرجل مثل المرأة أيضًا.

وقد جاء في القرآن الكريم، في حكاية عن نبي الله زكريا، قوله تعالى: "لو كانت امرأتى عاقراً" (٢)، أي: عقيماً. ويُستعمل مصطلح العقر أيضاً في سياق الجرح أو الأذى.

العقر أعم من العقم. وقد توصل بعض الباحثين إلى أن كلمة "عقر" يمكن إطلاقها على الحالة التي يمكن شفاؤها أو علاجها، في حين تُطلق كلمة "عقم" على الحالة التي لا يُرجى شفاؤها، أي الدائمة. هذا التفريق الدلالي يُسلط الضوء على الفروق الدقيقة في فهم هذه الظاهرة في اللغة والاستعمالات المختلفة¹.

¹ الطاهر براهيم، العقم بين الطب الشعبي والطب الرسمي في المجتمع الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية 2015، 2016، ص30.

2/ التصورات الاجتماعية للجسد العقيم

2.1/ المرأة العقيم في المجتمع:

تُعتبر المرأة في العديد من المجتمعات، ومنها المجتمع الجزائري، رمزاً للخصوبة والتكاثر والإنجاب، وبالتالي للبقاء والاستمرارية. لذلك، تسعى المرأة جاهدة لإثبات مكانتها في المجتمع والتحلي بالدور المطلوب منها كأُنثى وامرأة. يبدأ هذا السعي غالباً في سن الشباب، حيث تهدف إلى إيجاد الشريك المناسب لتحصل من خلاله على الاعتراف الأولي في المجتمع وتتخلص من صفة "العانس" التي قد تُحط من قدرها ومكانتها. فالمرأة التي لم تتمكن حتى من الزواج، خاصة إذا تقدم بها العمر، غالباً ما تكون محط الأنظار وتتعرض للشفقة، مما يعكس الأهمية الكبيرة التي يوليها المجتمع للزواج والإنجاب في تحديد قيمة المرأة ومكانتها الاجتماعية¹.

تأتي المرحلة الثانية في إثبات مكانة المرأة بعد الزواج والتخلص من صفة "العانس"، حيث تحظى بالاعتراف الجزئي في المجتمع. بعدها، تبدأ مرحلة الإنجاب، الذي من خلاله تثبت مكانتها بشكل كامل، خاصة إذا أنجبت أطفالاً ذكوراً. عندئذ، تكون قد حققت المكانة الاجتماعية المطلوبة منها، وأدت دورها في المجتمع كزوجة وأم.

أما تربية الأطفال والاعتناء بهم، فهي مسؤولية تتقاسمها مع زوجها أو مع عائلتها، بالإضافة إلى وسائل التنشئة الاجتماعية الأخرى التي تساعد على تربية وتلقين أطفالها المبادئ العامة للمجتمع.

¹/ رشيدة سبتي، وضعية ومكانة الحسد العقيم في المجتمع الجزائري - دراسة وصفية تحليلية لعينة من الأزواج العقيمين - أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، 2007، 2008، ص79.

ولكن هناك من تحقق الاعتراف في المجتمع كزوجة، لكنها تخفق في الإنجاب، فلا يحقق الزوجان الهدف الاجتماعي المتعلق بهما كزوجين. هنا تبدأ الاتهامات حول من هو العقيم، ويبدأ الضغط عليهما. غالبًا ما تتوجه جميع أصابع الاتهام نحو المرأة، ويتم نعتها بـ**"العقيم" حتى وإن لم يتضح من هو العقيم منهما فعليًا.

في هذه الحالة، يحظى الزوج بمساندة اجتماعية وعائلية تؤكد له ضرورة الإنجاب، وأنه لا يجب أن يحصر نفسه مع امرأة لا تلد، وأن من الأفضل الإسراع في تطليقها والزواج من ثانية للحصول على الأولاد في أقرب وقت.

هنا تبدأ المشاكل الزوجية، ويقف الزوج ضد زوجته، ويبدأ باختلاق العيوب فيها والتسبب في المشاكل إلى أن ينفذ صبرها وتطلب الطلاق والانفصال¹، أو أن تكون المبادرة منه فيطلقها أو يتزوج عليها بأخرى، نظرًا لضعف موقفها أمامه وأمام المجتمع لأنها "عقيم".

تعيش المرأة العقيم حالة من عدم الاستقرار الدائم. فإذا كانت متزوجة ولم تتجب، فإنها تبقى بصورة أو بأخرى تحت تهديد الطلاق أو الزواج عليها بأخرى، حتى وإن لم يُصرح الزوج بذلك. ففي الثقافة المحلية، من "المعروف" أن مثل هذه الحالات تتطلب إما الطلاق أو الزواج من امرأة ثانية.

تُلقي التصورات الأولية للعقم في الثقافة الشعبية بالمسؤولية الكاملة على المرأة، مما يجعلها تعاني من الانتقاص الاجتماعي. فالمجتمع يصورها بصورة ناقصة وغير مكتملة، وقد يُحجم عن إدماجها أو التعامل معها، خاصة في المناسبات الاجتماعية، لأنها تُعتبر "قَالَ سَيِّئًا". في هذه السياقات، لا يُجدي جمالها أو تعليمها أو حتى مالها نفعًا في تحسين صورتها؛ فوجودها مرهون بقدرتها على الإنجاب.

¹ / نفس المرجع، ص 80.

تُساهم الثقافة والعائلة بشكل كبير في ترسيخ هذا التصور، إضافة إلى الاعتقاد السائد بعدم إمكانية الشك في رجولة الرجل. فالقاعدة أو ما هو متعارف عليه، هو أن كل رجل قادر على الإنجاب، بينما ليست كل امرأة قادرة عليه.

حتى النساء أنفسهن يُسهمن في نشر وتبني هذه الصورة، فالزوجة غالبًا لا تشك في رجولة زوجها وقدرته الجنسية، ولا تتوقع أنه قد يكون هو سبب تأخر الإنجاب. هذا يرجع إلى البيئة والتنشئة الاجتماعية والثقافية التي تزرع في الفتيات أن النقص يكون دائمًا من المرأة لا الرجل. حتى وإن تأكدت المرأة من عقم زوجها، فإنها قد لا تستطيع البوح بالحقيقة؛ لأنها تعتبر ذلك انتقاصًا من قيمتها وقيمة زوجها. بالإضافة إلى ذلك، قد لا تستطيع تطليق زوجها من أجل الإنجاب¹، بل يُطلب منها الصبر والرضا بما هو مقدر لها معه. يجب عليها التضحية والوفاء "للعشرة الزوجية"، ومراعاة زوجها والحفاظ على كرامته؛ لأنها يجب أن تكون مثالًا للتضحية إن صبرت. كما يتم تخويفها بصفة "المطلقة"، التي تُعتبر وصمة اجتماعية أخرى.

2.2 / الرجل العقيم في المجتمع:

إن ما هو معروف وسائد في المجتمعات العربية، والجزائري منها على وجه التحديد، هو أنه لا يمكن الشك أو التشكيك بالقدرة الجنسية والتخصيبية للرجل. هذا الأمر لا يقبل النقاش؛ فالاعتقاد السائد هو أن الرجال يتمتعون بقدرة جنسية وتخصيبية كاملة دائمًا. هذا التصور يُلقى باللوم على المرأة في حالات العقم بشكل شبه حصري، ويُصعب من الاعتراف أو حتى البحث في احتمال أن يكون الرجل هو السبب.

¹ / نفس المرجع، ص 81.

يُسود اعتقاد في المجتمعات، وخاصة العربية، بأن أي رجل بالغ يمتلك قدرة جنسية ورجولية كاملة، وأن هذا الأمر حقيقي وواقعي وُجد معه منذ البداية. لذلك، لا يمكن التشكيك فيه أو طرح احتمالات أو تساؤلات حوله؛ فهو يُعتبر بديهياً، ووجوده وكامله أمر طبيعي وموجود في كل جسد رجل. يُعزى هذا التصور إلى أن الجسد الرجولي يحمل في طياته معاني للشجاعة، والقوة، والقدرة القتالية، والسلطة، وأيضاً القدرة على العلاقات الجنسية.

ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح. فالرجال أيضاً يعانون من ضعف في القدرة الجنسية ومن مشاكل جنسية مختلفة. وهذه المشاكل أو ضعف القدرة يظهران خاصة في ليلة الزفاف، حيث يشعر الكثير من الرجال بالخوف والتوتر من هذه الليلة، خصوصاً من لم تكن لديهم خبرة سابقة أثبتوا من خلالها قدرتهم الجنسية¹.

هذا الخوف نجده بالخصوص عند الشباب؛ لأن ليلة الزفاف تُعتبر امتحاناً لقدرة الرجل الجنسية. فإذا تم فض غشاء البكارة، يُعد ذلك بمثابة إثبات لقدرة، إذا لم يتم فض غشاء البكارة بسرعة وسهولة، ينشأ الشك في قدرة الرجل الجنسية، ويتساءل البعض إن كان "رجلاً كباقي الرجال". ومن هنا، يبدأ الشك في عدم قدرته على تخصيب زوجته أو إنجاب طفل منها، على اعتبار أنه "ضعيف جنسياً".

هناك ارتباط كبير بين عقم الرجل وقدرته الجنسية في التصورات والتفسيرات الاجتماعية. لهذا، نجد نوعاً من التحفظ أثناء النقاش أو التساؤل حول العقم عند الرجال، مع أن العلم أثبت أنه لا توجد علاقة بينهما. فليس كل رجل عقيم هو بالضرورة عاجز جنسياً؛ فهناك من يمتلك قدرة جنسية طبيعية ولكنه عقيم، في حين أن كل عاجز جنسياً هو عقيم لأنه لا يقدر على العلاقة الجنسية مطلقاً. لهذا، في

¹ / نفس المرجع، ص 80، 82.

تعريف العقم، نؤكد أنه عدم القدرة على التخصيب مع القدرة على الممارسة الجنسية العادية والاستمتاع بها.

في المجتمع المحلي، يرى الأفراد أن الإقرار بإمكانية عقم الرجل ينطوي على نوع من الحرج والظعن في رجولته وانتقاص من شخصيته، وهذا يؤثر على مكانته في المجتمع. ولأننا نعيش في مجتمعات ذكورية تسعى للمحافظة على مكانة الرجل، فإنها ترفض وجود العقم عنده. هذه الأفكار منتشرة في مختلف المجتمعات العربية، مع اختلاف طفيف في شدتها¹.

لهذا، فإنه عادةً ما يتم ربط العقم بالمرأة وجعلها المسؤولة الأولى عنه، حتى وإن كان العكس. فكل رجل، في حالة عدم الإنجاب وقبل أن يتم فحصه، يأمل في قرارة نفسه أن تكون الزوجة هي السبب، لما يرى في ذلك من نقص وحرج له، وحتى إن كان العلاج ممكنًا له.

كما تلعب التصورات العامة للعقم دورًا كبيرًا، فهي ترى فيه انتقاصًا من الرجولة ولا تعتبره مرضًا كباقي الأمراض التي تصيب الرجل، كما يمكن أن تصاب به المرأة. لهذا، فإن التصورات العامة تسعى دائمًا للحفاظ على مكانة الرجل داخل الجماعة من خلال التكتم على موضوع عقم الجسد الذكوري. فالرجل "رجل" حتى بدون الإنجاب، عكس المرأة.

أما فيما يخص تعامل الأسرة والمحيطين، فهناك من يُشعره في كل المواقف بالنقص والعجز، وهناك من يُشفق عليه ويعمل على مساعدته، خاصة إذا كان يعاني من العقم الروحاني، فيكون هناك تعاطف كبير

¹ / نفس المرجع، ص 80، 82.

معه. ولهذا، فإن التكتّم عن عقم الرجل يكون لأن حكم المجتمع على الرجل العقيم يكون أقسى بكثير من المرأة، لأنها في التصورات الاجتماعية تكون دائماً ناقصة. فعقم الرجل أمر من عقم المرأة¹.

3/ الآثار النفسية للعقم :

يُفترض بالزوجين اللذين تربطهما علاقة جنسية منتظمة لأكثر من عامين دون حدوث حمل، أنهما يعانيان من العقم عند أحدهما أو كليهما. ولهذا، يجب عليهما الخضوع للعلاج الجسدي والنفسي معاً، وليس التركيز على أحدهما دون الآخر. التعاون في الإجراءات العلاجية وتقديم الدعم المعنوي في مثل هذه الحالات له أثر إيجابي كبير على التحسن الصحي. وفيما يلي، سنوضح الأثر النفسي للعقم على كل من الزوج والزوجة:

3.1/ الآثار النفسية للعقم على المرأة:

يؤدي تأخر الإنجاب والعقم إلى التوتر والقلق والاكتئاب لدى الزوجين، وبالتالي حدوث خلافات ومشاكل زوجية. غالباً ما يتم تبادل الاتهامات حول سبب "المشكلة المفتعلة" التي لا وجود لها في واقع الحال بقدر ما هي تغليف لمشكلة حقيقية، وهي عدم القدرة على الإنجاب وغياب الأبناء.

هنا تلعب الفروق الفردية والمعرفية للزوجين دورها في تأجيج المشكلة. ففي ظل تدني درجات الوعي الصحي، تُعتبر الزوجة هي المسؤولة عن العقم في كل الحالات. لهذا، يبحث الزوج عن حلول أخرى

¹/ ريشدة السبتي، نفس المرجع، ص83.

وهي الطلاق والزواج مرة أخرى من أجل أن يصبح أبًا. قد يحدث هذا، ولكن قد يكتشف لاحقًا أنه هو المسؤول عن العقم وليس زوجته¹.

يُسبب العقم آثارًا نفسية عميقة على المرأة، حيث تشعر بالفشل والخجل والنقص. تفقد ثقتها بنفسها كأنثى لأنها غير قادرة على أداء مهمتها الأساسية كأمراة وهي الإنجاب، وبالتالي لم تستطع إشباع فطرتها في أن تصبح أمًا، لهذا، تصبح المرأة العقيم عدائية وتتجنب الزيارات العائلية أو الظهور في التجمعات؛ حتى لا تسمع تعليقات أو تساؤلات تذكرها بعجزها، أو ترى نظرة المقت ممن يكرهونها، أو لتتجنب نظرة الشفقة. تصبح أكثر حساسية تجاه أي كلمة أو إشارة إلى موضوع الإنجاب وإلى نفسها عمومًا. وفي الغالب، تشعر بالذنب تجاه زوجها؛ لأنها تعتقد أنها السبب في حرمانه من أن يكون أبًا إذا تضحمت هذه المشاعر لديها، قد تُصاب بالاكتئاب الذي يجعلها حزينة ومنعزلة².

ترتبط ردود أفعال المرأة العقيم بشكل وثيق بمستواها الثقافي والاجتماعي. فمنهن من تتقبل الأمر ببساطة وتعتبره قضاءً وقدراً لا بد من التكيف معه بإيجابية، ساعيةً للبحث عن بدائل أو سُبُل أخرى لإشباع غريزة الأمومة³.

وعلى النقيض، ينعكس الأمر على نفسية أخريات بشكل مؤثر وسلبى للغاية. إن ضغط المحيط الاجتماعي الذي يربط بين قيمة المرأة وقدرتها على الإنجاب، هو السبب الرئيسي وراء هذا الألم النفسي

¹ / أميرة وحيد خطاب، اثار العقم الاجتماعية والاقتصادية على المرأة دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة اداب الرافدين، العدد 63، 2012، ص13، 15.

² / أميرة وحيد خطاب، نفس المرجع، ص16.

³ / جهيدة بن سديرة، أثر العقم على صورة الذات لدى المرأة العقيمة، مذكرة ماستر علم النفس العيادي، جامعة بسكرة، 2013، ص59.

العميق الذي تواجهه المصابة بالعقم. فالتصورات السائدة، التي تُعلي من شأن الإنجاب كجوهر لوجود المرأة، تُحدث شرخاً في تقديرها لذاتها وتُشعرها بالنقص والدونية، مما قد يؤدي إلى عواقب نفسية وخيمة¹. قد تشعر المرأة العقيم بأنها أصبحت قبيحة الشكل وتهمل مظهرها، وتفقد الرغبة في العلاقة الزوجية وتراها بدون فائدة. كما قد تفقد رغبتها في بقية الأشياء الأخرى في حياتها، مما ينعكس سلباً على جودة حياتها بشكل عام.

في المقابل، نجد بعض النساء العقيمت يلجأن إلى تعويض هذا النقص والبحث عن حلول أخرى غير الإنجاب لتحقيق الأمومة. فينخرطن في مجالات مثل التدريس، خاصة في رياض الأطفال أو في مجال الطفولة المسعفة، أو التمريض، أو كفالة الأيتام. هذه السبل توفر لهن فرصة لإشباع غريزة الأمومة والعطاء بطرق بديلة، وتساعدن على إعادة بناء تقديرهن لذاتهن وشعورهن بالرضا.

3.2/ الآثار النفسية للعقم على الرجل:

تختلف شدة الرغبة في الإنجاب بين الرجل والمرأة. فالمرأة غالباً ما تكون أكثر رغبة في الإنجاب وتحقيق حلم الأمومة، وذلك بالنظر إلى طبيعة تكوينها النفسي والجسدي. أما الرجل، فتتبع رغبته في الإنجاب أساساً من أجل الحفاظ على اسمه، ويركز على الأولاد (الذكور خاصة) لكي يخلفوه بعد موته. قد يكون الرجل عقيماً فلا يتأثر بنفس القدر، خاصة إن لم يكن من الأعيان والشخصيات المهمة، أو لم يكن لديه أصلاً ما يمكن توريثه.

¹ / محمد عبد الفتاح المهدي، الصحة النفسية للمرأة قصص واقعية من العيادة النفسية، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص59

حتى وإن كان الرجل متأثرًا في داخله بعدم الإنجاب ولا يتقبل وضعه، فإنه لا يظهر ذلك. يرى أنه يجب أن يبقى صامدًا وقويًا وثابتًا أمام العائلة، ولا يُظهر ما يعتريه من ألم وشعور بالنقص لعدم الإنجاب، بل يبقى كل هذا داخله. عكس المرأة التي تظهر عليها المشاعر بشكل مباشر، يعبر الرجل بطرق غير مباشرة عن تحدياته، خاصة في المجتمعات العربية حيث يحب الرجل أن يكون كاملاً ولا يوجد فيه أي نقص، خصوصًا في هذا الجانب "الرجولي".

لكن، وبالرغم من ذلك، فإن المجتمع لا يلوم الرجل علانية ولا يُشعره بالنقص والتقصير. بل في مثل هذه الحالات، يتم تجاهل الموضوع ويُربط بـ **القدر**، ويُطلب من المرأة الصبر والتحمل، ويُشاع أنه "يمكن العيش" (بدون أطفال)¹.

وأن العشرة والتفاهم في الزواج أهم بكثير، وأن الزواج ليس مبني على الأولاد فقط. ولذلك، يُطلب من المرأة الصبر والوقوف مع زوجها في هذه الحالة².

¹ / رشيدة سبتي، تأثير العقم على الأزواج من الناحية النفسية نظري تحليلية للأسباب والآثار النفسية للعقم على المرأة والرجل، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، العدد 4، 2012، ص40.

² / رشيدة سبتي، تأثير العقم على الأزواج من الناحية النفسية نظري تحليلية للأسباب والآثار النفسية للعقم على المرأة والرجل، نفس المرجع، ص41.

4/ المرأة العقيم في المجتمع الجزائري

لقد كان الاعتقاد السائد منذ القدم أن المرأة هي المسؤولة الوحيدة عن العقم، ويُعطى الحق للزوج بالزواج مرة أخرى أو تطليق زوجته إذا لم تتجب، بحيث كانت المرأة وحدها هي التي تتحمل النتائج. على الرغم من أن ظاهرة العقم تخص أو قد تكون عند الجنسين على حد سواء، إلا أن المجتمع يخصص بها المرأة أكثر من الرجل، وذلك لأسباب كثيرة منها ما هو بيولوجي، ونفسي، واجتماعي.

وأهم هذه الأسباب هي أن المرأة هي من ترتبط بالحمل بالنظر إلى البنية الجسدية، عكس الرجل. فالاعتقاد السائد هو أن الرجل "مخصب" والمرأة "ولود". وفي حالة عدم وجود حمل وغياب الإنجاب، ودون مناقشة أو محاولة لمعرفة الأسباب، تكون المرأة هي المسؤولة تلقائياً.

يُعتبر سلوك العائلة الجزائرية بصفة عامة سلوكاً ديمغرافياً؛ فالأب والأم تُقدر قيمتهما من خلال عدد الأطفال الذين ينجبونهما، وحتى جنس الأطفال له دور في ذلك. ومن هنا، كانت النظرة إلى العقم مرادفة لنظرة الموت والفناء. لا يزال يُنظر للمرأة كمتهم أول بالعقم. فإذا ثبت عليها العقم، فإنها مهددة إما بالطلاق أو بدخول امرأة أخرى لتكون زوجة لزوجها، لتحقيق ما عجزت هي عن تحقيقه. فالمرأة العقيم في المجتمع الجزائري تُعاني، حيث تعتبرها الأسرة امرأة مشؤومة ومكروهة، خاصة من قبل أهل الزوج¹.

يُولي المجتمع الجزائري قيمة كبيرة للمرأة "الولود"، خاصة تلك التي تتجب الذكور، على عكس التي تتجب البنات. أما المرأة التي لم تتمكن من أداء وظيفتها وتحقيق دورها كأم، فتكون مكانتها ضعيفة.

¹ /Zerdoumi Nafissa : Enfant d'hier d'éducation de l'enfanti on milieu traditionnel, algérien
ED Maspor, paris , 1979 ,P27

والطريقة الوحيدة لرفع مكانتها وتجنب نظرة المجتمع لها هي بالإنجاب، الذي من خلاله تثبت مكانتها وتحصل على الاعتراف بها في المجتمع.

بغض النظر عن ثقافة المجتمع ونظرته للمرأة، فإن الأنثى تتميز بغريزة الأمومة، التي تُعد ظاهرة بيولوجية. فالأم ينتابها شعور خاص عندما تكون حاملاً أو على وشك استقبال طفل، حيث تشعر بالسرور والارتياح¹، تُشبع الغريزة الفطرية فيها وهي الأمومة والإنجاب. على العكس، فإن المرأة التي تعاني من العقم تكون في حالة من عدم الثقة وعدم الارتياح والشعور بالنقص؛ لأن جانباً منها غير مكتمل.

5/ العقم في الاسلام

قال الله تعالى {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)}. الشوري الاية 50/49، في معنى هذه الآية، أن الله يهب لعباده الإناث دون البنين، أو يهب لهم الذكور، أو "يزوجهم ذكراً وإناثاً" أي يعطيهم الذكور والإناث معاً. ويجعل من يشاء عقيماً، أي بعض الرجال والنساء، فلا يُولد لهم.

وقد ذكر البيضاوي أن المعنى يشير إلى أحوال العباد في الأولاد على مقتضى المشيئة؛ فيهب لبعضهم صنفًا واحدًا إما ذكورًا أو إناثًا، أو يعطيهم الاثنين معاً، ويعقم آخرين. والمراد من الآية هو بيان نفاذ قدرته تعالى وتنوع خلقه وعطائه.

¹/ مصطفى بوتقنوش، مرجع سبق ذكره ، ص 321.

أما الإمام ابن كثير، فقد قال إن الله تعالى جعل الناس أربعة أقسام فيما يخص الذرية:

1. من يُعطيه البنات فقط.

2. من يُعطيه البنين فقط.

3. من يجمع له بينهما، فيرزقه ذكورا وإناثا.

4. من يمنعه من هذا وذاك، فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد.

ويُعتبر الإنجاب، سواء كان ذكورا أو إناثا، هبة ونعمة من الله. أما من حُرِمَ من هذه النعمة، فليتذكر نعم الله الأخرى التي لا تُحصى ولا تُعد، كما جاء في قوله: ﴿وَعَاثَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾ سورة ابراهيم 34 الآية .

كم من زوجين لا توجد لديهما موانع للإنجاب ومع ذلك لم ينجبا، ومع ذلك لم ولن ينجبا إلا إذا أراد الله. وكم من الأزواج وجد عندهم أحد موانع الحمل وأكد لهم الأطباء عدم قدرتهما على الإنجاب، بل واستحالة الأمر في بعض الحالات، ولكن إرادة الله قضت لهما أن ينجبا بإذنه.

ومع ذلك، فإن الأخذ بالأسباب والعلاج من أسباب العقم لا مانع منه شرعاً ولا يتنافى مع التوكل على الله. فالتوكل الحقيقي يتضمن بذل الجهد والسعي، ثم تفويض الأمر لله تعالى بعد ذلك¹.

من المعروف طبياً أن الرجل قابل للإنجاب مدى الحياة، عكس المرأة التي لديها مدة معينة تمتد من سن البلوغ إلى حوالي الأربعين عاماً. ولكن قدرة الله فوق كل شيء. وهنا نذكر قصة سيدنا زكريا عليه

¹ / سارة مداس، العقم والانجاب في الثقافة الشعبية - دراسة أنثربولوجية في منطقة سيدي خالد نموذجاً (بسكرة)، مذكرة ماستر، جامعة محمد خضير بسكرة، 2020، ص32،33.

السلام، حين دعا ربه وهو صابر أن يهب له الأولاد وذلك في قوله سورة مريم ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا 8 قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ سورة مريم الآية 9/8.

ثانياً / الممارسات الشعبية للعلاج العقم.

يعكس الطب الشعبي الارتباط بين مختلف عناصر التراث الشعبي. أي أن الأساليب العلاجية فيه تتدخل مع العناصر الثقافية ومجموعة العادات والمعتقدات التي تتكون منها الثقافة المحلية. يرتبط الطب الشعبي كثيراً بالمعتقدات المتعلقة بالسحر، حيث لا نستطيع في كثير من الحالات الفصل بينهما. فعادةً ما يتم اكتشاف هذه الأمراض ومعرفة أسبابها من خلال المعالج الشعبي أو الشيخ. يُرجع سبب حدوث الأمراض إلى القوى الخارقة للطبيعة مثل الآلهة أو الكائنات غير الإنسانية مثل الأرواح، والأشباح، والمس، أو الحسد، والسحر، والإصابة بالعين¹.

ويمكن تحديد خمسة عوامل يُعتقد أنها المسؤولة عن حدوث الأمراض حسب المعتقد الشعبي وهي:

- اختراق القواعد والحرمان: الإيمان بأن تجاوز بعض المحرمات أو القواعد الاجتماعية والدينية قد يؤدي إلى المرض.
- الأرواح: الاعتقاد بأن الأرواح الشريرة أو الجن قد تتسبب في الأمراض (المس).
- اختراق المجال المادي وحدث الأمراض: الإيمان بأن قوى غير مرئية يمكن أن تؤثر على الجسد المادي وتسبب العلل.

¹ / أمين فيصل قويسمي، ظاهرة انتشار طب الاعشاب في الوسط الحضري دراسة ميدانية لمدينة _ الجزائر _، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة الجزائر 2، 2015/2014، ص 203.

• فقدان الشعور بالروح: حالة من الانفصال النفسي أو الروحي يُعتقد أنها تؤدي إلى اعتلال الصحة.

• السحر والحسد: الاعتقاد بأن الأعمال السحرية أو حسد الآخرين يمكن أن يسبب المرض.

تُعتبر هذه الأسباب عن معتقدات أفراد المجتمع نحو المرض والأفكار السائدة حول مسبباته. ولأن هذه الأسباب خارج نطاق الطب الحديث من حيث علاجها أو الوقاية منها، فإن العلاج منها يكون على يد المعالج الشعبي المتخصص، وذلك بمجموعة من الطقوس والممارسات العلاجية التي تندرج ضمن إطار الطب الشعبي¹.

لا بد من الاعتراف بأن للطب الشعبي دورًا إيجابيًا يمكن الاستفادة منه في علاج أمراض مختلفة، فهذا لأنه ليس كله شعوذة ودجل. كما أن المعالج الشعبي يمتلك معرفة عملية، بالإضافة إلى معرفته بعادات ومعتقدات الناس من حوله. وهو بهذا يستطيع التواصل والتقرب منهم ومخاطبتهم بالشكل الذي يسهل عليهم فهمه، عكس الطبيب.

لعل هذا ما دفع الصينيين إلى مزج الطب الشعبي مع الطب الحديث، وهذا ما أدى إلى تحسن الخدمات الصحية لديهم. ومن أكثر الأساليب العلاجية الشعبية المعروفة عندهم وفي العالم هي الوخز بالإبر، بل إن هناك تخصصات وكليات لهذا النوع من العلاج في الغرب².

¹ / نفس المرجع، ص 204.

² / نخبة من أساتذة الجامعات في العالم العربي، طب المجتمع، ص 153.

01/ المعالجن الشعبيين.

لقد تعددت تعاريف المعالج الشعبي، ولكنها كلها تتفق على أنه الشخص الذي يعالج الأمراض سواء كانت الجسدية، أو النفسية، أو الروحية. يمتلك المعالج الشعبي سلطة ودورًا فعالًا في المجتمع الذي يتواجد فيه، وخاصة في المجتمعات التقليدية. يعود هذا إلى قدراته على علاج العديد من الأمراض، وخصوصًا إذا كان يتميز بقدرات خاصة في العلاج الروحاني والأمور الغيبية والسحرية، مما يجعله شخصية مقدسة في بعض الثقافات.

تختلف التصورات حول المعالج الشعبي باختلاف الثقافات والمجتمعات. فمثلاً، يُطلق لفظ "جافا" (Java) على المعالج الشعبي في إندونيسيا، ويُشترط أن يكون كبيرًا في السن ويمتلك خبرة واسعة ومهارات عالية ومعرفة كافية في طرق العلاج التقليدية والروحية والنفسية، بالإضافة إلى القدرة على التواصل الروحي مع العالم الآخر وما يتعلق به من أمور غيبية، وقدرته على إعداد وصفات علاجية مختلفة¹.

02/ المكانة الاجتماعية للمعالج الشعبي.

إن المعارف والخبرات والمؤهلات التي يتمتع بها المعالجون لها أهمية كبيرة وتأثير مباشر على صحة المريض. ولاكتساب هذه المهارات والمؤهلات، لا بد من توافر شروط مناسبة تختلف من ثقافة إلى أخرى ومن معتقد إلى آخر.

¹ / سعيدة شين، التصورات الاجتماعية للطب الشعبي، مراجع سابق ذكره، ص 220.

في بعض البلدان، أصبح لزامًا على المعالج الشعبي أن يكون لديه برنامج تدريبي معتمد. ففي أمريكا الشمالية، على سبيل المثال، يجب على المعالج المختص في العلاج اليدوي، والمداواة الطبيعية، وطب الأعشاب، و"الهياكل العظمية" (والذي يُقصد به غالبًا التجبير أو تقويم العظام)، أن يكون قد التحق ببرامج تعليمية بمستوى جامعي في هذه التخصصات.

وكذلك الحال في الصين وكوريا والهند ودول أخرى؛ أي أنه لكي تصبح معالجًا شعبيًا، لا بد من امتلاك شهادة جامعية في هذا المجال. هنا نرى أن الطب الشعبي انتقل من المرحلة غير الأكاديمية والعامة وغير الرسمية إلى التعليم والتدريب الممنهج، وتم وضع قوانين خاصة بالمعالجين والطب الشعبي.

ففي النظام التعليمي الخاص بالمعالجين بالطب الشعبي في الهند، نجد أن هناك 6 تخصصات أكاديمية معترف بها تنتمي إلى الطب الشعبي، وهي: الأيروفيدا، واليوغا، والطب الطبيعي، والطب اليوناني، وطب السيدها، وطب المعالجة المثلية. وقد وُضع لهذه التخصصات برنامج تعليمي ثابت خاص بها¹.

في الجزائر، نجد أن المعالج الشعبي يتخذ عدة أشكال مختلفة باختلاف المناطق والثقافات. لكن بشكل عام، نجد:

- **المجبرون:** وهم الأشخاص الذين لديهم القدرة على علاج مختلف الكسور أو آلام العظام بوصفات طبيعية.

¹ / منظمة الصحة العالمية، مرجع سابق ذكره، ص ص 30، 31.

- المعالجون بالكي: وتُعالج هذه الطريقة عدة أمراض مثل "الخلعة" وأمراض الرئة والكسور.
 - الحجامون: وهم من يمارسون الحجامة.
 - المعالجون بالأعشاب: أو ما يُطلق عليه بالعامية "دواء العرب".
 - الرقاة: وهم من يمارسون الرقية الشرعية.
 - المعالجون بالزlar: وهي طقوس علاجية يُعتقد أنها تعالج الأمراض الناتجة عن المس الشيطاني أو الأرواح الشريرة.
- يشارك هؤلاء المعالجون في نوع المواد المستخدمة في العلاج، وهي غالبًا الأعشاب والزيوت الطبيعية¹ من خلال مجتمع الدراسة، وجدنا أن المعالج الشعبي في الجزائر لا يحمل أي مؤهل علمي مُقدم من جهات تعليمية أو تكوينية، إلا فيما يخص المختصين في الحجامة (التي بدأت تكتسب نوعًا من التنظيم). حيث إن مؤهلات المعالج الشعبي في المنطقة تكون عن طريق الوراثة "أبًا عن جد"، التي يتناقلونها فيما بينهم شفاهيًا أو كتابةً، أو من خلال تجاربهم ومهاراتهم وخبرتهم. هذا ما يجعل الثقة في العلاج والمعالج نظامًا ثقافيًا يقوم على أساس المعتقدات والأعراف والقيم السائدة في المجتمع، والتي تُنقل إلى الأفراد من خلال التنشئة الاجتماعية.

¹/ سعيدة شين، نفس المراجع، 221.

وقد أشار شاوزل إلى أن المجتمع هو الذي يضع المعايير لما هو صحي أو ما هو مرضي، وهو الذي يوجهنا في المجال الصحي، ويُحدد الأدوار بين المريض والمعالج. هذا يؤكد أن الطب الشعبي ليس مجرد ممارسات فردية، بل هو جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع¹.

يكتسب المعالج الشعبي مكانته من خلال شهادات الناس بنفعية العلاج عنده، أو من الشهرة التي حققتها عائلته في مجال العلاج. أما الراقي، فإنه يتلقى العلم والقرآن وأصول الفقه وأحكام الدين من المدارس القرآنية.

لكن هذا لا ينفي وجود معرفة واقعية لدى المعالج الشعبي؛ حتى وإن لم تكن هذه المعرفة جامعية وأكاديمية، فهي ناتجة عن تجارب وخبرات حققت النجاح والشفاء عبر أجيال، مما أدى إلى بقائها واستمرارها حتى يومنا هذا.

03/ أصناف المعالجين في الطب الشعبي

3.1/ الساحر أو الطالب أو العازم:

الساحر بصفة عامة هو الشخص - سواء كان رجلاً أو امرأة - الذي يقوم بأعمال السحر، وقد يكون محترفاً أو هاوياً، بقصد ضرر غيره أو إفادته. وتكون الوسائل والطرق والمواد التي يستعملها الساحر غامضة ومجهولة².

¹ / Stoezel. J "Le malade, la maladie et médecin ; esquisse d'une analyse psychosociale," edition jacquegandini, paris, p121.

² / رسيده السبتي، مرجع سابق ذكره، ص 87، 88.

ما أشارت "ماتيا غودري" إلى الدور الذي تلعبه الساحرة الجزائرية، وهو دور طبي سحري بالدرجة الأولى. يشكل هذا الدور مرجعًا هامًا لكل التساؤلات المتعلقة بالحمل والولادة. ومع ذلك، فإن الوسائل التي تستعملها الساحرة تكون غالبًا غير مجدية، بل قد تكون مهلكة وضارة¹.

اكتسب الطالب أو الراقي شهرته بقدرته على شفاء بعض الأمراض المستعصية ومساهمته الفعالة في حل المشاكل التي تتخبط فيها بعض الأسر. حتى في تسهيل المعاملات التجارية، يُعد مقصدًا للعديد من الرجال والنساء على حد سواء، بنسب متفاوتة، على الطالب أو الراقي. ويعالج المريض بكتابة مجموعة من الطلاسم والتعاويذ والأحجية التي تتضمن عبارات سحرية مكتوبة بلغة غير مفهومة للعامة. أما من يريد الاطلاع على ما يخبئه المستقبل، فيمكنه ذلك باستعمال كتاب التجيم للاطلاع على الغيب.

3.2 / الشوافة:

يُطلق عليها اسم القزّانة، وفي بعض الأحيان المشعوذة أو السحارة. هي تتعامل مع النساء والرجال معًا، وتدّعي الاطلاع على الغيب باستخدام أوراق الكوتشينة (تُعرف شعبيًا بـ "تضرب الكارطة"). كما تستخدم مواد مثل الملح أو البقول الجافة منها الشعير، والقمح، والفلول اليابس، وحتى بعض الدنانير. وتقوم أيضًا بسكب الرصاص وقراءته. كما أنها تستعين ببعض العقاقير والنباتات لعلاج المترددين عليها².

¹ / Mathéa gaudry ,opcit ,p 234.

² / بن عاشور الزهوة، ممارسة السحر والشعوذة في المجتمع الجزائري، مجلة أفاق لعلم الاجتماع، العدد 1، المجلد 4، 2014، ص 48.

3.3/ العرافة:

لغةً، تُطلق كلمة "عرافة" على حرفة العراف، والعراف هو المنجم وطبيب العرب. والعرافة هي فن التنبؤ بواسطة الاتصال بالأرواح.

ترتد كلمة "عرافة" في معناها الأصلي إلى معنى آخر عكس ما صار شائعاً عنها؛ فلقد كان العراف هو الشخص صاحب الحكمة والبصيرة. لكن كلمة "عرافة" استُخدمت لاحقاً على كل من اشتغل بالسحر بواسطة التنجيم أو الرجم بالغيب، سواء كان الممارس لها رجلاً أو امرأة. والواقع أن السحرة والمنجمين كان الاعتقاد المنوط بهم أنهم يملكون قوى خارقة للطبيعة وأنهم يستطيعون معرفة الغيب¹.

كانت العرافة موجودة عند أمم كثيرة وبطرق مختلفة. فالآشوريون والكلدانيون مارسوها عبر تتبع مسارات النجوم، أما المصريون فضرب علم التنبؤ بالغيب عندهم بجذوره في أعماق العصور. وفي آسيا الصغرى، مارسوا العرافة عبر التطير. أما الإغريق، فلم يُقدِّموا على استيطان مكان ما إلا بعد استشارتهم لنبوءة دلفي أو دودونا؛ لأنهم اعتادوا أن يلتمسوا مشورة آلهتهم.

كانت ممارسة العرافة واستشارة النبوءات ومحاولة التعرف على مشيئة الآلهة معتقداً مرتبطاً بالإيمان بالأمور الغيبية وعدم اليقين. فقد كان يُعتقد أنه من الأفضل استشارة قوة عليا من أجل الاسترشاد في اتخاذ القرار المناسب².

^{1/} رشيدة سبتي، وضعية ومكانة الحسد العقيم في المجتمع الجزائري - دراسة وصفية تحليلية لعينة من الأزواج العقيمين - ، مرجع سابق ذكره ، ص 87، 88.

^{2/} عبد العزيز إمام محمود أحمد، أنواع العرافة وطرقها عند شيشرون قراءة في الكتاب الاول من محاوره " عن العرافة De Divinatione"، أوراق كلاسيكية، العدد 18، 2021، ص ص 213، 214 .

3.4 / الكهانة

لغةً، الكاهنة هي حرفة الكاهن. والكاهن هو كل من تعاطى علمًا دقيقًا وكهن له كهانة، أي أخبره بالغيب، فهو كاهن. وقد كان معروفًا عند العرب في الجاهلية أن نفرًا من العرب الذين وصلتهم أسرار سليمان الحكيم السحرية، كانوا يعيشون في أماكن بعيدة ومعزولة عن الطرق الرئيسية. وكان يُطلق عليهم اسم الكهان، وكانوا يدعون معرفة الغيب.

في الرواية الإسلامية، هناك أصناف للكهانة. فمنها ما يتلقاه الكهنة من الجن، وذلك لأن الجن كانت تصعد إلى السماء وتسمع الكلام، وذلك مذكور في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ

مُبِينٌ ﴿ سورة الحجر الآية 18

أما النوع الثاني من الكهانة في الرواية الإسلامية، فهو ما يخبر به الجني من يُواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان، وغالبًا ما يطلع عليه من قريب. وفي روايات أخرى، يُقال إنه يأتي به من القرين.

النوع الثالث من الكهانة يستند إلى الظن والتخمين والحدس. أما النوع الرابع، فيكون بما يُستدل به عن طريق التجربة أو حادثة وقعت قبل ذلك¹.

الكُهَّانُ أو الكَهَنَةُ، وهم جمع كاهن، هم قوم يُدَّعى أنهم يتصلون بالشياطين. كانت هذه الشياطين تسترق السمع من السماء وتُخبر الكاهن بما سمعت، ثم يُضيف الكاهن إلى هذا الخبر ما يشاء من الأكاذيب والأخبار غير الصحيحة، ليُخبر بها الناس. إذا حدث ووقع شيء مما أخبر به الكاهن، يعتقد

¹/ رشيدة سبتي، وضعية ومكانة الحسد العقيم في المجتمع الجزائري - دراسة وصفية تحليلية لعينة من الأزواج العقيمين - مرجع سابق ذكره ، ص 88،87.

الناس أنه عالم بالغيث، فيلجؤون إليه للحكم في أمورهم، ويصبح مرجعاً لهم. ولهذا يُسمون الكهنة؛ إذ يُزعم أنهم يُخبرون عن أمور ستقع في المستقبل، مثل قولهم: "سيقع كذا وسيقع كذا"¹.

ليس من الكهانة ما يُخبر به عن أمور تُدرك بالحساب، مثل الإخبار عن كسوف الشمس أو خسوف القمر، فهذا ليس من الكهانة لأنه يُدرك بالحساب الفلكي الدقيق. كذلك، الإخبار بأن الشمس ستغرب في يوم معين وفي ساعة محددة، فهذا ليس من علم الغيب. وبالمثل، القول بأن مذنّب (هالي) سيخرج في أول العام أو العام الذي يليه، فهذا ليس من الكهانة على الإطلاق، فهو يعتمد على الحسابات الفلكية. وأخيراً، الإخبار عن أحوال الطقس لا يُعد من الكهانة؛ لأنه يستند إلى أمور حسية وعلمية مثل دراسة الظواهر الجوية والضغط الجوي ودرجات الحرارة وغيرها².

يُضفي السحر على ممارسيه والمشتغلين به قوة اجتماعية كبيرة. فنجد أن الساحر يتمتع بنفوذ وتقدير وسلطة. وهنا، يلعب السحر دوراً وقوة هامة في الضبط الاجتماعي، حيث يمكن أن يؤثر على سلوك الأفراد والجماعات، سواء بالترغيب أو الترهيب، بناءً على الاعتقاد بقدراته الخارقة

¹ / محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، الجزء 2، دار ابن الجوزي، ص 531.

² / نفس المرجع، ص 531.

04/ العين و الحسد في المعتقدات الشعبية

4.1/ العين

4.1.1/ تعريف العين لغة:

العين لغةً، مشتقة من **الحسد** على الشيء، وهي تمنى أن تتحول نعمة شخص وفضيلته إلى الحاسد أو أن تُسلب منه. فأن تحسد شخصاً على النعمة يعني أنك كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه. العين إذاً هي أن تتمنى زوال نعمة المحسود. ويُقال "حسد على الشيء" بمعنى تحاسد القوم. و"قوم حسدة" كـ "حامل وحملة". أن تحسده يعني أن تتمنى أن تتحول إليه نعمته أو أن يسلبها. وتقول العرب "حسدني الله إذا كنت أحسدك"، أي: عاقبني الله على حسدي إياك.

4.1.2. العين اصطلاحاً

العين هي أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه. أما **الغبطة** (وليس "الضبط" كما ورد في النص، فالنص يقصد الغبطة وهي التمني أن يكون لك مثلها) فهي أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها.

إن العين في حد ذاتها انفعال نفسي وعقلي يتمنى خلاله الحاسد أن تزول نعمة أو حالة معينة موجودة لدى المحسود¹.

من خلال هذه التعريفات، يتضح لنا أن العين هي آفة من الآفات الكبرى للنفس. ونلاحظ أيضاً من هذه التعريفات أن الحساد هم أناس مرضى نفسيون، تحكم الشيطان بنفوسهم وقلوبهم. وقد حث النبي –

¹ / صباح قاسم سعيد الرفاعي، نفس المرجع، ص 259، 262.

صلى الله عليه وسلم - في أكثر من موضع على البعد عن العين فقال: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام."

كما أن الاعتقاد بالعين ليس موجودًا فقط عند العرب وحديث الظهور، بل كان الفينيقيون والفرعنة أيضًا يعتقدون بالإصابة بالعين وآمنوا بضررها. لهذا، تصدوا لها من خلال الوقاية أو العلاج منها ومن أذاها ومن الأمراض التي قد تسببها بعدة وسائل منبثقة من المعتقدات الموجودة لديهم، وهي إما أن تكون من خلال الطب، أو السحر، أو الأحجية، أو التعاويذ. وقد كانت العين والإصابة بها هاجسًا يُقلق الناس منذ القدم. وهذا القلق والخوف نجده متشاركًا عند الشعوب التي تؤمن بالعين كالساميين والآريين وسكان مناطق البحر الأبيض المتوسط. ولعل ما يؤكد هذا الاعتقاد أنه تم اكتشاف بعض الحفريات في مصر والعراق وسوريا تحتوي على آثار وبقايا لأحجية وتعويذات وتماثيل بها رموز وأشكال مختلفة للعين، وفي الغالب صُنعت لتحمي حاملها من العين¹.

نظرًا لأن الأفكار المتعلقة بالإصابة بالعين تتملك صاحبها وتستحوذ على تفكيره، يدفع هذا الأشخاص إلى اتخاذ أسلوب دفاعي وممارسة طقوس معينة بشكل مستمر من أجل دفع الأذى عنهم وعن المحيطين بهم.

وهنا لا بد من تحصين النفس في كل الأمور. فالبعض قد يصيبك بالعين من غير قصد، لمجرد إعجابه بملابسك أو مظهرك. لذا، وجب عليك أنت أيضًا إذا أعجبك شيء أن تُسمي اسم الله عليه وتقول: "ما شاء الله، ربي يبارك". فهذه الأقوال قد تحمي الناس من عينك أنت إذا نظرت وأعجبت

¹ / Edward Westermarck, Surirvnces parennnes dans la civilisation mahométaine .Ed payot. Paris.1935P75.

بالشيء. فالإصابة بالعين ليست بالضرورة أن تكون بتمني زوال الشيء، ولكن قد تكون مجرد إعجاب شديد. وهذا قد يحدث حتى بين الوالدين وأبنائهم، أو بين الإخوة، وغيرهم.

4.1.3/ التأثيرات الاجتماعية للعين :

إن الخوف من العين والسحر في الثقافة العربية يتجلى في العديد من التعاملات اليومية، ويؤثر بشكل كبير في سلوك الأفراد وقراراتهم. فمنهم من يتظاهر بالفقر والتعب والمرض أو الغباء ويخفي تفوقه خوفاً من الحسد والعين التي قد تصيبه إن علم الآخرون بما يخفيه. كما أن العين في الثقافة العربية تُستخدم كوسيلة لتبرير الفشل والإخفاقات اليومية، خاصة فيما يتعلق بالعمل والدراسة، فغالباً ما يُرجع ذلك إلى الحسد والعين التي أصابته من غيره.

وهذا التصور أو الاعتقاد موجود أيضاً في الجزائر، حيث يُرجع الأفراد أسباب فشلهم إلى قوى خفية كالعين والحسد والسحر. وعلى العكس، إذا كان هناك توفيق ونجاح في حياتهم، فيُعتبر ذلك فضلاً وحباً من الله لهم.

في هذا السياق، يتحدث عبد المولحي عن أن الممارسات والمعتقدات التي تُقودها التصورات وتُوجهها، هي التي تُحدد قرار زيارة الطبيب أو المعالج الشعبي. فمجموعة التصورات التي يحملها الفرد عن الطب والمعالج هي التي تُقرر أو تُحدد أي الممارسات العلاجية التي سيختارها¹.

¹ / Abdmouleh Riadh, Conduites face aux maladies et aux médecines en Tunisie. Doctorat de l'école des hautes études en sciences sociales, paris, 1990p 53.

وأيضًا، فإن التصورات الأولية حول المرض وأسبابه هي التي تدفع بالمريض إما للذهاب إلى الطبيب في حالة ما إذا كان يعتقد أنه مرض عضوي، أو إذا كان يعاني من "مرض روحي" فإنه سيختار الذهاب إلى المعالج الشعبي، سواء أكان ساحرًا، أو طالبًا، أو راقيًا، أو معالجًا بالأعشاب¹.

4.1.4 طرق الوقاية من العين والحسد حسب المعتقدات الشعبية:

ظرًا لانتشار الاعتقاد بالإصابة بالعين والحسد في مجتمعاتنا، لا بد من وجود طرق وأساليب تحمي وتقي الفرد منها، وذلك حسب ما يعتقد الناس في جدوى هذه الطرق. وفيما يلي بعض هذه الأساليب المنتشرة في ثقافتنا العربية:

البخور: يُعد البخور من أبرز الطرق والوسائل المستعملة للوقاية من العين والحسد. وهذا يرجع إلى الاعتقاد بأن البخور يحجب أعين الآخرين من رؤية الأشياء رؤية صحيحة، أو أن له خاصية طاردة للشُرور. فمثلًا، من الطقوس الشعبية التي تُمارس لوقاية المولود الجديد من العين أن تقوم الأسرة عند علمها بقدوم أحد الزائرين بتبخير المنطقة التي يوجد بها الطفل، وذلك بهدف طرد الشرور من المنزل². يُستخدم البخور أيضًا في بعض العلاجات الشعبية، مثل علاج العقم. ومن أبرز المواد التي يُبخر بها هو نبات الحرمل، خاصةً مع وقت أذان المغرب، والحبّة السوداء. يُعتقد بنفع هذه النباتات في الوقاية والعلاج من السحر والعين.

بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر نبات الشب من أكثر المواد انتشارًا في هذه الممارسات. حيث يتم "التسبيع" به سبع مرات في اتجاه عقارب الساعة، ثم سبع مرات أخرى بعكس عقارب الساعة. بعد ذلك، يُوضع

¹ / نفس المرجع، 54.

² / صباح قاسم سعيد الرفاعي، نفس المرجع ص 259. 263، 264.

في إناء من الحديد ويوضع على النار حتى يذوب الشب ويتخذ أشكالاً مختلفة. ويمكن إضافة الملح والحبة السوداء (أو ما يُسمى الكمون الأسود) عمل المعالج على إعطاء تفسيرات لهذه الأشكال التي تتخذها المواد (مثل الشب بعد ذوبانه). وبالطبع، يكون هذا التفسير نابغاً من الخبرات السابقة للمعالج في ممارساته العلاجية.

هناك العديد من المعتقدات المتعلقة بنبات الحرمل، على أساس أن الحرمل له القدرة على تتبع آثار الإنسان أو الجن. كما يُعتقد أنه ينمو بجانب المنازل أو أي مكان يمر به الإنسان، وله وقت معين (للطف أو الاستخدام).

للنبات العديد من الاستخدامات، كعلاج الحمى؛ فما على المريض سوى الاغتسال اليومي في الصباح الباكر عند شجيرة الحرمل ثم يعود إلى فراشه. كما توضع نبتة الحرمل على المحصول لإضفاء البركة عليه.

الملح: إن الملح له أهمية كبيرة في المعتقدات الشعبية، ويُستخدم كثيراً في المجتمعات العربية لدى العامة لطرد الشرور وعيون الحاسدين. إذ يعتمد بعضهم على رش الملح في المنزل، وذلك للوقاية من العين¹.

الأحجبة والتعاويذ: يُعد استخدام الأحجبة والتعاويذ من أكثر الخرافات والمعتقدات الشعبية شيوعاً، وذلك لارتباطها الوثيق بالسكر والشعوذة. يلجأ بعض الناس إلى استخدام هذه التعاويذ والأحجبة كوقاية من العين والسكر، وذلك بتعليق بعضها التي يحصلون عليها من عند الدجالين والمشعوذين، والتي تحتوي على طلاس وتعاويذ معينة²، تُستخدم الأحجبة والتعاويذ في كثير من الأحيان للطفل الصغير لحمايته

¹ / صباح قاسم سعيد الرفاعي، نفس المرجع ص 263.

² / صباح قاسم سعيد الرفاعي، نفس المرجع ص 264.

من العين أو من المس، أو لمنعه من طلب الرضاعة من أمه. كما توضع من أجل الحماية سواء من الإنس أو الجن. ويمكن أن توضع أيضًا لإنجاح العمل وقضاء الأمور، وخاصة التجارية منها.

تكون هذه الأحبة في العادة على شكل مربع أو مثلث، وتُكتب على الورق بقلم الزعفران أو تُكتب وتُرسَم على النحاس. وتُعلق كالفلادة أو تُوضع في الظهر. وعند المرأة قد توضع في الصدر.

في السياق ذاته، تشير الباحثة Mathéa Gaudry في كتابها "المرأة الشاوية الأوراسية" إلى أن الحجاب يُكتب باللغة العربية، وذلك بماء الزعفران أو بصنع حبر خاص من الصوف المحترقة¹ في منطقة البحث، يُطلق على هذا الحبر اسم "السماق". ويتم الكتابة بأحدهما إما على ورق أبيض، أو على جلد حيوان معين، أو على صفيحة من الفضة. ويُستخدم كل نوع لحالة معينة: إما للوقاية، أو العلاج، أو لإبعاد العين والحسد، أو الجن، أو الحشرات السامة. كما يمكن أن تُستخدم هذه الأحبة أيضًا لإلحاق الأذى والضرر.

05/ السحر والشعوذة كأحد مسببات العقم حسب المعتقدات الشعبية.

5.1/ تعريف السحر:

يُطلق السحر في لغة العرب على كل شيء خفي سببه، وتُخيل على غير حقيقته وجرى مجرى التمويه والخداع. وهذا هو نفس تعريف الرازي للسحر.

¹ / Mathéa Gaudr. la femme Chaouia de l'Auaés. Ed. chibah. Awal. 1998. P222.

وقد عرّف ابن عابدين السحر بأنه: "علم يُستفاد منه حصول ملكة نفسانية يُقَدَّر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية"¹.

السحر هو كل تقرب إلى الشيطان وطلب معونته. ومن أشكال السحر "الأخذة" التي تأخذ العين حتى يظن الرائي أن الأمر كما يرى، بينما الحقيقة ليست كذلك. السحر يعني أخذة، وجمع سحر: أسحر وسحور وسحرة².

وقد عرّفه ابن خلدون فقال: "السحر علوم بكيفية استعدادات تقدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، أما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر والثاني الطلسمات"³. يُلاحظ الفرق بين هذه التعريفات في أن السحر في التعريف الأول يشمل كل ما خفي سببه، سواء كان هذا الذي خفي سببه حيلة علمية، أو خاصية لبعض المخلوقات، أو كان مجرد تخيل وخداع. أما التعريفان الأخيران، فإنهما يجعلان السحر صفة لبعض النفوس التي تستطيع، بما علمته من السحر، التأثير في العالم المادي.

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: "سحر الأدوية والتدخين ونحوه ليس بسحر، وإنما سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز، ولكنه حرام لمضرته." هذا يشير إلى أن بعض الممارسات قد تُسمى سحرًا مجازًا وليست سحرًا حقيقيًا بالمعنى الشرعي.

¹/عمر سليمان الاشقر، عالم السحر والشعوذة، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط3، الاردن، 1998، ص72، 73.

²/ابن المنظور، مرجع سابق ذكره، ص 1952.

³/مقدمة ابن خلدون، ص 923.

أما ابن قدامة، فقد عرّف السحر على أنه: "عقد ورقى يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من مباشرة له". هذا التعريف يركز على الجانب العملي والتأثير المباشر للسحر¹.

وقال التهانوي في تعريفه: "هو الإتيان بخارق عند مزاوله قول أو فعل محرم في الشرع". هذا التعريف يربط السحر دائماً بما هو خارق للعادة ومحرم شرعاً².

يوضح ابن حجر أن كلمة السحر تُطلق ويراد بها أحياناً الآلة التي يُسحر بها، وتارة يُراد بها فعل الساحر نفسه. والآلة قد تكون³:

- معنى من المعاني فقط: مثل الرقى والنفث في العقد.
- بالمحسوسات: كتصوير صورة على هيئة المسحور.
- بجمع الأمرين الحسي والمعنوي: وهذا يُعتبر الأبلغ والأقوى في التأثير.

ويمكن تعريف السحر على أنه: "ممارسة تستخدم عناصر خفية أو مادية للتأثير في الواقع من أجل بلوغ غرض محدد، وتحدد القوى المؤثرة وكذا الغاية أو الغايات المرجوة"⁴.

¹ / عمر سليمان الاشقر، مرجع السابق، 72.

² / نفس المرجع، ص 72.

³ / أحمد محمود خليل الخاروف، اكتساح السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم والضرب بالرمل، دار الفرقان، عمان، 1990، ص 22.

⁴ / إعراب مصطفى، المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، دار الحرف للنشر والتوزيع، دار البيضاء، ط1، 2007، ص14.

والسحر هو العقد المبرم بين الساحر والشيطان، وهو عبارة عن عزائم ورُقَى يعملها السحرة بقصد التأثير على الناس بالقتل أو المرض أو التفريق بين الزوجين وغير ذلك¹.

يُعرّف فرويليش السحر بأنه "مجموعة من التقنيات التي تسمح للاختصاصي الذي تعلمها بأن يؤثر على العالم المرئي بفضل سيطرته على القوى المحتجبة".

أي أن السحر هو اعتقاد وتقنية تنفذ ذلك الاعتقاد. لذلك، فإنه يقوم على وجود القوى الخفية والاعتقاد بها، ثم على طقوس وتقنية تنفذ ذلك الاعتقاد. وهذا ما يجعله مختلفاً عن الدين، فالسحر صورة من صور التطبيق، أو على الأصح، إساءة التطبيق تدعي الترابط. ولذا، يُطلق عليه في كتابات كل من تايلور وفريزر اسم العلم الزائف أو الكاذب².

المفهوم الشائع للسحر في المجتمع هو "أنه عقد ورُقَى وكلام يتكلم به أو يكتبه الساحر، أو يعمل به شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له". يتنوع تأثير السحر ليشمل:

- ما قد يسبب القتل أو المرض.
- ما يؤثر على العلاقات الزوجية، مثل "الأخذة" التي تمنع الرجل عن زوجته أو العكس، أو نفور الزوجة من الزواج، أو التسبب لهما بالعقم.
- ما يؤدي إلى التفريق بين الزوجين أو أفراد الأسرة.
- ما يسبب التعطل في شتى أمور الحياة من دراسة، أو عمل، أو زواج، وغيرها.

¹ / ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق ذكره، ص 661.

² / الماجدي خزعل، بخور الالهة، دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، مرجع سبق ذكره، ص 32، 33.

- "سحر المحبة". يستخدم السحر وسائل مختلفة لجلب الأذى أو لعلاج الأضرار، وهذا يتوقف على دوافع استخدام السحر نفسه¹.

أما عن مفهوم السحر في القرآن الكريم والشرع الإسلامي، فنجد أنه ورد ذكر السحر في القرآن الكريم كثيرًا بمعنى الخداع والتحايل والتخيل. ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الانعام الآية 7

وأيضًا قوله في ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الاعراف

الآية 132

5.2/ مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجي والأنثروبولوجي والسيكولوجي:

أثارت أهمية السحر في الثقافات البدائية العديد من النقاشات بين علماء مثل تايلور (Tylor)، وفريزر (Frazer)، وويستمارك (Westermarck)، وهوبيرت (Hubert)، وموس (Mauss)، وماريت (Marett)، ومالينوفسكي (Malinowski)، وسيغموند فرويد (Freud) وغيرهم، على اختلاف ميادينهم. إن مفهوم السحر السوسيولوجي ليس مجرد نمط من الاعتقاد أو قطعة من الجهاز العقلي للإنسان، لكنه فن تترجم فيه النظرية والاعتقاد في كل خطوة إلى فعل. فهو فن إنساني يمارس فقط بواسطة الإنسان. وتعود جذور السحر إلى تعدد الأنشطة الإنسانية؛ فهو طريقة للسيطرة على قوى الطبيعة وجعلها تخدم مصلحته وإرادته².

^{1/} عبد القادر سدي عابد، التصورات الاجتماعية للعلاج لدى المصابين بالسحر (مقاربة نفس-أنثروبولوجية)، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، المجلد 14، العدد 2، ص 151.

^{2/} سامية حسن الساعاتي، الناس والسحر بحث في علم الاجتماع الغيبي، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 59، 66.

السحر في المفهوم الأنثروبولوجي يشير إلى مركب المعتقدات والأفعال التي يحاول الأشخاص والجماعات بواسطتها السيطرة على بيئتهم بطريقة تحقق أهدافهم. ولبّ الفعل السحري هو أنه يستند إلى معتقد لم تُختبر صحته.

يطلق فريزر (Frazer) على السحر اسم "علم الإنسان البدائي"؛ لأن كلاً من السحر والعلم في رأيه نوع من التكنولوجيا. ويعتبر فريزر أن السحر في جوهره نوع من العلم الزائف. ويرى فريزر أن السحرة يعتمدون على مبدئين أساسيين:

1. المبدأ الأول: أن كل شيء يدعو مثيله، وكل حدث مشابه لمسبباته.
 2. المبدأ الثاني: أن الشئيين اللذين كانا على اتصال في وقت ما يستمران في التأثير على بعضهما حتى لو توقف الاتصال.
- فالمبدأ الأول يقوم على قانون المحاكاة (أو التشابه)، بينما يقوم المبدأ الثاني على قانون العدوى (أو الاتصال)¹.

يؤكد الأنثروبولوجيون على مسألة خصوصية السحر وسريته. في هذا السياق، يقول هوبرت، وهو أول من نشر نموذجًا تطوريًا اجتماعيًا بحثيًا، صوّر فيه السحر على أنه نموذج بدائي للدين ويقوم على العلاقات المتجانسة وعبادة الأسلاف. ومن حيث الممارسة، فهو قابل للتكيف مع الدين وتطوراته.

¹ / James Frazer. le rameau d'or de robert laffont. paris 1981. p41.

لكن إدوارد بيرنت تايلور يرى أن السحر كان موجودًا بادئ الأمر باعتباره تعبيرًا عن فكرة الاحيائية، بمعنى أن كل شيء له أرواح أو جوهر روحاني. كما أنه يعتبر السحر العلم الزائف، أي أنه عكس العلم فهو علم فاسد لأن افتراضاته وتفسيراته البدائية حول السبب والنتيجة كانت دائمًا خاطئة¹.

لقد ركز كل من إميل دوركهيم وموس على اعتبار السحر جزءًا مهمًا من الرؤية الاجتماعية للدين. فالسحر لديهم عبارة عن نشاط خاص يتسم بكونه شخصيًا، سرّيًا، وغامضًا.

لم يرَ إميل دوركهيم اختلافًا جوهريًا بين السحر والدين. أما موس، فهو يرى أن الدين أو الدوافع الدينية تطورت قبل السحر. فالدين كان أحد أشكال التعبير عن المجتمع، وبعدها نشأ السحر عندما قرر أفراد الجماعة أو المجتمع إيجاد واتخاذ طقوس تعبر عن القدسية وجعلها تتلائم مع شخصيتهم الفردية.

يُعد مالينوفسكي (Malinowski) أول من ميّز بين سحر العامة وسحر المتخصصين. فهو يرى أن السحر فن براغماتي يتعلق بتحقيق مطالب عملية، بينما يتعلق الدين بمسائل عامة. كما يرى أن كل عمل سحري يتميز بوجود:

• أشياء تُقال (مثل التعاويذ).

• أخرى تُفعل (مثل الطقوس).

• شخص يصنع هذه الأشياء (الساحر).

وللقيام بعملية السحر، لا بد من توفر التعويذة والطقس والشخص القائم بعمل السحر. كان نهج مالينوفسكي متأثرًا إلى حد كبير ببنيوية دوركهيم.

¹ / أوين ديفيز، السحر، تر: رهاب صلاح الدين، مؤسسة هندواي، 2018، ص28.

إيفانز بريتشارد: مصطلحات الأزاندي في السحر والشعوذة

أما إيفانز بريتشارد، فقد أضاف مصطلحات خاصة بقبيلة الأزاندي، مثل كلمة "مانجو (Mangu)" الأزاندية، التي ترجمها إلى الإنجليزية بـ "عرافة (witchcraft)" يُقصد بها منحة تُصيب المرء نتيجة لقوة فطرية لدى أشخاص، وتُستوحى من مشاعر الحسد أو الغضب¹.

بينما لفظة "نجوا (Ngoa)" تجمع بين السحر والطب في شكل العمل الطقسي. والشعوذة صنف قائم بذاته من السحر الأزاندي، وعرفها إيفانز بريتشارد بأنها استخدام تقنيات سحرية أو علاجات أو طقوس لإلحاق ضرر غير مشروع بالآخرين. وبهذا، كان تعريف إيفانز بريتشارد للشعوذة مختلفاً عن الذي استخدمه علماء الأنثروبولوجيا الآخرون².

يمثل السحر في المفهوم النفسي امتداداً لمفهومه الأنثروبولوجي. وقد استطاع فرويد أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية، حيث عرّفه بأنه مرض نفسي يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات. وهو بمثابة ردة إلى التفكير البدائي أو هو ردة إلى مرحلة طفيلية. يتفق فرويد مع مالمينوفسكي في أن السحر فعال لأنه يُعد نوعاً من التفريغ الانفعالي بلغة التحليل النفسي.

أما فريزر، فيرى أن رمزية السحر تشير إلى ارتباط زائف بين الأفكار. إلا أن المحللين يذهبون إلى أن هذه الرموز لها دلالة لأنها تتجاوب مع المشاعر المكبوتة للساحر وجمهوره³.

¹ نفس المرجع، ص 28.

² نفس المرجع، ص 29.

³ معجم العلوم الاجتماعية ، إعداد نخبة من الأساتذة ، مراجعة، إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص 42.

تؤكد الشواهد التاريخية أن السكان الأوائل للجزائر، أو البربر في العصور القديمة، كان تعاملهم مع المرض شبيهاً بباقي الشعوب. حيث كان ينطوي على نفس التصورات للمرض وطرق العلاج المعروفة قديماً، أي لم يكن خالياً من الشعوذة والسحر والعرافة والعلاج بالتمائم والأحجبة. وكانوا يرجعون أسباب المرض إلى أمور غيبية وقوى خارقة. وقد ظهر هذا التصور وتجسد بشكل أكبر في المرحلة الرومانية¹.

06/ الأمراض الناتجة عن السحر والشعوذة.

يُعرف السحر تقليدياً بثلاثة أنواع: السحر الأبيض، والأسود، والأحمر.

يُعد السحر الأحمر أحد أنواع السحر الذي شاع استعماله هذه الأيام، بسبب اعتقاد الكثيرين بقدرته الخارقة على حل جميع المشكلات. يصنفه البعض على أنه السحر الأوسط الذي يُستعمل في أعمال الخير والشر معاً، على اعتبار أنه يقع في المسافة بين السحر الأسود (وهو السحري السفلي المخصص للأعمال الشريرة) والسحر الأبيض الذي يُستخدم في أعمال الخير.

على الجانب الآخر، ينفي آخرون وجود هذه التسميات، فمن وجهة نظرهم أن السحر ليس أبيض ولا أحمر، بل كله سفلي أسود. ويعتقدون بأن هذا الوصف (أبيض أو أحمر) ربما يرجع إلى كتابة بعض الأسرار بالزعفران والعشب الأحمر، وكذلك بعض دماء الحيوانات المستخدمة في الطقوس².

هناك العديد من أنواع السحر والشعوذة المنتشرة في المجتمعات، وخاصة العربية، ونذكر منها الاتصال بالجان وإستخضار الأرواح، وقراءة الفنجان والكف، وضرب الودعو الرمل، وقراءة الطالع... أخ

¹ / Gharbi Ikbāl, La représentation de la maladie et de la santé et la médecine traditionnelle Chez la communauté tunisienne en France, thèse en anthropologie, Université de Paris v, 1991, p 169.

² / الموقع على الساعة 05:55، يوم 2024/42/02. <https://www.youm7.com/story/2019/12/27/>

ونذكر من بين أنواع السحر والشعوذة الآتي:

6.1/ التفريق:

إن سحر التفريق هو عمل سحري يُقصد به التفريق بين الزوجين، أو بث البغض والكراهية بين صديقين أو شريكين، ويقول الله تعالى في سورة البقرة عن هذه المسألة في قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة الآية 102.

وتفريقيهما: هو أن يؤخذ كل طرف من العلاقة (مثل الزوجين أو الصديقين أو الشريكين) عن صاحبه، ويُبغض كل واحد منهما إلى الآخر¹.

6.2/ سحر التوكال:

يقصد به السحر الذي تم تناوله عن طريق وضعه في الطعام والشراب. حيث يعتبر الطعام والشراب وسيلة مادية لدخول السحر إلى الجسم، فيستقر في المعدة وينتقل عبر الدم إلى العضو المراد تعطيله أو إحداث خلل فيه. من أعراضه الشائعة الآلام على مستوى الجهاز الهضمي وانتفاخ البطن.

¹/ صباح قاسم سعيد الرفاعي، وهم الاصابة بالعين والسحر والهروب من الواقع" دراسة سيكولوجية لدى عينة من النساء السعوديات"، مجلة البحث العلمي في التربية، العدد 19، 2018، ص259.

6,3/ سحر التخطي :

وهو ما يعرف بالسحر المرشوش. وعبرة عن عمل سحري قد يكون سائلاً أو على شكل بودرة، بحيث يُرش في مداخل البيوت (العتبة) أو المحلات أو في أماكن العمل. والغرض من وضعه في العتبة هو أنه لا بد أن يمر من خلالها الشخص المراد سحره كل يوم، حيث يدخل السحر إلى الجسم عن طريق الأرجل. ومن أعراضه وجود والشعور بالآلام في الرجلين¹.

6.4/ سحر المحبة أو سحر الشموع:

سحر المحبة أو سحر الشموع هو عمل سحري يُقصد به زرع الحب والمودة بين شخصين، أو توطيد علاقة يُحتمل تفكيكها²، يُستخدم هذا النوع من السحر أيضًا لإخضاع الطرف الثاني إذا كان رافضاً للزواج. يُعتقد أن هذا النوع من السحر يُستخدم لتقوية الروابط العاطفية أو لجذب شخص معين نحو آخر ويُصنف عادةً ضمن الأسحار السفلية.

يُعد سحر الشموع أحد أخطر أنواع الأسحار السفلية التي يقوم بها السحرة، غالباً تتفياً لطلبات بعض النساء. ينتمي هذا النوع إلى أسحار التهيج والجلب والمحبة والتسليط، والتي قد تسبب العديد من الأمراض للمسحور، تصل إلى حد النزيف والموت. إضافة إلى ذلك، فإنه يُعتقد أنه يسلب عقل المسحور ويُحوّله إلى عبد ذليل لمن قامت بسحره.

¹ عبد القادر سيدي عابد، التصورات الاجتماعية للعلاج لدى المصابين بالسحر (مقاربة نفس-أنثروبولوجيا)، مجلة

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية، المجلد 14، العدد 02، ص 151

² عبد القادر سيدي عابد، نفس المرجع، ص 151.

يُعتبر هذا السحر هو الأسرع في التنفيذ، حيث لا يستغرق سوى بضع ساعات، وبعد أقصى ثلاثة أيام ليتم المطلوب. ويُستخدم هذا السحر في 95% من الحالات لجلب الرجل جنسيًا، وتأثيره عليه شديد حيث يُلغى عقله تمامًا ويُصبح أسيرًا للطالبة¹.

6.5/ التخيل:

وهو أن يقوم الساحر بإحضار شيء يعرفه الناس، ثم يقوم بعزيمته الشريكة وطلاسمه الكفرية، ويستعين بالشياطين، فيرى الناس الشيء على غير حقيقته. وقد تطرق القرآن الكريم لهذا النوع من السحر، كما في قصة سحرة فرعون الذين ألقوا حبالهم وعصيهم فخُيِّل للناس أنها تسعى في قوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ سورة طه آية 66

6.7/ الجنون:

وهو أن يقوم الجني الموكل بالسحر بالدخول في الشخص والتمركز في مخه، وهذا العمل يتم بإرشاد من الساحر. يقوم الجني بالسيطرة على خلايا المخ الخاصة بالتفكير والتذكر، أو بالتصرف فيها بأمر لا يفعلها إلا لله (أي بشكل غير طبيعي). فتظهر عند ذلك أعراض مثل: الشرود والذهول، التخبط في الكلام، شخوص البصر، عدم الاستقرار في مكانه، عدم الاهتمام بمظهره، وتغيبه في الأماكن المهجورة. والدليل على هذا ما جاءنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خاتمة بن الصلت التميمي عن عمه أنه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم، ثم أقبل من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله: "إنا حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير فهل عندك شيء تداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوني مائة شاة. فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال:

¹ / نفس الموقع : <https://www.youm7.com/story/2019/12/27//>

هل إلا هذا؟" وقال في موضع آخر: "هل قلت غير هذا؟" قلت: "لا". قال: "خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق"¹.

6.8/ سحر الخمول:

في هذا النوع من الأسحار، يرسل الساحر الجني إلى الشخص المراد سحره، ويرشده ويأمره أن يتمركز في مخ المسحور. فتظهر عند ذلك الأعراض، مثل الوحدة والإنطواء الكامل، والصمت، والصداع، وعدم الرغبة في فعل أي شيء، والإحساس بالتعب والخمول الدائم. هذا السحر يهدف إلى تعطيل الشخص عن حياته الطبيعية ودفعه نحو العزلة والجمود.

6.9/ سحر الواسوسة للنفس:

في هذا النوع، يعتمد الساحر ويكلف الجني بأن يُشغل هذا الإنسان في يقظته ومنامه. فيتمثل له الجني أو يتصور له في المنام على شكل حيوانات مفترسة تريد أن تنقض عليه، وقد تكون زواحف كالأفاعي والعقارب وغيرها، أو مثل الكلاب، أو حيوانات مخيفة كالوحوش. أما في اليقظة، فيناديه الجني بأصوات أناس يعرفهم المسحور أو بأصوات غريبة. تختلف الأعراض حسب قوة السحر وضعفه، فإن زادت حدة هذه الأصوات والوساوس قد تؤدي إلى الجنون.

6.10/ سحر المرض:

في هذا النوع من السحر، يتمركز الجني في المخ عند المركز المكلف به من قبل الساحر. يستقر الجني في مكان المركز المراد إحداث المرض فيه، فإما أن يمنع الجني الإشارات تمامًا من الوصول

¹/ صباح قاسم سعيد الرفاعي ، نفس المرجع، ص 259، 260.

إلى العضو فتتعلل الحواس المراد تعطيلها، أو يمنع الجنى الإشارات أحياناً ويتركها أحياناً فيتعلل العضو¹ ولهذا، فإن المسحور قد يشعر بألم مفاجئ ثم يتحسن فجأة، أو يجعل الجنى المخ يعطي إشارات متتابعة ومتتالية سريعة بلا أسباب فتصيب العضو ولا يستطيع الحركة، أو تصيبه نوبات الصرع، أو تعطيل إحدى الحواس أو إضعافها².

6.11/ سحر النزيف :

هذا النوع من السحر خاص بالنساء دون الرجال، ويُسبب الاستحاضة قبل أو بعد موعد الدورة الشهرية الطبيعية للمرأة. فقد يستمر النزيف بعد الدورة لعدة أشهر أو شهر واحد أو أيام قليلة فقط، وتختلف نسبة نزيف الدم إما أن تكون شديدة أو قليلة³، وهنا تُسحر المرأة بسحر النزيف لتصبح غير طاهرة للقيام بالواجبات الدينية أو لكي لا ترقى (تقرأ الرقية الشرعية)، وبهذا يكون للجن المتسلط قوة وقدرة أكبر في السيطرة عليها وإيذائها. وهذا يُذكر بأن بعض الأعمال السحرية تُكتب بالدم الحائض ودم النفاس؛ لأنه يُعتبر دمًا نجسًا، والجن يأخذ قوته من النجاسات.

6.12/ سحر تعطيل :

يُستخدم هذا النوع من السحر لتعطيل أمور الحياة سواء للمرأة أو الرجل. فقد يعاني المصاب أو المسحور بسحر التعطيل من تأخير في الزواج أو العمل. ومن أعراض تأخير الزواج الناتج عن هذا السحر:

¹ نفس المرجع، ص 259، 260.

² صباح قاسم سعيد الرفاعي، نفس المرجع ص 260.

³ وحيد عبد السلام، مرجع سابق ذكره، ص 77.

- رفض فكرة الزواج بدون سبب واضح.
- رفض الشريك بلا سبب منطقي.
- الشعور بالضيق عند الحديث في موضوع الزواج.

6.13/ سحر الربط " العقم الروحاني " :

يُقصد بالعقم الروحاني والربط عدم القدرة على الإنجاب بالرغم من عدم وجود أي خلل عضوي في الأعضاء التناسلية، أو في الهرمونات، أو في الخصوبة. في الطب الحديث، قد لا يتم تفسير حصول هذا النوع من العقم لعدم وجود سبب طبي واضح له. يُعتقد أن هذا العقم يكون نتيجة السحر أو الحسد، أو أن يكون أحد الزوجين تحت تأثير مس، أو ما يُعرف بـ "الجن العاشق".

أعراض العقم الروحاني عند الرجل¹:

- آلام في أسفل البطن وفي الخصيتين.
- ألم وحرقة في القضيب بعد الجماع.
- عدم الرغبة الجنسية التي تكون شبه معدومة عند الرجل المربوط.
- أعراض ضعف الحيوانات المنوية أو انعدامها (إذا كان السبب روحانيًا):
- صداع شديد في الجزء الخلفي من الرأس.

¹/ رشيدة السبتي، وضعية ومكانة الجسد العقيم في المجتمع الجزائري - دراسة وصفية تحليلية لعنية من الأزواج العقيمين - مرجع سابق ذكره، ص ص 80,91.

- بول متقطع.
- آلام أسفل الظهر.
- وجود الرغبة الجنسية ولكن مع ارتخاء في القضيب.
- الدوخة وتسارع دقات القلب.
- التعب والكسل وارتفاع ضغط الدم.
- أعراض العقم الروحاني عند المرأة أو الربط:
- الإسقاط المتكرر أو عدم الحمل.
- ضعف البويضات.
- انقطاع أو اضطراب في الدورة الشهرية.
- النفور من الزواج.
- في بعض حالات السحر الروحاني، قد يحدث انقلاب للرحم، وتصيب هذه الحالة بشكل خاص النساء اللاتي لم يسبق لهن الحمل أو الزوجات الجدييات.
- آلام أسفل البطن.
- عدم انتظام الدورة الشهرية.
- زيادة هرمون الحليب في الجسم وزيادة في الهرمونات بصفة عامة.
- تسارع دقات القلب.

أما السحر المتسبب في ضعف البويضات أو موتها فأعراضه تتمثل في إنعدام الرغبة الجنسية و تلف الرحم تأخر في الدورة الشهرية و الأم أسفل الظهر و الأم أسفل البطن في منطقة الرحم و الإرتفاع الحرارة¹.

أما سحر الإسقاط، ففي هذه الحالة تستطيع المرأة الحمل، لكن أقصى مدة للحمل هي ثلاثة أشهر، وبعدها يتم الإجهاض بدون سبب واضح. ويتكرر هذا الأمر في كل حمل.
من أعراضه:

- آلام أسفل الظهر.
 - أحلام وكوابيس مخيفة.
 - التعب والإرهاق والكسل وكثرة النوم.
 - أن ترى المرأة أنها تتعرض للضرب وهي نائمة، مما يؤدي إلى نزيف مع اختلاف في حدته (إما ضعيف أو حاد)، وهذا يتسبب في الإجهاض.
- وقد يحصل الإسقاط المتكرر من خلال ما يُسمى بـ "التابعة"، وهي نوع من الشياطين تتسلط على المرأة. في كل مرة تحمل، يُسقط الجنين. من أعراضها أن ترى المرأة في حلمها أنه يتم ضربها من قبل امرأة ذات شكل مخيف، وهذه هي مهمة التابعة أن تضرب المرأة الحامل لتُسقط. في أحيان أخرى، تستطيع المرأة الحمل والولادة، ولكن المولود لا يتجاوز عمره الأربعين يومًا، حيث تعمل التابعة على قتله. وفي حالات أخرى، تقتل التابعة الذكور فقط.

¹ / نفس المرجع، ص 91،80.

أما السحر الذي يتسبب في انقطاع الدورة الشهرية في عمر مبكر (أي لم يصلن إلى عمر اليأس المعروف، بل تكون أعمارهن أقل من ذلك). هذا السحر نجده أكثر عند النساء اللاتي سبق لهن الإنجاب. من أعراضه¹:

- آلام شديدة وتشنجات أسفل البطن.
 - الشعور بالدوار والصداع.
 - آلام أسفل الظهر.
 - تكرار رؤية الحيوانات في المنام، خاصة الزواحف مثل الكلاب والقطط ذات اللون الأسود، والأفاعي، والعقارب.
- تشير هذه الأعراض إلى أن المرض ليس عضويًا ولا يمكن علاجه بالدواء الحديث. ومن خلال ما تقدم، نلاحظ وجود تشابه في أعراض الأسحار سواء عند الرجل أو المرأة، وهي: آلام أسفل الظهر والبطن، الصداع، التعب والإرهاق، وعدم الرغبة الجنسية. وهذا يرجع إلى أن سحر الربط يتمركز في الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة ويؤثر في الأعصاب.

كما أنه في بعض الحالات من سحر العقم وعدم الإنجاب للزوجين، تكون هذه الحالة محددة بفترة زمنية معينة، مثلاً 9 أو 10 أو 15 سنة. وبعد انقضاء هذه الفترة دون حمل، يصبح بإمكانهما الإنجاب، خاصة إذا كانت المرأة لم تبلغ سن اليأس وما زالت تأتيها الدورة الشهرية².

¹ / رشيدة السبتي، نفس المرجع، ص ص 88، 91.

² / نفس المرجع، ص 90.

07/ علاقة الأعشاب بالطقوس السحرية

لقد عرف الإنسان الأول منذ القدم مختلف الفنون السحرية، وقد ظهر هذا في المخطوطات والمنقوشات الصخرية التي تدل على الاهتمام الكبير الذي كان يحظى به السحر. حيث كان الإنسان منذ القدم يعتبر السحر قوة خارقة تساعد على حل مشكلاته، وخاصة ما تعلق بالعالم الغيبي. فكان يمارس السحر ومختلف الطقوس من أجل الوقاية ودفع الأخطار عنه.

حيث أن الطب الشعبي كانت طرقه وأساليبه علاجه تعتمد على ممارسات السحر والشعوذة والغيبيات، مما أدى إلى ظهور مسميات مختلفة للمعالجين مثل "الساحر المعالج"، "المعالج الروحاني"، وغيرهم¹.

يُعتقد لدى الكثيرين أن سبب أمراضهم وآلامهم هو السحر. وفي هذا الشأن، يقول إيفانز بريشارد: إن الاستخدام المقصود من وراء السحر الأسود أو الشرير هو إلحاق الأضرار بالآخرين. وهذا يتضمن استخدام مواد وطقوس معينة لتحقيق هذا الغرض².

للنباتات دور هام في نجاح السحر، حيث تُستخدم كعناصر أساسية في الخلطات السحرية، سواء كانت محاليل أو مساحيق، أو كمادة ضرورية في دخان البخور. قد يكون السحر القائم على استخدام النباتات فردياً أو جماعياً، ويُطبق في شكل شعائر وطقوس.

استخدامات النباتات في السحر³:

¹ / عبد الهادي الجوهري، قاموس علم اجتماع، المكتب الجامعي الحديث، ط2، الاسكندرية، 1998، ص، 120

² / نفس المرجع، ص، 120

³ / لحسن آيت الفقيه، النباتات والطقوس السحرية بجبال الأطلس الكبير الشرقي، دراسات وأبحاث غي التاريخ و لغات، الحوار المتمدن العدد 349، على الموقع:

- الخلطات والمساحيق: تُدمج النباتات كمكونات رئيسية في تحضير محاليل أو مساحيق سحرية.
- البخور: يُستخدم دخان بعض النباتات في الطقوس السحرية، ويعتقد أن له تأثيرات خاصة في الوقاية أو العلاج أو تحقيق أهداف معينة.

- الكتابات السحرية: يمكن استخدام النباتات في كتابة الطلاسم على الأحجبة والأحراز، أو على ورق ثم يُمسح بالماء ويُشرب كنوع من السحر المأكول.

- الشراب السحري: توجد خلطات سحرية في شكل شراب تختلف ألوانها ومفعولها.

أغراض استخدام النباتات السحرية

بشكل عام، الطقوس السحرية المرتبطة بالنباتات يُقصد بها التحصين والنفع الشخصي. ومع ذلك، يمكن استخدامها في الضر والشر، حيث يستعمل البعض أوراق وبذور ودخان هذه النباتات في السحر الأسود لأعمال مثل:

- التفريق بين الزوجين.
- الطلاق.
- التسبب في الضعف الجنسي الجزئي أو الكلي للرجل في ليلة الدخلة أو عند الجماع.

توقيت الطقوس السحرية بالنباتات

تُقام معظم الطقوس السحرية الفردية المتعلقة بالنباتات في المساء، أو في ليلة سقوط أو اكتمال القمر في بداية أو نهايته. والبعض الآخر يُمارس في وقت الفجر.

نذكر من بين الطقوس السحرية التي تستخدم النباتات ما يلي¹:

- **نبات الريحان:** يُعتقد أنه يساعد على زيادة المقاومة الجسدية والصمود، ويُعتبر مكونًا أساسيًا في عملية التحنيط في بعض المعتقدات.

- **السدر:** وهو نبات معروف وقد ورد ذكره في الطب النبوي، حيث ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة استعماله للشفاء من السحر. كما يُعالج أمراض المعدة والحمى عن طريق طبخ أوراقه وشربه. ومن المعتقدات السائدة أنه يساعد على تثبيت عقد السحر (أي إبطاله).

اللفت: يُعتبر اللفت من المواد التي تُستخدم في السحر الأسود الذي يهدف إلى التفريق بين الأحباء ونشر الكره والحقد. يتم ذلك بكتابة الطلاس على سطح نبتة اللفت، ثم تُطبخ وتقدم في الطعام للشخص المراد سحره.

البيض: يمكن استخدام البيض في سحر الرجل لإضعافه جنسيًا وتقليل قدرته على الجماع، وذلك بدفن البيضة في مفترق الطرق.

الصلاّع: تُوظف هذه النبتة في إزالة السحر. يتم ذلك بتنظيف النبتة من التراب وطبخها لاستخلاص شراب يساعد المسحور على إخراج المادة السحرية من بطنه عن طريق القيء أو التبرز. كما تُوظف النبتة في شعيرة خاصة بيوم عيد الأضحى، حيث يحضر السكان أمام منزل الإمام للمشاركة في مراسيم

¹ / لحسن آيت الفقيه، نفس المرجع.

النحر الجماعي للأضحية. تتخلل هذه الشعيرة شوط من المراجعة بحبات نبتة الصلّاع، وعقبها تُلطخ هذه الحبات بدماء أضحية إمام المسجد، وتُخزن في البيوت أملاً في التبرك.

النعناع: يعتقد سكان الأطلس الكبير الشرقي أن النعناع نبت في أرض أفرغ فيها كرش كبش النبي إبراهيم عليه السلام، الذي كان فدية لابنه النبي إسماعيل، ولذلك تفوح منه رائحة من روائح الفردوس. ولأن للنعناع علاقة بالكبش، وهذا الحيوان له علاقة بالخصوبة لدى الأمازيغ عامة، فإن هذه النبتة تُوظف في كل الطقوس السحرية التي تدعم النشاط الجنسي لدى الرجل¹.

الحناء:

الحناء نبات ذو أهمية رمزية كبيرة، يتواجد في كل طقوس الفرح، خاصة في مناسبات الأعراس، حفلات الختان، العقيقة، والأعياد. بالإضافة إلى استعمالها في علاج الجروح، تُستخدم الحناء لخصب نساء الضيوف تكريماً لهن وتعقيم أجسادهن من الأرواح الشريرة. قد يخضب البعض حيواناتهم أيضاً بالحناء كالبقرة، الغنم، القطط، والكلاب، مما يدل على أن الحناء لا يقتصر على التكريم، بل هو خلطة سحرية يجب الوقوف عند مكوناتها وأهدافها.

يُشترط في خلطة الحناء إضافة الملح والحرمل؛ لأنهما يعتقد أنهما "يطفئان مواقع الجن". وهناك من يضيف مكونات أخرى لهذه الخلطة. في حفلة الحناء التي تُدرج في برامج الأعراس في الليلة الثانية من الحفل، تُقام طقوس مقوية للحناء بخلطة سحرية محضّة.

تُتلى آيات قرآنية يُزعم أنها تبعد كيد كل ساحر أو ساحرة يقدم على إقامة عقد سحرية ليصيب العريس أو العروس بالعنة المرحلية أو طويلة المدى. من الآيات التي تقوي خلطة الحناء وتُعطيها طابعاً سحرياً

¹ / نفس المرجع.

مضادًا للسكر، كل ما ورد في قصة موسى عليه السلام وصراعه مع سحرة فرعون. ولأن هذه القصة ذكرت في الكثير من السور، لذلك تتم قراءة سورة طه كاملة لطمأنة الوسط بأن الساحر "لا يفلح حيث أتى".

نبات الصفصاف: دخل نبات الصفصاف عالم الطب منذ عهد الإغريق، حيث استعمله الطبيب أبقراط في تخفيف آلام الولادة لدى النساء. ولكن أعشاش الصفصاف تُعد أيضًا ميدانًا لممارسة الشعوذة. وذلك أن أشجار الصفصاف الأبيض تحتوي في جذوعها على مغارات أو أوعية ثملًا عادة بسائل أسود تصمغه الشجرة. يُستعمل هذا السائل في الكتابات السحرية بعد أن يجفف في الأماكن المشمسة، فيملأ محابر الفقهاء الممارسين للسكر كحبر أسود. ونظرًا لأن الصفصاف يحتوي على مادة الأسبيرين¹، كما أثبت العالم الألماني فيليكس هوفمان Felix hoffmann، إن الشراب المستخلص من الكتابات السحرية بصمغ الشجرة يُعد مسكنًا لا مثيل له، وذلك لقدرته المتصورة على التأثير. يقوم الساحر بكتابة الطلاسم في إناء خزفي طاهر، وفي بعض الأحيان يُضيف آيات الشفاء إلى هذه الكتابات. بعد ذلك، يأمر المريض بمسح تلك الكتابة بالماء النقي ثم يشرب ذلك الخليط، ليعتقد أنه سيشعر بالهدوء والسكينة². يرتكز السكر عمومًا على مبدأ استعمال ما هو نجس أو مكروه ومخالف للسلوكات اليومية للناس. يتم في هذا الإطار إدخال عناصر نباتية مثل الحرمل، والحناء، والبخور الجاوي، واللبان، وغيرها. وفي بعض الطقوس، لا بد من استخدام الحيوانات مثل البوم، والضفدع، والحرباء، والأفعى، والقطة، والكلاب، والخنزير، وغيرها.

¹ / نفس المرجع.

² / لحسن آيت الفقيه، نفس المرجع،

وفي بعض الطقوس الأخرى، يتطلب استعمال السحر بعض المعادن والصخور مثل الكبريت، والشب، والكحل، وغيرها¹.

08/ أنواع الممارسات العلاجية التي تستعمل في علاج العقم

8.1/ علاج بالأعشاب:

يعكس هذا النوع من العلاج تفاعل الإنسان واستجابته لبيئته الطبيعية، حيث لجأ إلى استخدام الأعشاب والنباتات والمعادن والحيوانات في علاج أمراضه. تم ذلك من خلال التراث التجريبي الطويل لاختبار كفاءتها؛ فالإنسان الأول كان يراقب الحيوانات ويسجل ما يراه منها، ومن ذلك استنبط بعض الطرق العلاجية.

كما أن هناك العديد من الحضارات التي عرفت باستخدام الأعشاب الطبيعية، مثل الحضارات الصينية والهندية والمصرية وغيرها. حيث حاول الإنسان الاستفادة من الأعشاب الموجودة في الطبيعة من حوله في تحضير الأدوية واختراع مختلف الوصفات التي تعالجه وتخفف المرض عنه.

تري الباحثة كلايس دوشي أن طب الأعشاب يمتزج أحياناً بطقوس لا بد أن تُقام في زمان ومكان معينين، بحيث تدخل الأنظمة غير الكيميائية مع المصادر الطبيعية. فهو تراث شفوي وآخر مدون، ومع مرور الوقت أصبح معرفة وتقنية مكتسبة تُستعمل لخدمة الأفراد².

¹ / موقع السحر والخطاب في المغرب الراهن: 2024/02/12. على الساعة

01:05 <https://www.aslim.org/?p=1764>

² / Renée Claisse Dauchy, Médecin traditionnelle du maghreb, Edition l'armattan, paris, 1996, p152.

على الرغم من التطور وتحديث الأساليب والطرق المتبعة لعلاج العقم في الطب الحديث، إلا أننا نجد أن التداوي بالأعشاب ما زال قائماً في المجتمعات الحديثة ولدى مختلف شرائح المجتمع، سواء المثقفة وغير المثقفة. وهذا يظهر بوضوح خاص فيما يتعلق بعلاج العقم، حيث توجد الكثير من الأعشاب والوصفات الطبيعية التي تُستخدم لعلاج المشاكل المتعلقة بالجهاز التناسلي لدى المرأة والرجل.

لكل مرض نوع معين من العلاج، وهذا ينطبق أيضاً على التداوي بالأعشاب، فكل مرض له أعشاب محددة تُعطى على شكل وصفات معينة ومحددة بوقت معين. هناك أمراض استعصت على الطب الحديث، لكن المتخصصين أو المعالجين الشعبيين يُصرحون بإمكانية العلاج باستخدام هناك العديد من الأعشاب التي تُستخدم في الطب الشعبي لعلاج التهابات الجهاز التناسلي وأعراضه المختلفة. يُعتقد أن لكل مرض وصفة عشبية محددة ووقتاً معيناً للعلاج ونذكر منها¹:

أ/ **إلتهاب الرحم**: تُستخدم الأعشاب التالية في علاج التهاب رحم المرأة وهي سنديات، جوز، بنفسج الثالوث، أرقطيون، خزامي، إكليل الجبل، سنفيتون.

ب/ **إلتهاب المثانة**: هناك العديد من الأعشاب التي تُستخدم في علاج التهاب المثانة، السلق، الكرز، كتان، سفرجل الخنج، عنب الدب أذنا، زهر البوصيرن للاميون الابيض، شعر الذرة، بوقيص، البتولا، عنب الذئب، ديوسمة سكر الحوت، ذنب الخيل، رمان الانهار ابو خنجر، طربوش الباشا، كالتيسوس، كركر، لبلاب، عليق، جراب الراعي، حشيشة الزجاج، كراث، بسلة، بازيلا.

¹ / شهرزاد موسي، الامراض النسائية واستجابة النساء المصابات للمرض دراسة ميدانية بمصلحة أمراض النساء والتوليد بمستشفى اسعد حساني بني مسوس - الجزائر - ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2007، 2007، ص 39، 51.

ج/ التهاب المهبل: وهو عبارة عن التهابات جلدية على مستوى المهبل من الداخل والخارج، تسبب إفرازات مهبلية غير دموية (سيلان) وحروق، ويصبح الألم أشد عند الجماع. يمكن علاجه بالأعشاب الآتية:

خبازي، لسان الحمل، بوصير أبيض، غافت، أخيلي، أذارايون، الرمال الاصفر.

د/ حكة الفرج: يمكن علاج حكة الفرج باستخدام الأعشاب التالية: بانونج، أخليا، رجل الذئب، ناعمة مخزنية، لوز، ارقطيون.

النزيف الرحمي: تُستخدم العديد من الأعشاب في الطب الشعبي لعلاج حالات صحية متنوعة، بما في ذلك النزيف الرحمي، تُستخدم الأعشاب التالية للمساعدة في علاج : السرو، كيس الراعي، الرمان، لاميون أبيض، الكمة الحمراء، الانجبار، عصاء الراعي، ورق السندايان، ورد بري، ورد أحمر، حشيشة القزاز، لسان الحمل، عليق، توت اسود.

هـ/ هبوط الشرج: في الطب التقليدي، تُستخدم الأعشاب التالية للمساعدة في علاج الهبوط الشرج: حرشف بري، اخيليا، ذرة، رثم، رمان الانهار، لبيدة، بلوط، ناعمة مخزنية، شرونة زعتر حار، برتقال، نعنec.

ي/ ورم ليفي: تُعد الأورام الليفية مشكلة شائعة لدى النساء في سن الإنجاب، وهي تتكون من خلايا عضلية ملساء على شكل ألياف منظمة. على الرغم من أنها تعتبر أورامًا حميدة، إلا أن هناك بعض الأعشاب التي يُعتقد أنها قد تُستخدم في علاجها، ومنها:

خزامي، جراب الراعي، زعرور، سرو، فمادريوس، شوبلاء، حرشف بري، ثقل الماء، لاميون ابيض¹.

هناك العديد من الأعشاب التي يُعتقد أنها تقوي الرغبة الجنسية لدى الزوجين، كما أنها تقوي الجهاز التناسلي لهما. ونذكر منها²:

- **جنور قرنفل**: تُعرف هذه العشبة بفوائدها الصحية المتعددة للجسم. وتُعتقد أنها تقوي الأعضاء التناسلية عند الجنسين وتساعد على الإنجاب.

لتحضير العلاج، أحضر ملعقة صغيرة من الجذور المفرومة وضعها في فنجان من الماء الساخن. يُشرب منه مرة واحدة أو مرتين يوميًا حسب الكمية الموصوفة.

- **البردقوش البري (المرزنجوش)**: يُعرف البردقوش البري بقدرته على علاج العقم عند النساء وتشنجات الرحم. يُحضر عن طريق وضع بعض زهوره في فنجان من الماء المغلي. يُشرب منه فنجانان يوميًا، موزعة على أوقات مختلفة من اليوم.

- **الميرمية**: تُستخدم الميرمية أيضًا في علاج العقم عند النساء. تُحضّر بنفس طريقة البردقوش، حيث توضع ملعقة صغيرة منها في فنجان من الماء الساخن، ويُقسم هذا الفنجان ليُشرب على مرتين في اليوم فقط.

¹ نفس المرجع، ص 51،45.

² موسي الخطيب، موسوعة المرأة الصحية الامراض والاسباب والوقاية والعلاج بالوصفات والبدائل الطبيعية، دار المعارف، القاهرة، 2006، ص169.

• **بذور الخس مع العسل:** بذور الخس تُخلط مع عسل النحل، المعروف بفوائده الكثيرة ووروده في القرآن، ويُستخدم في العديد من الوصفات، خاصة لعلاج العقم. تُؤخذ ملعقة صغيرة من بذور الخس وتُخلط مع ملعقة عسل، ويُؤكل منها ثلاث مرات يوميًا (ثلاث ملاعق إجمالاً).
بالإضافة إلى ما سبق، هناك أعشاب ووصفات أخرى تُستخدم في الطب الشعبي لتعزيز الخصوبة وتقوية الجهاز التناسلي.

• **بذور الشمر والخس:** يمكن تناول ملعقة من بذور الشمر والخس صباحًا ومساءً. كما يُنصح بتناول الخس الطبيعي الطازج يوميًا.

• **الهدال (الدبق):** معروف منذ القدم عند الأطباء، ويُوصى به للتخلص من العقم عند النساء بشكل خاص. يُؤخذ منه مقدار ملعقة صغيرة ثلاث مرات في اليوم (إجمالي ثلاث ملاعق يوميًا).

• **طلع النخل:** يمتلك طلع النخل العديد من الفوائد الصحية ويُستخدم في خلطات متنوعة، خاصة في علاج العقم. تُحضر كمية من طلع النخل وتُخلط بالعسل، ثم تضع المرأة جزءًا منها في رحمها قبل الجماع مع الزوج، ويُعتقد أن ذلك يساعد على الحمل.

ومن خلطات معروفة لعلاج العقم عند النساء:

خلطة لبوس مهبلي: و تستخدم هذه الخلطة لمعالجة العقم النسائي وهي تتكون من 100 غ من عشبة سنامكي ، 100 غ من الزعفران، 100 غ من الشب اليامني، 100 غ من الخزامي، 100 غ من لسان عصفور، 50 غ عودة قرح، 50 غ مسك، ويتم خلط هذه المكونات مع العسل الطبيعي و يتم وضعه

في قطعة قماش قطنية ،وتم تستعمل علي شكل لبوس – أي توضع من الحفافات النسائية- لمدة ثلاثة أيام متتالية وفي الليلة الرابعة يتم الجماع بين الزوجين¹.

هناك العديد من المكونات الطبيعية التي يُعتقد أنها ترفع الخصوبة عند النساء والرجال وتساعد على الإنجاب والتخلص من العقم. من أهم هذه المكونات التي تتكون منها الخلطات الطبيعية لعلاج العقم ما يلي²:

- **العسل وغذاء ملكات النحل:** يُعرفان بخصائصهما المغذية والمُعززة للصحة العامة، والتي قد تنعكس إيجابًا على الخصوبة.
- **حبوب لقاح النحل:** غنية بالفيتامينات والمعادن والبروتينات التي تُعد ضرورية للصحة الإنجابية.
- **الجنسنغ:** يُعرف بخصائصه المنشطة والمقوية للجسم، وقد يُساهم في تحسين الوظائف الإنجابية.
- **حب الرشاد:** يُستخدم تقليديًا لزيادة الخصوبة لدى الجنسين.
- **حبة البركة والحرمل:** يُعتقد أن لهما فوائد صحية متعددة، وقد وردا في الطب النبوي كعلاجات لبعض الأمراض، بما في ذلك السحر.
- **القسط الهندي والقسط البحري:** يُستخدمان لعلاج الكثير من الأمراض، وقد ورد نفعهما في الطب النبوي. يُعتقد أنهما مفيدان في حالات السحر أيضًا.

¹ / نفس المرجع، ص 169، 170..

² / قاسم هاجر، نايلي مروة، مدى فاعلية إستخدام حبوب طلع النخيل (Phoenix dactyliferaL) في علاج بعض حالات العقم عند النساء، مذكرة تخرج ماستر، جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 2020، 2021، ص 26، 27.

- الزنجبيل: مفيد لأمراض الحساسية وغيرها، وقد يُساهم في تحسين الدورة الدموية، مما يعود بالنفع على الجهاز التناسلي.
- زيت الحبة السوداء: يُعرف بفوائده الصحية العديدة، ويُستخدم في العديد من العلاجات التقليدية.
- طلع النخيل: قد يأتي على لونين أصفر أو أبيض، ويمكن أن يؤخذ على شكل مسحوق ناعم مع العسل. يُعتقد أنه يعمل على تحفيز الرغبة الجنسية وعلاج العقم، كما يساعد على تقوية الحيوانات المنوية وتحفيز التبويض لدى المرأة. بشكل عام، يُعتقد أن تناول طلع النخيل يحسن من وظائف الجهاز التناسلي.
- الحلبة: تُعد الحلبة غذاءً ومشروبًا مقويًا ومنشطًا، خاصة للنساء، ومعروفة منذ القدم. تُعتبر مفيدة في مختلف المراحل العمرية، بما في ذلك الحمل، الولادة، الرضاعة، وحتى في مرحلة سن اليأس.
- الجنسنج: تُعتبر جذور الجنسنج من الأعشاب المفيدة، المقوية، والمنشطة، خاصة في حالات نقص الطاقة الجنسية سواء للرجل أو المرأة. على الرغم من وجود العديد من الوصفات المصنعة من جذور الجنسنج، يُفضل عادةً استخدامها في صورتها الطبيعية.
- بالإضافة إلى ما سبق، هناك أعشاب أخرى تُعرف بفوائدها للقدرة الجنسية، مثل عشبة الداميانا، وشجرة كزبرة البئر، واليوهيمبان¹.

لغرض علاج العقم عند الرجال، توجد وصفة تقليدية تعتمد على مزيج من الأعشاب والعسل.

¹/ أيمن الحسيني، موسوعة الطب الشعبي و العلاج البديل، دار الطلائع للنشر و التوزيع ، مصر، ص 202، 203.

تتكون الوصفة الاولى من: الزنجبيل ومسحوق الجرجير، والفلفل الاسود، وحبّة البركة، وزيت بذور الكرفس، تُخلط هذه الأعشاب بكميات متساوية مع عسل النحل المغلي. يُؤخذ منها ملعقتان على الريق، أي قبل الإفطار صباحًا.

الوصفة لتعزيز الثانية الخصوبة: لتحضير وصفة لتعزيز الخصوبة، قم بتجهيز المكونات التالية بكميات متساوية:

الكمون، والخولنجان، وبذور الفجل، وعصير البصل، وبذور الخس، يمكن تحضير هذه المكونات على شكل مسحوق. ثم تُخلط المكونات المسحوقة مع عسل النحل. يُتناول من هذا الخليط ثلاث ملاعق يوميًا.

هناك بعض الخلطات التي يمكن للزوجين تناولها معًا بهدف تعزيز الخصوبة وزيادة فرص الإنجاب: غذاء ملكات النحل مع العسل وطلع النخيل: تُحضّر هذه الخلطة بخلط غذاء ملكات النحل الطازج مع عسل النحل وطلع النخيل. يُنصح بأن يتناول الزوجان من هذه الخلطة يوميًا لمدة شهر على الأقل. يمكن الاستمرار في تناولها لأكثر من شهر إذا رغبوا في ذلك. يُعتقد أن هذه الخلطة تُساهم في مساعدة الزوجين على الإنجاب والتخلص من مشكلة العقم.

خلطة لعلاج العقم باستخدام الحبة السوداء والحلبة

لتحضير خلطة تُستخدم في علاج العقم، يتم إحضار مقادير متساوية ولابد أن تكون مطحونة، الحبة السوداء مطحونة، وحلبة ناعمة، وبذور الفجل تُخلط هذه المكونات مع بعضها، ثم يُضاف إليها نصف

كوب من العسل .يؤخذ من هذا الخليط صباحًا ومساءً. بعد تناول الخلطة، يجب شرب كوب كبير من حليب النوق .تُعرف هذه الخلطة بفعاليتها في علاج العقم¹.

ومن العلاجات النادرة للعقم المرأة التي ذكرها علي بن العباس المجوسي علاجًا نادرًا للعقم عند المرأة، حيث يقول: يجب على المرأة أن تشرب في كل يوم "نشارة العادة" فإنها تحمل وإن كانت عاقراً، من أجل الحمل، يجب الامتناع والابتعاد عن المشروبات التي تحتوي على الكافيين مثل الشاي، الكولا، الكاكاو، والقهوة.

في المقابل، توجد مأكولات يُنصح بتناولها وتُعتبر مفيدة لزيادة الخصوبة والإنجاب، خاصة تلك التي تحتوي على نسبة مرتفعة من فيتامين "ج" و"هـ" والزنك .بكميات كافية، يمكن لهذه الفيتامينات والمعادن أن ترفع من خصوبة المرأة.

ونجدهم في الموالح مثل الليمون و الجريب فروت، والبرتقال، وأما الزنك نجده في الحبوب غير منزوعة القشرة، وفي زيت الخضروات، وفي المكسرات كالبندق، وللوز، كما يتوفر الزنك في الأطعمة كالخضروات و الفواكه مثل التفاح، الكمثري، الخس².

في بعض التقاليد الشعبية، تُستخدم وصفات تحتوي على مكونات حيوانية ونباتية بهدف تعزيز الإنجاب لدى المرأة. إحدى هذه الوصفات تتضمن: سبعة أقدام لأرنب بري، ومرارته، الجناح الأيمن لبومة، تُسلق

¹/ موسي الخطيب، نفس المرجع، 170.

²/ دعد عصام محمد، هدي عبد الله طاهر، علاج أمراض الجهاز التناسلي الانثوي من كتاب كامل الصناعة الطبية الضرورية (المعروف بللكي) لعلي بن العباس المجوسي(ت384هـ/994م)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، 2013، ص350،351.

الأقدام والمرارة والجناح، ثم تُوضع في منقوع من النعناع. تُشرب المرأة من هذا الخليط عند النهوض في الصباح، وتستمر في ذلك لمدة سبعة أيام متتالية¹

على الرغم من الفوائد الكثيرة للعلاج بالأعشاب وقدرتها على شفاء حالات لم تُعالج حتى في الطب الحديث، إلا أن سوء استخدامها من قبل المعالج أو المريض يمكن أن يكون فتاكًا بالجسم ويؤدي إلى أضرار كبيرة.

أبرز المخاطر:

- الكمية ومدة العلاج: يُشكل أبرز خطر في استخدام الأعشاب هو الكمية المستعملة ومدة العلاج. أي زيادة قد تؤدي إلى تسمم، والذي بدوره قد يسبب الوفاة أو خللاً عضوياً خطيراً.
- الاعتقاد الخاطئ بأنها آمنة دائماً: من المعتقدات السائدة أن الأعشاب طبيعية وبالتالي ليست خطيرة، وأنها "إن لم تنفع لا تضر". ولكن هذا غير صحيح، فبعض الأعشاب إذا زادت كميتها في الجسم أصبحت سامة.
- التفاعلات مع أعشاب أخرى: بعض الأعشاب لا يجب استعمالها مع أعشاب أخرى في نفس الوقت، لأنها قد تتفاعل بشكل سلبي.

¹ Mathéa gaudry, opcit, p 234.

لذلك، من الضروري أن يكون المعالج بالأعشاب الطبيعية على دراية كافية بها، وبآثارها، وتفاعلاتها مع أعشاب أخرى. فإذا زاد الشيء عن حده، انقلب إلى ضده. فالنباتات قد تبدو غير ضارة وليس لها أضرار جانبية، ولكن قد يكون جزء منها سامًا ويُشكل خطرًا على حياة المريض¹.

8.2/ العلاج الشعبي السحري:

يُعرف هذا النوع من الممارسات بالسحر الأبيض في المعتقد الشعبي. يتم فيه الاستعانة بالآيات القرآنية بهدف علاج بعض الأمراض مثل الصداع والحمى. كما يُستخدم من أجل الحصول على الأشياء التي تُساعد الفرد، مثل الحصول على عمل أو الزواج.

هذا النوع من الممارسات نجده لدى كل من قارئة الكف وقارئة الفنجان، وأيضًا يُستخدم في معرفة المستقبل والتنبؤ به².

يُقصد بالسحر النافع ذلك الذي يُستخدم في أعمال الخير، وقد يختص به سحرة معينون. يعمل هذا النوع من السحر على تحقيق منفعة الأفراد وشفائهم، وقد كان يُمارس لتعجيل سقوط الأمطار، أو حماية الحيوانات الأليفة من الأوبئة والأمراض، أو لتقديم العون في المعارك لتحقيق النصر للقوم. أي أنه قد يُعالج الفرد من مرضه ويُساعد الجماعة التي يعيش فيها.

¹ / Sebai Mohamed ; Boudali Mohamed, La phytothérapie enre la méfiance et la confiance, Institut De formations paramédicales CHETTIA, Algérie, promotion 2009–2012, p 26.

² / بن عاشور زهرة ، ممارسة السحر و الشعوذة في المجتمع الجزائري، مجلة آفاق علم الاجتماع، 2014، ص45

كما أن السحر النافع يُطلق على ممارسه لقب الكاهن الطبيب، وقد كان يبيع الناس التعاويذ والتماائم لجلب المحبة أو لعلاج العقم، بالإضافة إلى التعاويذ الجالبة للحظ. ويكون الساحر الذي يشتغل بالسحر النافع موضع احترام وتقدير، ويكون من ضمن القادة في المجموعة¹.

يُستخدم في هذه الممارسات التعاويذ والشعوذة، وتعتمد طرقها وأساليبها العلاجية على ممارسات السحر والغيبات والاتصال بالعالم الآخر من جن وأرواح وشياطين. يحمل المعالج بالسحر اسمًا خاصًا مثل الشامان أو الساحر. وفي الجزائر، يُطلق عليه أسماء مثل: الطالب، الساحر، والمرابط. يتم التشخيص من خلال وسائل روحانية، ثم يُوصف العلاج الذي يتألف عادة من العلاج بالأعشاب التي يُعتقد أن لديها القدرة على العلاج ولها أهمية ورمزية.

يختلف الطب التقليدي الأفريقي في اعتقاده بأن المرض لا يحدث صدفة، بل من خلال عدم التوازن الروحي أو الاجتماعي.

وكان للمعتقد البربري اتصال عظيم بمظاهر الطبيعة وما فيها من عظمة كالأجرام السماوية مثل الكواكب. بالإضافة إلى ذلك، تُعتبر حيوانات مثل الثور، الكبش، التيس، والأفعى رموزًا مؤهلة لديهم. كما أن الكهوف والمغارات تُحظى بمكانة رفيعة لديهم بسبب ما يعتقدون بحلول الأرواح بها.

يستخدم بعض المعالجين السحر، والطلاسم، أو تلاوة تعاويذ في العلاجات. يُنظر أيضًا إلى الطبيعة الثنائية للطب التقليدي الأفريقي، التي تجمع بين الجسد والروح والمادة والروح وتفاعلها مع بعضها البعض، على أنها شكل من أشكال السحر التي يستخدمها هؤلاء الممارسون. وهي معروفة على نطاق

¹ / ميس إبراهيم نعيم دنيان عبيد، السحر و العرافة في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن الخامس الى القرن العاشر هجري، مجلة كلية التربية، عدد خاص، ص482،483.

واسع بـ "سحر التعاطف"، الذي يُقدم فيه نموذج للضحية (مثل دمية الشعوذة). فما يتم تنفيذه من إجراءات على النموذج يُنقل إلى الضحية بطريقة مشابهة¹.

في الحالات التي تُسبب فيها أرواح المتوفى المتاعب والمرض للأقارب، يصف رجال الطب التقليدي العلاج، وغالبًا ما يكون ذلك في شكل من أشكال التضحية الاسترضائية. ويهدف هذا إلى إراحة هذه الأرواح ومنعها من التسبب في أي مشكلة للأحياء، وخاصة الأطفال.

يُعتبر الشفاء في العديد من الثقافات فعلًا من الأفعال الدينية. لذلك، فإن عملية الشفاء غالبًا ما تُحاول التقرب إلى الله، لأن الله في النهاية ليس فقط بإمكانه إلحاق المرض، ولكن أيضًا توفير العلاج. العديد من المعالجين يشيرون إلى الله كمصدر للطاقة الطبية².

3/ العلاج بالرقية الشرعية

3. تعريف الرقية الشرعية:

الرقية، كما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام، هي أدعية وقراءة بعض السور أو الآيات من القرآن الكريم، وخاصة تلك التي وردت عنه صلى الله عليه وسلم. من أمثلة هذه الرقى ما قاله: "(اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا)".

¹ /Gharbi Ikbal : La représentation de la maladie et de la santé et la médecine raditionnelle Chez la communauté tunisienne en France ; thèse en enthropologie, Université de Paris v ; 1991.pp.60-169.

²/ Same Reference, p. 169

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُرخص بالرقية إلا بعد التحقق من كلماتها وتأكد من أنها لا تخالف الشريعة الإسلامية. ثم علم المسلمين كيفية الرقية بالدعاء والمعوذات. فالرقية الشرعية هي في جوهرها استعانة بالله سبحانه وتعالى¹.

كان رفض الرسول صلى الله عليه وسلم للرقية في بداية عهد الإسلام يعود إلى كونها كانت ممارسة قديمة وشائعة في الجاهلية، بل هي من أقدم الآثار التي خلفها الإنسان ولها ارتباطات بالسحر، خاصة لدى الشعوب الوثنية. لهذا السبب، فإن الرقية الشرعية كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليست متصلة بالسحر. بل كانت عبارة عن عرف سائد في الجاهلية تم تحريم ما هو متصل بالجاهلية وتحليل ما يتوافق مع الإسلام. ولذلك، تُعتبر الرقية الشرعية من الوسائل المسموح بها لعلاج السحر في الإسلام².

يؤمن المجتمع الجزائري، شأنه شأن المجتمعات الإسلامية الأخرى، بأهمية الرقية وشرعيتها. وقد شهدت الرقية الشرعية بعثاً جديداً في منتصف الثمانينات من القرن الماضي³، لقد انتشرت الرقية الشرعية بشكل ملحوظ في الجزائر، مما أدى إلى زيادة وكثرة الرقاة الممارسين لهذا النوع من العلاج، وكذلك زيادة عدد الأشخاص الذين يترددون عليهم. وتجدهم من مختلف الأوساط الثقافية والاجتماعية على حد سواء. فالعلاج بالرقية الشرعية هو ممارسة علاجية تستمد مادتها العلاجية من القرآن الكريم والأدعية من السيرة النبوية، وما ورد فيها عن الرقية وشرعيتها في علاج مختلف أنواع السحر والأمراض.

¹ / صباح قاسم سعيد الرفاعي، مرجع سابق ذكره، ص 261، 262.

² / نفس المرجع، ص 261، 262.

³ / العماري الطيب، العلاج بالرقية وعلاقته بالصحة الدينية الإسلامية مقارنة انثربولوجية، محلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثاني، 2011، ص 229.

3.2/ أقسام الرقية الشرعية

تُقسم الرقية الشرعية إلى عدة أقسام وأنواع، وقد تم تقسيمها بناءً على بيان حكمها من ناحية مشروعيتها من عدمه، وهي كالتالي¹:

التقسيم الأول: ينقسم حكم الرقية الشرعية، بناءً على مدى مشروعيتها، إلى قسمين رئيسيين:

أولاً: الرقية الشرعية:

هي ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب السيرة والأدعية النبوية. وقد قال الذهبي نقلاً عن الخطابي: "أما إذا كانت الرقية بالقرآن أو أسماء الله تعالى فهي مباحة". والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضي الله عنهما بقوله: "أعيذكما بالله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة". وبالله المستعان وعليه التكلان.

ثانياً: الرقية البدعة أو الشركية:

هي كل ما تم إضافته إلى الرقية الشرعية من تمتات وتعويزات يستخدمها المشعوذون والسحرة، والتي لا تتفق مع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم. في هذا الصدد، قال القاضي علي بن أبي العز الدمشقي: "أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله، وكل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به. وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يجوز لأنه قد يكون به شرك".

التقسيم الثاني: هذا التقسيم يُعنى بتوقيت قراءة الرقية وما يُقرأ فيها، وينقسم إلى قسمين²:

¹/ عبد الحق حميش، العلاج بالقرآن الكريم، حقيقته، أهميته، حكمه، وضوابطه، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 9، 2007، ص 24، 27.

² / نفس المرجع، ص 26، 27.

3/ الرقية التي تُقرأ قبل وقوع البلاء: هذه الرقية تُعد بمثابة وقاية وحماية من أي كرب أو ضرر محتمل. عن عثمان بن عفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في أول يومه أو في أول ليلته: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، لم يضره شيء ذلك اليوم."

2/ الرقية التي تُقرأ لدفع البلاء بعد وقوعه: هي الرقية العلاجية المخصصة لنوع معين من المرض أو الضرر أو الكرب الذي أصاب الإنسان. وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الشخص المريض يضع يده على موضع الألم ويقرأ الآيات التي تقيده وتعالج مرضه أو ضره.

التقسيم الثالث: وهنا تم تقسم على أساس نوع القراءة، أو حسب ما يُقرأ فيها¹:

أولاً: الرقية بالقرآن الكريم: هنا تتم الرقية بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من سور وآيات قرآنية. من ذلك:

- سورة الفاتحة: وهي من السور التي ثبتت مشروعيتها الرقية بها.
 - آية الكرسي والمعوذات (سورة الإخلاص، الفلق، والناس): تُعد هذه الآيات من الرقى النافعة.
 - غيرها من السور والآيات: التي ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقى بها أو حث عليها.
- ثانياً: الرقية بالأدعية والأذكار: في هذا النوع، تُستخدم الأحاديث النبوية والأدعية التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال الشوكاني: "جواز الرقية بكتاب الله تعالى ويلتحق بها ما كان بالذكر والدعاء المأثور."

¹ / عبد الحق حميش، نفس المرجع، ص 28، 32.

لهذا، قبل البدء بالعلاج بالرقية، لا بد من معرفة شروطها والتأكد من عدم وجود أي إخلال بأي قسم من أقسامها. وهذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطلب ممن كانوا يمارسون الرقية أو الرقاة قبل الإسلام أن يعرضوا عليه رقاهم للنظر فيها وإقرار شرعيتها من عدمه.

3.3/ ضوابط الرقية الشرعية :

لضمان صحة الرقية الشرعية وفعاليتها، يجب مراعاة الضوابط الشرعية الآتية¹:

أولاً: أن يكون الراقي مسلماً

الرقية الشرعية هي آيات من القرآن الكريم وأدعية من السنة النبوية، لذا يجب أن يكون الراقي مسلماً ومليماً بأمور الدين، وموقناً بقدرة كلام الله على الشفاء. هذه الأمور تقوم أساساً على الإيمان الحقيقي والصادق لضمان ثبات العلاج، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82]. فلا يجوز للمسلم أن يعالج بها غير المسلم، والعكس صحيح.

ثانياً: أن يكون الراقي على قدر من الاستقامة في دينه

الرقى يرد بها الشفاء بإذن الله، لذلك يجب أن يكون الراقي ذا إيمان واستقامة في أداء الفروض كالصلاة والصوم، وأن يكون صالح الحال وحسن الخلق، بعيداً عن الضلال والمحرمات، ويسعى إلى التقرب إلى الله من خلال العبادات ومعاملاته الحسنة مع الناس.

ثالثاً: الإيمان بأن الشفاء بيد الله

¹/ نفس المرجع، ص33.

يجب الإيمان بأن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بإذن الله وقدرته على الشفاء. فلكل داء دواء، ولكن الشفاء بيد الله وحده، سواء كان المرض عضوياً، نفسياً، أو سحراً. الله هو الشافي، ولكنه جعل هناك أسباباً للشفاء، فعلينا الأخذ بالأسباب والإيمان بأن الله هو الشافي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: 80].

رابعاً: خبرة الراقي ودرايته

يجب أن يكون الراقي على قدر من الخبرة بأمور الرقية، خاصة في حالات السحر وكيفية العلاج المناسب. كما يجب أن يكون على علم ودراية كافية بأمور العالم الآخر وكيفية التعامل معهم. وأن يكون لديه معرفة طبية، خاصة فيما يتعلق بالطب النبوي، لمعرفة أعراض ومسببات الأمراض وطرق العلاج. ممارسة الضرب أو الخنق من أول مرة غير مجدية وقد يكون لها تأثير سلبي، لذا يجب التدرج في العلاج والسير وفق تطور حالة المريض¹.

3.4/ الرقى والتعاويذ وعلاقتها بالسحر:

لقد جاءت كلمة "رَقَى" في قاموس المنجد على النحو الآتي: "رَقَى يَرْقِي رُقْيَا وَرُقْيَةً" وعليه، استُعملت الرقية جلباً للنفع أو دفعاً للضرر. أما "استَرْقَى" فتعني طلب الرقية من شخص ما. والرُقْيَةُ (جمعها: رُقَى) هي الاستعانة بقوة تفوق القوى الطبيعية في زعمهم لتحقيق أمر ما. أما كلمة "عَادَ" ومنها "تَعْوِذَةٌ" وجمعها "تَعَاوِذُ"، فتعني اللجوء إلى فلان والاعتصام به. والتعويزة هي ما يُكتب ويُعلق على الإنسان أو الأشياء المراد حفظها من الجن والعين.

¹ / عبد الحق حميش، نفس المرجع، ص33.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الرقى؛ لأن الجاهلين كانوا يرقون بما فيه شرك أو بلغة غير مفهومة، وربما كان فيه سحر أو كفر، كعادتهم في الجاهلية. فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين لم يرقوا إلا بما هو ضمن الشرع، أجاز لهم الرقية بقوله عليه الصلاة والسلام: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل".¹

04/ العلاج بالحجامة

4.1/ تعريف الحجامة:

الحجامة (بالكسر) هي عملية إخراج الدم الفاسد أو الزائد عن حاجة الجسم باستخدام المِخْجَم أو المِخْجَمَة. لا بد من استخدام أدوات معينة وأكواب مخصصة لهذه العملية، حيث توضع على الجلد في المكان المراد إخراج الدم منه أو "تحجيمه".

يمكن تعريف الحجامة علمياً بأنها نوع من الجراحة التي "تحجم" موضع الداء لاستخراج الدم الفاسد والسموم التي عادة ما تكون سبباً للأمراض التي قد تهدد حياة الفرد وصحته. من خلال عملية الحجامة، ينخفض ضغط الدم وتهيجه، مما يعود إيجاباً على صحة القلب، والكبد، والكلية، والرئتين، والمخ، وجميع خلايا الجسم. بالإضافة إلى ذلك، تنشط الحجامة مراكز الطاقة الكامنة والظاهرة، وتعمل على تنشيط الدورة الدموية.²

أما عن تعريفها الطبي: هي عبارة عن عملية شفط لجزء من الجلد في أماكن محددة، وذلك بوضع كاسات خاصة بالحجامة في مواضع معينة، مما يؤدي إلى تجميع الدم في الشعيرات الدموية بهذه

¹ / صباح قاسم سعيد الرفاعي، نفس المرجع ص 259.

² / أبو الفداء محمد عزت محمد عارف، اسرار العلاج بالحجامة والفصد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2003، ص 34، 35.

المنطقة. ثم يتم إعادة الشفط في نفس الموقع بعد تشريط سطح الجلد لسحب الدم من الأماكن التي تم تشريطها، وبهذا يخرج الدم الفاسد الذي سبب الأمراض¹.

الحجامة هي عملية إحداث خدوش صغيرة وبسيطة على الجلد في أماكن معينة، أو ما يُعرف بـ"مواضع الحجامة". تهدف هذه العملية إلى استخراج التجمعات الدموية عن طريق الضغط على الجلد وسحب الهواء باستخدام كاسات الحجامة. بعد ذلك، يقوم الشخص الذي يُجري الحجامة (المُحَمِّم) بإحداث خدوش صغيرة في نفس الموضع، ثم يُعاد وضع الكاسات للضغط وشفط الدم من مواضع التشريط، من أبرز منافع الحجامة أنها تُنقي سطح الجسم من الدم الفاسد عن طريق إخراجه من الجلد².

4.2/ أنواع الحجامة:

للحجامة نوعان رئيسيان: الحجامة الجافة والحجامة الرطبة (أو الدموية).

أولاً: الحجامة الجافة

وفي هذا النوع، يتم وضع كاسات الهواء في جزء معين من الجسم، وغالبًا ما يكون ذلك في الظهر، بهدف تنشيط تدفق الدم أو الطاقة التي تسبب مشكلة صحية في الجسم.

¹/ بحبيطة محمد الامين، وظيفة الحجامة في التقارب بين العلاج التقليدي والعلاج الطبي - دراسة أنثروبولوجية لممارسة العلاج بالحجامة في منطقتي مستغانم و غليزان -، مذكرة لنيل شهادة الماستير، كلية العلوم الاجتماعية، 2014، 2015.
²/ شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي (بابن القيم الجوزية)، الطب النبوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1958بيروت، ص41.

ويفيد هذا النوع في حالات الالتهاب وحالات الأمراض المزمنة والإنفلونزا وأيضا في حالات الركود الدم لأنها تنشط الدورة الدموية وهذا يساعد العضو في الشفاء وأيضا حالات التوتر العضلي فتعمل على إسترخاءها وتخفيف الألم¹.

ثانياً: الحجامه الرطبة (الدموية)

تأتي الحجامه الرطبة بعد الحجامه الجافة. فبعد سحب الدم وجعله يتركز في مكان محدد على الجلد باستخدام كاسات الهواء، يقوم المُحَجِّم بإحداث خدوش صغيرة بسكين مخصص لهذه العملية، بالقدر الذي يسمح بخروج الدم. يستمر المُحَجِّم بوضع الكأس ما دام الدم يخرج بلون غامق وكثيف، وتُكرر العملية حتى يصبح الدم بلون فاتح².

4.3 / التدوي بالحجامه في المجتمع الجزائري

تُعَدّ الحجامه من أقدم الممارسات الطبية وأكثر أنواع الطب البديل انتشاراً اليوم. تتمتع الحجامه بمكانة خاصة في الثقافة العربية مقارنة بالغرب والمجتمعات الأخرى، وقد ساعد على ترسيخها وإعطائها هذه المكانة إقرار الإسلام بها، حيث وردت العديد من النصوص الشرعية في فضلها، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "خير ما تدأويتم به الحجامه".

بهذا، ترسخت الحجامه كعقيدة تتبع للسنة النبوية، حيث نجد أن الرقاة يمارسونها، كما تخصص البعض فيها بصفتهم حجامين يدركون أصول الحجامه³.

¹ / محمد احمد عيسي، العلاج بالحجامه وكاسات الهواء، دار الغد الجديد، مصر، ط1، 2003، صص، 93، 103.

² / نفس المرجع، ص، 93، 103.

³ / حليم عزاز، الحجامه- الطب البديل في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الانسانية، العدد 43، ص، 385، 386.

يعتبر اللجوء إلى الطب الشعبي سلوكاً نفسياً تتأثر به الطبقات الاجتماعية، والثقافية، والتعليمية. لكن هذه الأبعاد ليست عائقاً في الجانب الديني للحجامة، فسواء كانوا متعلمين، أو فقراء، أو أغنياء، يمارسون الممارسات العلاجية الدينية. قد نجد الاختلاف هنا في الدوافع فقط: فالفقراء قد يلجؤون إليها بسبب غلاء وبعد المراكز الصحية الحديثة، بينما الأغنياء قد يلجؤون إليها بسبب عدم نفع الطب الحديث لهم أو فشله في العلاج¹.

09/ أسباب التوجه الى الطب الشعبي.

لا ينكر أحد أن الطب الحديث قد أحدث ثورة علمية وتطوراً ملحوظاً في علاج الأمراض بين الماضي والحاضر. فما كان يُعد مستعصياً على العلاج قديماً أصبح اليوم ممكناً، ولا يزال الطب في تطور دائم للبحث عن أدوية وعلاجات حديثة للتخلص من الأمراض، سواء المعروفة من قبل أو المستجدة مثل وباء كورونا.

ولكن بالرغم من ذلك، نجد أن الطب الشعبي لا يزال حاضراً وقائماً بقوة في المجتمعات، وخاصة المجتمع الجزائري، ولا يزال يحظى بالاهتمام من قبل الأفراد والمرضى الذين يختارونه كوسيلة للعلاج بدلاً من الطب الحديث.

ما هي الأسباب التي تجعل الطب الشعبي أحد أهم الطرق العلاجية التي يلجأ إليها الأفراد، سواء المثقفون أو غير المثقفين، وسواء كانوا في المناطق الحضرية أو الريفية؟ نذكر منها²:

¹ / نفس المرجع، ص، 385، 386.

² / حسام أحمد توفيق، الطب البديل للعلاج الطبيعي لحل المشكلات الصحية اليومية، الاهلية للنشر و التوزيع، الاردن، 2004، ص04.

- الخوف من الآثار الجانبية للأدوية الكيميائية المصنعة: هناك خوف عام من هذه الأدوية لأنها غير طبيعية. وقد تم منع ما يقارب 60% من الأدوية المصنعة من قبل المنظمة العالمية للصحة نظراً لأنها أحدثت أضراراً بعدد كبير من المرضى، وقد حذرت منظمة الصحة العالمية من استخدامها بسبب الآثار الجانبية الخطيرة التي تسببها¹، لهذا يبحث الأفراد دائماً عن طريقة علاج تكون آمنة، فهو يبحث عن الشفاء بدلاً من أن يصبح يعاني من أمراض أخرى وهو في الأصل يعالج لشفاء من مرض معين. هذا الملاذ الآمن يتمثل في العلاج الشعبي نظراً لأنه يستخدم مواد طبيعية من نباتات وأعشاب وزيتون.

- تلعب التكلفة² دوراً هاماً في اختيار نوع العلاج. فالعلاج الحديث غالباً ما يتطلب الكثير من الأموال، بدءاً من أجور الطبيب، مروراً بالتحاليل الطبية، وصولاً إلى شراء الدواء. تكون التكلفة هنا باهظة نوعاً ما، وهناك من لا يستطيع تسديدها.

في المقابل، يقدم الطب الشعبي علاجات مختلفة بأسعار رمزية. حتى وإن كانت بعض علاجاته باهظة في بعض الحالات (كعلاج العقم مثلاً)، إلا أنها تبقى أقل تكلفة من الطب الرسمي.

كما أن هناك علاجات منزلية لبعض الأمراض، مثل استخدام "التيزانة" (المشروبات العشبية)، والليمون (القارص)، والقرنفل، والعسل لعلاج الحمى وآلم الرأس، وأحياناً التشليط (وهي طريقة معروفة وموجودة في كل منزل)

¹ نفس المرجع، ص 04.

² نفس المرجع، ص 5.

- إن بعض الأفراد يصيبهم الإحباط واليأس بعد فشل العلاج بالطب الحديث¹ خاصة في حالات العقم والأمراض مجهولة السبب. لهذا، يبحثون عن طرق أخرى للتخلص من أمراضهم وتخفيف آلامهم بعيداً عن الطب الرسمي. وهنا يكون الطب الشعبي هو الواجهة الرئيسية، خاصة أن الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري تثق في العلاجات الشعبية وتعطيها مكانة كبيرة .

- يلعب البعد والقرب من الخدمات الصحية² أو مكان الإقامة دوراً هاماً في اختيار نوع العلاج. على سبيل المثال، نجد أن سكان المدينة دائماً ما يختارون العلاج الرسمي لتوافره وتنوع المراكز الصحية المتخصصة. بينما توجد أقلية من المتخصصين في العلاج الشعبي بالمدينة، وإن وُجدت، فلا بد أن تكون عصرية بما يتماشى وأسلوب الحياة الحضرية.

- أما في الريف والبدو، نجد إقبالاً كبيراً على الطب الشعبي والمعالجين الذين يكونون في الأصل من أهل المنطقة. وبهذا، يكون الأفراد على دراية بخبراتهم وفاعلية العلاج لديهم، خاصة إذا كان التداوي لديهم متأصلاً في العائلة. يضاف إلى ذلك بعد مراكز الرعاية الصحية، وإن توافرت بالمنطقة، فإنها تكون محدودة وغير كافية.

- تلعب الثقافة المحلية دوراً هاماً في اختيار نوع العلاج، وذلك أولاً بتفسيرها لأسباب المرض. إذا كان المرض لسبب معروف كخلل في وظائف الجسم أو العمليات الجراحية، فإن الاختيار الأنسب هو الطب الرسمي.

¹/ عبد المجيد بوناب، تجارة الدواء في الجزائر بين جهل المستهلكين و ضمير المعنيين، مجلة العلم و الايمان، العدد

5، مؤسسة المعالي للنشر و الاعلام، الجزائر، 2007، ص 24.

²/ نفس المرجع، ص 25.

ولكن في حالات لا يوجد فيها تفسير علمي للمرض أو لا توجد علة أو خلل في الجسم كالعقم، فإن التفسير الثقافي قد يفسرها بوجود سحر أو عين أو مس، نظرًا لانتشار هذه الأفكار في المعتقدات الشعبية والدينية في المجتمع الجزائري. ولهذا، في مثل هذه الحالات، لا ينفع الطب الرسمي، بل لا بد من اللجوء إلى العلاجات الشعبية المعروفة على المستوى المحلي¹.

10/ عوامل الشفاء في الطب الشعبي

إن المختصين وحتى المرضى الذين يترددون على العلاجات الشعبية يكون لديهم نوع من اليقين بأن الدواء وحده لا يكفي للشفاء، بل لا بد من الإيمان وأخذ الدواء بنية الشفاء. فعوامل الشفاء ليست مرتبطة فقط بالدواء، بل بفاعلية الجسم نفسه. فعندما يصاب عضو في الجسم بمرض أو جرح، تعمل باقي خلايا الجسم على إعطاء الطاقة الحيوية للعضو المصاب لمكافحة الأضرار الناجمة عن الإصابة. التحصين الروحاني والتوكل على الله يجب على المسلم أن يحصن نفسه من العين والسحر بقوة إيمانه، واعتماده وتوكله على الله ولجؤه إليه. كما يستحب التعوذ وكثرة قراءة المعوذتين، وسورة الإخلاص والفاتحة، وآية الكرسي.

من المهم أيضًا عدم التفكير بالسحر وجعله محور الاهتمام في اليوم والحياة، وإلا أصبح هذا وسواسًا وهو في حد ذاته مرض أعظم من السحر. لهذا، يجب الابتعاد عن التفكير فيهما وعدم الخوف من الضرر بهما، بل عليه الأخذ بالأسباب والبحث في طرق العلاج².

¹ / نفس المرجع، ص 25.

² / صباح قاسم سعيد الرفاعي، مرجع سابق ذكره، ص 264.

والأهم من هذا هو التوكل على الله في كل الأمور، بما في ذلك السحر، فهو حقيقة موجودة. لكن يجب التذكر بأنه لا يضر - أي السحر والحسد والعين - إلا بإذن الله. فكلما كان العبد قريباً من الله ومحافظاً على الصلوات والأذكار اليومية، ويتبع الذكر كما جاء في السنة، فلا يخاف أن يؤذيه شيء سواء من الإنس أو الجن، فالله هو القادر ولا يقدر فوق قدرته أحد من العالمين. كما أن الصدقة والإحسان قدر المستطاع، فإن لذلك تأثيراً عجبياً في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد¹.

لقد اهتمت بعض الدراسات بجسم الإنسان ودورة الحياة التي يمر بها، وبمختلف المعتقدات والتصورات التي تشكلت حول الجسم. كما اهتمت أيضاً بمختلف الممارسات والطقوس العلاجية التي تُقام لحماية الجسم وعلاجه في حالة المرض.

أولت هذه الدراسات اهتماماً خاصاً لربط العديد من التساؤلات العلمية حول العادات والمعتقدات والتقاليد الشعبية الخاصة بدورة الحياة، وما يتعلق بها من ممارسات وطقوس. على سبيل المثال: طقوس الزواج والولادة، واستخدام الأحجبة، وأعمال "الفاسوخة"... وغيرها، التي يُقصد بها العلاج والوقاية من الأمراض².

¹ / نفس المرجع، ص 265.

² / فاروق بولبير، عبد الله كبار، التطبيب الشعبي ذهنية و معتقد وممارسة أجيال بالمجتمع الجزائري - دراسة أنثروبولوجية - مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 8، العدد 1، 2022، ص. 140.

من خلال ما سبق، حاولنا التطرق إلى ظاهرة العقم وأسبابها حسب المعتقدات الشعبية وطرق علاجها في الطب الشعبي، الذي لا يزال مستمرًا منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا. فبالرغم من مختلف التطورات التي عرفها الطب، خاصة من النواحي التكنولوجية، إلا أن الطب الشعبي أصبح يتميز بالاستمرارية والتطور وينافس الطب الرسمي، خاصة فيما يتعلق بعلاج العقم مجهول الأسباب.

يأتي ذلك في ظل هيمنة الثقافة المجتمعية ومختلف التصورات المتعلقة بالقضايا الغيبية والموضوعية. أضف إلى ذلك الظروف الاقتصادية للمجتمع، فالوضع الاقتصادي يحدد بدرجة كبيرة الأساليب العلاجية المتبعة من طرف الأفراد.

وفيما يخص المجتمعات العربية، لا يزال الإقبال على الطب الشعبي متداولًا بكثرة، خاصة فيما يتعلق بالطرق العلاجية التي لها علاقة بالدين، كالرقية الشرعية التي تُعتبر أحد أهم طرق العلاج من السحر - بصفة عامة وسحر العقم بصفة خاصة - الذي بدوره يُعد ظاهرة منتشرة بكثرة وتمس الفرد في جميع جوانب حياته. بالإضافة إلى الحجامة كوسيلة تساعد على الشفاء من الأمراض العضوية والروحية.

الفصل الرابع

إجراءات البحث الميداني.

تمهيد

أولاً: التعريف بمنطقة الدراسة

1/ أصل تسمية مدينة تبسة

2/ الموقع الجغرافي لمدينة تبسة

3/ تاريخ مدينة تبسة

4/ مجالات الدراسة

ثانياً: تحليل المقابلات مع المعالجين.

1 / نماذج من المعالجين والمعالجات الطب الشعبي بمنطقة تبسة .

2/ الخبرة وإكتساب القدرة على العلاج لدى المعالجين.

3/ تكلفة العلاج الشعبي.

4/ الفئات الأكثر تردداً على العلاج الشعبي.

5/ أهم الأمراض التي يعالجها المعالجون الشعبيون.

6/ اسباب ودوافع التوجه الافراد نحو العلاج الشعبي من وجهة نظر المعالجين.

ثالثاً: تحليل المقابلات مع المبحوثات

1/ المستوى التعليمي للمبحوثات.

خطة الفصل

2/ مكان إقامة المبحوثات.

3/ أعمار المبحوثات عند الزواج.

4/ مدة العقم كدافع نحو العلاج الشعبي.

5/ طقوس العبور وعلاقته بالعقم.

6/ أسباب العقم حسب رأي المبحوثات.

7/ دوافع توجه المبحوثات المعالج الشعبي.

رابعاً: علاج العقم بالطرق والاساليب الشعبية.

1/ علاج العقم بالاعشاب والخلطات الطبيعية.

2/ العلاج الغيبي والروحاني للعقم.

3/ علاج العقم بالرقية الشرعية والحجامة.

4/ فوائد الاعشاب وكيفية استخدامها للعلاج العقم.

تُعتبر الدراسة الميدانية بحق أهم مرحلة في رحلة البحث العلمي، فهي ليست مجرد خطوة إجرائية، بل هي الجوهر الحقيقي الذي يُمكن الباحث من الغوص في عمق الظاهرة المدروسة. هنا، يتم تحديد وضبط الإجراءات المنهجية للدراسة بدقة متناهية، وهو أمر لا غنى عنه لضمان صحة النتائج ومصادقية الاستنتاجات العلمية.

تتميز هذه المرحلة بأنها نقطة التحول الأساسية؛ إنها مرحلة الإجابة عن التساؤلات التي تم طرحها في الإشكالية البحثية. فكل سؤال صيغ في البداية يجد إجابته، أو على الأقل يقترب من ذلك، من خلال العمل الميداني. لقد وُجدت هذه الدراسة برمتها من أجل تحقيق هذا الهدف المحوري، وهو كشف النقاب عن المجهول أو تأكيد الفرضيات المطروحة.

لتحقيق أقصى استفادة من هذه المرحلة، تبدأ الدراسة الميدانية بخطوات منظمة. أولى هذه الخطوات كانت تحديد المجال المكاني للدراسة بوضوح، وهو ما يضمن حصر نطاق البحث وتوجيه الجهود نحو بيئة محددة المعالم. بعد ذلك، تأتي مرحلة عرض النتائج المتحصل عليها من جمع البيانات الميدانية. هذا العرض لا يقتصر على مجرد تقديم الأرقام أو الملاحظات، بل يتبعها مرحلة حيوية لا تقل أهمية، وهي تحليل هذه النتائج وتفسيرها. هنا، يُطبق الباحث أدوات التحليل المناسبة ليكشف عن العلاقات، الأنماط، والدلالات الكامنة في البيانات.

الهدف النهائي من هذا المسار المتكامل هو الوصول إلى استنتاجات ونتائج عامة تُجيب عن تساؤلات الدراسة، وتُسهّم في بناء المعرفة العلمية حول الموضوع. هذه الاستنتاجات هي الثمرة النهائية للجهود المبذولة، وهي التي ستشكل إضافة نوعية للحقل المعرفي الذي ينتمي إليه البحث.

أولاً: التعريف بمنطقة الدراسة.

1/ أصل تسمية مدينة 'تبسة':

يرجع أصل تسمية منطقة تبسة إلى الأصل البربري الأول الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون، والذي يُعتقد حسب الترجمة اللوبية القديمة بأنها "اللبوة". ولما دخلها القائد الإغريقي "هرقل" (هركيليس)، شبَّهها لكثرة خيراتها بمدينة طيبة الفرعونية العريقة والمعروفة تاريخياً بـ "طيبة". ثم حرف الرومان اسمها لما دخلوها عنوة، فصارت تسمى "تيفيتيس" لسهولة نطقها. ومنذ ذلك التاريخ، اختصرت كل الزيادة اللفظية منها وصارت تُعرف بـ "تيفست".¹

يعدها مؤرخون نوميدية المنشأ لجذورها التاريخية، وهناك من يرجعها إلى ما قبل العهد الفينيقي. وفي 816 ق.م، اعتمدها الفينيقيون مركزاً فعالاً لرحلاتهم التجارية، وبعدها تم الاستيلاء عليها من طرف القرطاجيين حوالي 247 ق.م.²

في بدايات القرن الثامن، تم الفتح الإسلامي حيث قام الفاتحون الأوائل بتصحيح الاسم، فصارت تُعرف باسم "تبسة" بفتح التاء وكسر الباء مع تشديدها وفتح السين مع التشديد أيضاً. وقد ظلت هذه التسمية ملازمة لها إلى اليوم. وتُعد مدينة تبسة أول مدينة رومانية تجاورها أول مدينة إسلامية صغيرة في المغرب الإسلامي عامة وفي الجزائر خاصة، فبعد إنشاء المسلمين لمدينة القيروان بتونس، قد أنشأوا أول مدينة إسلامية مجاورة للمدينة الرومانية المحصنة بالصور العالي.³

¹ / حمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، بوابة الشرق ورؤية العروبة وأريج الحضارات، دار السلام، 2005، ص18.
² / صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر في عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م، 1962، دار العلوم، الجزائر، 2002، ص12.

³ / أحمد عيساوي، مرجع السابق، ص19.

2/ الموقع الجغرافي لمدينة تبسة

مدينة تبسة هي الولاية الثانية عشرة في التقسيم الإداري للجمهورية الجزائرية. تقع هذه الولاية الحدودية في أقصى الشرق، وتحدها شمالاً ولاية سوق أهراس، وغرباً ولايتا خنشلة وأم البواقي. أما جنوباً فتحدها ولاية الوادي، ومن الشرق الجمهورية التونسية.

شُيّدت المدينة على سفح جبال تبسة، ومن أهم قممها جبل الدكان وجبل أزموور، ضمن سلسلة جبال الأوراس. يقابلها سهل المرجة، وبذلك تحتل موقعاً استراتيجياً هاماً كونها مُحصنة طبيعياً بمرتفعاتها، إضافة إلى وجود السهول بمحاذاتها، وكذلك أودية دائمة الجريان مثل وادي شبرق.

تُعتبر تبسة نقطة ربط بين الساحل التونسي والهضاب العليا من جهة، وبين الأراضي الإفريقية الوسطى ومناطق إنتاج القمح في الشمال¹.

تقع منطقة تبسة في سفح منطقة تضاريسية جبلية وعرة، عالية القمم أحياناً ومتوسطة الارتفاع في بعض المناطق، حيث يبلغ متوسط ارتفاع جبالها حوالي 1286 متراً فوق سطح البحر. وهي تقع بين خطي عرض 30-32 شمالاً وخط طول 5-54، ضمن جبال الدكان والقعقاع وبورمان، وهي إحدى فروع سلسلة جبال الأوراس الشاهقة. تنتمي تبسة جغرافياً للإقليم القاري المتميز بحرارته الشديدة صيفاً وبرودته الشديدة شتاءً، كما تعرف بقسوتها المناخية والجوية الطبيعية وبهوائها الجاف، وهي بذلك تدخل ضمن المناطق السهلية. وتشتهر بالرعي وبالزراعات البعلية، كما تشتهر بالصناعات التقليدية المرتبطة أساساً بتربية المواشي واستغلال منتجاتها الصوفية.

¹ / بوسليمانى حياة، المعالم الاثرية والتاريخية لمدينة تبسة- دراسة تاريخية وصفية-، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 02، ص 1714.

وقد وصفها الرحالة الجغرافي الشهير ياقوت الحموي قائلاً واصفاً المدينة كما رآها: "إنها مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة، أول عجيبة ما بإفريقية بعد قرطاجة وأعظم منها، فيها دار ملعب قد تهدم أكثره، أغرب ما يكون من البناء. وفيها هيكل يظن الرائي أنه كلما رُفع اليد عنه يكاد يُعرف الفرق بين أحجاره، ولو غرست إبرة بين حجرين من أحجارها ما وجدت منفذاً. وفي داخله أقباء معقودة بعضها فوق بعض، وبيوت تحت الأرض لها منظر هائل. والمسكون اليوم من تبسة إنما هو قصرها، وعليه سور من الحجر جليل متقن العمل كأنما فُرج منه بالأمس، وهو حصن منيع عظيم... ولمدينة تبسة بساتين وفواكه عجيبة، ويجود الجوز حتى يُضرب به المثل في إفريقية"



صورة: توضح خريطة تبسة.

3/ تاريخ مدينة تبسة

لقد وُجدت الحياة البشرية أو التواجد البشري في مدينة تبسة حوالي 12000 قبل الميلاد، حيث أطلق عليها المؤرخون الحضارة القفصية والعاطرية الغابرتين. وقد ذُكرت مدينة تبسة في تاريخ الجزائر العام من خلال الحديث عن العصر الحجري، حيث عرفت منطقة تبسة نوعًا من التقدم البشري وذلك باستعمال عظام الحيوانات وبيض النعام، فصُنعت الأوعية والإبر والسكاكين والمساجي، وهُذبت فيها الأدوات الحجرية نوعًا ما، وتم الانتقال من العيش في المغارات إلى الأكواخ المستديرة والمربعة. كما وُجدت فيها المدافن حيث كانت القبور تُبنى على شكل هرمي بالحجارة¹.

ونظرًا لأهمية الموقع ووجودها القديم، فلا بد أن تكون قد مرت عليها العديد من الحضارات التي استولت وسيطرت عليها، نذكر منها:

3/1/ حكم الرومان

شهدت منطقة تبسة العديد من الحروب والمعارك بين الرومان والنوميديين والسكان الأصليين، لتظل منطقة حروب وصراعات نظرًا لموقعها الهام. وفي سنة 200 قبل الميلاد، وقعت تحت حكم وسيطرة الرومان. وبهذا، أصبحت مقاطعة رومانية تابعة لروما، تُقيم بها الكتيبة الرومانية الأغسطسية الثالثة، وقد بلغ أفرادها حوالي 5500 إلى 6000 مقاتل. وبهذا العدد، أصبحت مدينة تبسة مستعمرة رومانية تتمتع بالأمن والاستقرار، وصارت معبرًا هامًا لمختلف المحاصيل القادمة من تونس باتجاه الشمال الإفريقي. في هذه الفترة، شهدت تبسة ازدهارها الاقتصادي والتجاري والعمراني والعسكري، أي في عهد الإمبراطور فسباسيان (69-76 م). كما كانت تبسة مسرحًا هامًا لثورة عارمة قامت بها الأهالي ضد

¹ /عبد السلام بوشارب، تبسة معالم ومآثر،

الرومان بقيادة الثائر جيلدون سنة 395 م، حيث تحصن بها مع الثائرين إلى غاية القضاء على انتفاضته¹.

3/2 حكم الونداليين والبيزنطيين

ظَلَّت تبسة تحت حكم الرومان حتى سقوط روما سنة 472م، لتنتقل بعد ذلك إلى حكم الونداليين في نهاية القرن الخامس الميلادي. في عهدهم، لم تشهد تبسة أي ازدهار؛ بل كان الونداليون منبهرين بمستوى التحضر الذي كانت عليه المدينة، فلم يضيفوا لها أي شيء يُذكر. وخلال فترة حكمهم القصيرة، شهدت ثورات وفتن ومنازعات وخصومات أدت إلى سيطرة الروم البيزنطيين عليها سنة 534م تحت قيادة بيليساريوس (Belisarius) ومساعدته الأول سليمان (Solomon) الذي أعجبته المدينة، فأصلح ما هدمه الونداليون ورمم كنيساتها الشهيرة. وقد كانت تبسة مقر إقامة ولاية الرومان في عهد المملكة الكوميديّة الروماني².

3/3 الحكم الإسلامي

ظَلَّت تبسة تحت حكم الروم البيزنطيين حتى دخول الفاتحين الأوائل مع موجة الفتح الإسلامي لإفريقيا عام 648م، الموافق لعام 27 هجري. فتحت المدينة على يد القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري، الذي تم تعيينه مكان ابن حديج في سنة 45 هجري، وقادها من القيروان. غير أن الملكة البربرية التي تُعرف باسم الكاهنة قاومت الفتح الإسلامي، حيث اتخذت من سهل تازينبت مقراً لعملياتها وتمكنت من هزيمته على ضفاف وادي مسكيانة بين خنشلة وتبسة. لكنها سرعان ما انحدرت إلى جبال النمامشة ولقيت

¹ / أحمد عيسوي المرجع السابق، ص 28، 29.
² م عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 19.

مصرعها على يد الفاتحين العرب سنة 700 هجري، بالقرب من بئر العاتر جنوب تبسة، وبعدها تم القضاء على المقاومة المحلية¹.

وأهم ما يميز الفترة الإسلامية من تاريخ تبسة هو الهجرات الهلالية التي مرت بها المنطقة في القرن العاشر الميلادي، والتي كانت عاملاً في التزاوج بين العرب والأمازيغ في المنطقة بعد الاستقرار. وما تزال بعض القبائل تحمل اسمها "بوداي هلال" حتى الوقت الحاضر، وهذا ما تثبته التركيبة العرقية أو الإثنية. فهناك أعراش من النمامشة، كالبرارشة، بها عشائر تتكلم الشاوية كعرش الزرامة والفراخنة وأولاد مبارك، بينما توجد عشائر أخرى لا تتكلم إلا اللغة العربية كعرش أولاد محبوب وأولاد حيمدان وأولاد مسعود. أي هناك الشاوية وهناك العرب، ونجد أيضاً الأعراش التي تتكلم بالشاوية والعربية معاً، مثل عشائر العلاونة وأولاد رشاش².

مع نهاية القرن السادس عشر الميلادي، دخلت تبسة تحت وصاية البينك الشرقي للإدارة العثمانية، حيث نصبوا حامية صغيرة مؤلفة من أربعين إنكشارياً تحت وصاية قائد محلي يُعين من أعيان المدينة؛ لضمان مرور قوافل التجارة والحجيج من قسنطينة نحو تونس، وتحصيل الضرائب من السكان بواسطة قبائل المخزن، مثل قبيلة أولاد يحيى بن طالب خليفة بايات قسنطينة. وبعدها استندت إدارة المدن التابعة لإقليم بايلك الشرق قسنطينة إلى سبعة أغاوات كانوا يشرفون على مدن جيجل و القل وزمورة ومسيلة وتبسة وعنابة³.

¹ / أحمد عيساوي المرجع السابق، ص 30، 34.

² / فريد نصر الله، التطور السياسي والعسكري والتنظيمي للثورة التحريرية بمنطقة تبسة 1954-1958، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2015-1016، ص 22.

³ / على خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة لطباعة و النشر، الجزائر، 2007، ص 235.

4/ مجالات الدراسة.

4/1/ المجال الجغرافي

أُجريت هذه الدراسة على مستوى ولاية تبسة وبلدياتها. الجدير بالذكر أن أفراد العينة يتمركزون داخل بلدية تبسة وخارجها. وقد ارتأينا إجراء دراستنا الميدانية بمدينة تبسة حيث إنها تزخر بشتى أشكال الطقوس والممارسات الشعبية التقليدية من حجامة ورقية شرعية وطب الأعشاب، بالإضافة إلى كثرة المعالجين الشعبيين الذين لهم شهرة واسعة خارج الولاية. هذا، إلى جانب معرفتنا بالعديد من حالات العقم، وهذا الأخير هو الذي يُعتبر موضوعاً للدراسة.

4/2/ المجال البشري

يُعرف مجتمع الدراسة بأنه "جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث". إذن، فإن مجتمع الدراسة هو مجموعة الأفراد والأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة الدراسة أو يمثلونه¹.
تُعتبر النساء اللواتي يعانين من عدم الإنجاب أو تأخرهن الوحدة التحليلية الأساسية في هذا البحث. وعليه، يتمثل المجال البشري للبحث في النساء العقيمات واللواتي يتعالجن بالطرق الشعبية. بالإضافة إلى ذلك، أجرينا مقابلات مع المعالجين الشعبيين باختلاف اختصاصاتهم؛ وذلك من أجل التعمق أكثر في طرق العلاج الشعبية للعقم بعيداً عن الطب الحديث.

¹ عبيدات ذوفان وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، ط6، ص131.

ثانيا: تحليل المقابلات مع المعالجين

تم إجراء مقابلات تتضمن أسئلة مفتوحة ومغلقة مع النساء اللاتي يعانين من العقم وتأخر في الإنجاب، ومع المعالجين الشعبيين. وقد وُزعت المقابلات على عدة محاور لجمع بيانات شاملة.

1/ نماذج من المعالجين ومعالجات الطب الشعبي بمنطقة تبسة

تتوزع منطقة تبسة بالعديد من المعالجين الشعبيين، منهم المجهزون، والمعالجون بالأعشاب الطبيعية، والمعالجون الروحانيون، والرقاة. ومن بين المعالجين الذين تمت مقابلتهم، نذكر:

- المعالجة الأولى: اليامنة

اسمها اليامنة، وهي في العقد السادس من عمرها، من منطقة العقلة المألحة. تُعد من المعالجين المعروفين في المنطقة، وتُعالج الكثير من الأمراض. عملها متوارث من أم زوجها التي كانت من أشهر المعالجات في وقتها، بالإضافة إلى خبرتها الواسعة بالأعشاب.

تُزاول المعالجة عملها في منزلها، وقد تذهب أحياناً إلى منزل المريض. ليس لديها وقت محدد للعمل؛ فهي تستقبل الناس في منزلها، ويمكن الاتصال بها عن طريق الهاتف. يأتي إليها العديد من المرضى، سواء من تبسة أو من ولايات أخرى، وفي الغالب يكونون نساءً وأطفالاً. أما بالنسبة للرجال، فتعالجهم عبر الهاتف؛ أي يحكي لها المريض عن مرضه، وهي تقوم بإعطائه الوصفة. تُعالج اليامنة العديد من الأمراض مثل البواسير، المعدة، العقم، الخلع، الخيال لدى الأطفال، والأمراض الجلدية، إلخ.

أما بالنسبة للأجر، فهي تُحدد الثمن الذي يُقدم لها في بعض الأمراض، حيث تطلب شراء الأعشاب والزيوت. وفيما يخص بعض الوصفات، تقوم بإعدادها وتطلب ثمنها. أما في حالات العقم، فتطلب ثمن الأعشاب والزيوت وتُخبر المريضة أن تُعطيها أي شيء بعد أن يرزقها الله بالأولاد.

- المعالجة الثانية: رقية

اسم هذه المعالجة هو رقية، وقد اكتسبت شهرتها من والدتها التي كانت تعمل في هذا المجال من قبل، فتوارثت العمل عنها. ذكرت أن القدرة على العلاج أعطتها إياها والدتها من خلال محرمة حمراء وضعتها في يدها. هذه المحرمة سر بينها وبين والدتها لا يمكن أن تُخبر به أحداً، ولا عن الكلام الذي قالته أو سمعته.

تُمارس المعالجة عملها في منزلها وتُخبر المريض بأن تكون لديه ثقة وإيمان بالشفاء، حيث تقول: "اللي جاء بنية ما يحكمش فيه الدواء." (أي: من جاء بنية صادقة، أو بإخلاص، أو بإيمان قوي بالشفاء)، الشخص الذي لا يملك نية صادقة أو إيماناً قوياً بالشفاء، لن ينفع معه العلاج أو الدواء).

يمكن الذهاب إلى منزلها، وكانت في السابق تستقبل المرضى في أي وقت. أما الآن، فقد أصبحت **تحدد مواعيد مسبقة**؛ لأن الناس يأتونها بكثرة وفي أوقات غير مناسبة مثل الصباح الباكر والليل. كما أن حالتها الصحية قد لا تسمح بالمعالجة المستمرة، لذا لا بد من تحديد موعد معها قبل الذهاب إليها.

تُعالج رقية بالأعشاب والتسبيح **بالخفيف**. "الخفيف" هي عبارة عن كتلة من مادة اللاندول تقوم بالتسبيح بها حول المريض سبع مرات مع نطق كلمات بين شفاهها، ثم تقوم بتدويرها في إناء حديدي مخصص لذلك، وبعدها تضعها في "المهراس" (الهاون) ويقف الشخص فوقه. تُعالج رقية العديد من الأمراض مثل العقم، المعدة، الخلعة، السحر، وأمراض الأطفال.

وهي تُحدد الثمن الذي يتطلبه كل علاج، وخاصة في وصفات علاج العقم، يكون الثمن مرتفعًا.

- المعالجة الثالثة: شهلة

اسمها شهلة وهي في العقد السابع من عمرها. هذه المعالجة معروفة بخبرتها في الأعشاب، وقد عملت مع والدتها. تُمارس مهنة العلاج منذ مدة طويلة، وأخبرتنا أنها هي المسؤولة عن إحضار الأعشاب وتوفيرها لكل مرض، خصوصًا أن بعض الأعشاب نادرة أو غير معروفة عند بائعي الأعشاب. وتقول في هذا الصدد: "أخاف أن أوصي على الأعشاب فيجلبوا أعشابًا خاطئة، فمن يأتي ليعالج لا يعرف، وهناك بائعون لا يهتمون إن كانت نفس العشبة المهم أن يبيعوا سلعتهم، لذلك أنا أشتريها بنفسني." تُعالج شهلة أمراضًا كثيرة مثل أمراض الأطفال الصغار (كالخيال والغرور والكسر)، والبواسير، وأمراض النساء، إلى آخره.

وتحكي لنا أن هناك الكثير من الحالات التي شفيت عندها، كقريبة لها كانت تعاني من العقم هي وزوجها لمدة 8 سنوات. أعطتها خلطة من الأعشاب الطبية تتكون من الخزامى والشيخ وعك الصنوبر بالإضافة إلى العسل. قامت بخلط هذه الأعشاب مع العسل ثم ماء البصل، وكان الدواء على شكل تحاميل تُوضع في الرحم لمدة ستة أيام متتالية، وقد حملت بعد هذا العلاج. لهذا، فهي تسأل بدقة عن حالة المرأة والرجل. وفي بعض الأحيان، تطلب من الزوجة إحضار السائل المنوي الخاص بزوجها لتعرف إن كان هو المريض. وحسب ما قالت: "من خلال رؤية السائل المنوي للرجل تستطيع أن تعرف إن كان يعاني من نقص أو أنه عقيم". فإن كان يعاني من النقص أو ضعف في الحيوانات المنوية، فإنها تصف له خلطة من مكوناتها الأساسية العسل والمكسرات والأعشاب، ويجب على الزوج تناول ملعقة كل يوم على الريق.

أما إن كانت المشكلة عند الزوجة، فتقوم بتشخيص حالتها ثم تعطيها الدواء الذي يعالجها سواء كانت تعاني من الهواء أو ضعف البويضة أو الرحم المقلوب أو تعاني من السحر. فإنها تصف لها العلاج وتقول لها: 'ديري النية، ربي هو الشافي وإن شاء الله يعمر حرك على يدي، وربي يعمر حزامك' (تعني: 'ضعي نيتك الصادقة، الله هو الشافي، وإن شاء الله يرزقك بالذرية على يدي). أما عن مدة العلاج، فكل حالة تختلف، فهناك من تتجب بعد العلاج بأشهر، وهناك من تطول مدة الإنجاب، ولكنها تقول إنها عالجت العديد منهم: 'الحمد لله عالجوا عندي ياسر (كثير) نساء من كل بلاصة، وربي رزقهم على يدي، 'وكاين اللي مازال ربي ما نباش عليها' (تعني: 'والبعض الآخر لم يشاء الله لهم الحمل بعد). أما عن ثمن العلاج، فقالت: 'كانت هناك أعشاب أحضرها من الجبال ولا أطلب ثمنًا لها، لكنني كبرت ولا أقدر على صعود الجبل الآن. أشتريها من البائعين، لذا لا بد من طلب ثمنها.' وقالت إن أجر يدها ليس مرتفعًا فهي تطلب ثمنًا معقولًا. وأضافت أن البعض بعد انتهاء مدة العلاج يعودون ليشكرونها ويقدمون لها الهدايا ومبالغ مالية، خاصة في حالات الإنجاب، حيث تتلقى دعوة لحضور حفلة المولود أو في أفراحهم. .

- المعالجة الرابعة: أمينة

أمينة هي امرأة في العقد الرابع، تقول إنها تحب جمع الأعشاب من الطبيعة وتقوم بتربية النحل. يملكون منزلًا في منطقة الدكان الجبلية التي تحتوي على منازل قليلة، حيث يذهبون إليها في نهاية الأسبوع لجمع الأعشاب الجبلية مثل البابونج، إكليل الجبل، الشيح، العرعار، الخياطة، إلخ. وتقوم بتحضير مساحيق عشبية، لكنها لا تملك خبرة في العلاج الشعبي. تقول: 'لم يكن أحد في العائلة يُعالج بالأعشاب، لا أستطيع أن أعالج لأنه لم تُعط لي هذه الموهبة.' ولكن تم دعمها من قبل زوجها لحضور

دورة تكوينية في الحجامه، وفعلاً حصلت على شهادة وأصبحت تعالج بالحجامه والعلاج بالنحل، كما ساعدتها الدورة في التعمق أكثر حول الأعشاب والعلاجات التي يمكن أن تقدمها مع الحجامه.

وتقول إنها منذ أن بدأت تعالج الناس بالحجامه ازدادت خبرتها حول الأعشاب. كما أنها عالجت الكثير من الأمراض، فهناك من يُجري الحجامه الوقائية وهي في أيام معينة وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم. أما الحجامه العلاجية، فتختلف خاصة فيما يتعلق بالسحر؛ لأن مواضع الحجامه تتغير تبعاً للسحر. وقالت إنه إذا كان المريض يعاني من السحر أو العين، فإنها تعرف ذلك من خلال لون الدم. فإذا كان لون الدم طبيعياً، فهذا الشخص سليم، وإن كان لون الدم غامقاً أو مكتلاً، فذلك يدل على السحر أو العين. وفي حالات غريبة، قالت إن هناك من كان يخرج منها الدم وفيه فقاعات كأنه يغلي، وكانت هذه الحالات تتعلق بالعقم. وذكرت أن هناك من تعاني من سحر العقم لا تستطيع إكمال الحجامه أو يغمى عليها في بداية العملية. كما أنها تنصح دائماً بقراءة الأذكار والقرآن الكريم. وقالت إنها خلال مدة العلاج التي دامت أكثر من ست سنوات، لاحظت أن أكثر أسباب العقم كانت بسبب السحر، خاصة في الفترة الأخيرة، حيث ازداد عدد المترددات عليها.

أما عن مكان العمل فهي تعمل في بيتها مخصصة غرفة خاصة للإستقبال والعلاج وثمان العلاج هو

140 ديناراً للجالسة الواحدة

- المعالج الخامس: بشير

اسمه بشير، ويمارس عمله في منزله أو يذهب إلى منزل المريض. يمكن الاتصال به في أي وقت، وإذا كان متاحاً فإنه يذهب إلى المريض ويعالج النساء والرجال والأطفال.

أما عمله الرسمي فهو معلم في المرحلة الابتدائية . هو لا يمارس العلاج الشعبي إلا في الحالات العلاجية والخطيرة، فهو معالج روحي وقد تعلم هذا النوع من العلاج من قريب له . كما أنه يقرأ الكف . وعن إحدى المريضات، أخبرتنا أنها كانت تعاني من سحر كبير يتم تجديده لها في كل موسم، وأن لديها سحرًا في البيت ضمن الأغراض، وسحرًا مدفونًا أمام الباب . وقد ساعدها بشير عندما كانت على وشك الجنون ولم ينفذ معها أي دواء .

عند العلاج، يتم بكلمات ويخبرك مما تعاني، كما يصف لك علاجًا يتكون من الأعشاب والعسل وزيت الزيتون، ويصف الخل والملح لكل شخص تقريبًا، خاصة إذا كان يعاني من سحر البيت أو العين والحسد . وقال إنه خلال خبرته الطويلة كمعالج، كانت غالبية الحالات تعاني من السحر، بكافة أنواعه، من تعطيل وربط وجنون وأمراض . وقال إن المسحور دائمًا ما يكون قد تناول السحر من الأقارب أو الأصدقاء، معبرًا عن ذلك بالقول : "ما يسحرك غير ابن عمك ولا واحد يعرفك، الغريب ما يجيك منه بلاء" أي : لا يسحرك إلا القريب أو من يعرفك جيدًا، أما الغريب فلا يأتي منه ضرر . (كما يقول : أنا أحاول أن أساعد الناس فقط، ولا أطلب أي ثمن للعلاج . أنا أعطي الوصفة والمقادير للمريض وهو يقوم بخلطها، أو يشتري لي المكونات وأنا أجهز له الوصفة . وأنا دائمًا ما أنصح الناس أو الذين عالجتهم بقراءة القرآن والأذكار والحفاظ على الصلاة في وقتها، لأنها العلاج الأنسب للسحر" .

- المعالجة السادسة: حنان

حنان هي امرأة في العقد الرابع، لديها شهادة في الحجامة والعلاج بالإبر الصينية . من خلال حصولها على تكوين في الحجامة، استطاعت أن تفتح عيادة للحجامة والتدليك الطبيعي . وهي تستقبل النساء والرجال، فهناك شاب يعمل معها في قسم الرجال، وهو أيضًا حاصل على تكوين في الحجامة، ومعهما

من يساعدها في العمل. لديها أكثر من 5 سنوات من الخبرة في هذا المجال، وقالت إن الحجامة علاج ووقاية من الأمراض، ويتردد عليها أشخاص من كافة الأعمار من أجل العلاج. فالحجامة تساعد في جميع الأمراض العضوية والروحية: أمراض المعدة والأعصاب وآلام الظهر والرأس والخلعة والأمراض الروحية.

عند سؤالها عن حالات علاجتها وكانت تعاني من العقم، قالت إن هناك الكثير ممن قامت بعملية الحجامة لهن من أجل العقم، سواء للرجال أو النساء. وقالت: "هنا تشوفي الغرائب فيما يتعلق بالعقم، خاصة عند الرجال وحالات الربط" (أي: هنا تلاحظين العجائب بخصوص العقم، خاصة عند الرجال وحالات الربط). أما الحجامة للمرأة فعادة ما تكون في منطقة الرحم. وقالت لا بد في حالات سحر الأرحام أو الربط عن الإنجاب أن تترافق الحجامة مع الرقية، هنا تكون أنفع. لهذا، فهي في المساء تفتح عيادتها للراقي من أجل رقية الناس، وهو يخبر المرضى بالأماكن التي يجب عليها أن تقوم بالحجامة فيها من أجل إضعاف السحر. أما عن الثمن، فهو 200 دينار للجلسة الواحدة.

- المعالجة السابعة: فاطمة

يُطلق عليها "خالتي فاطمة"، وهي معروفة في منطقة تبسة ولديها خبرة كبيرة في علاج الأمراض بالطب الشعبي، وخاصة علاج العقم. فهي تمتحن العلاج الشعبي منذ أكثر من 40 عامًا، وقد عالجت حتى حالات لم يستطع الطب الحديث علاجها. مهنتها متوارثة عن الأجداد، حيث ورثتها عن جدتها التي قامت بـ "الدفل" (البزق) في يدها اليمنى سبع مرات، وبهذا انتقلت لها القدرة على العلاج.

تُعالج خالتي فاطمة الكسور، وأمراض الأطفال، وآلام الرأس، والغرور، حيث قالت: "إنها تعالج بإذن الله جميع الأمراض إلا الموت". وتستخدم الأعشاب والزيوت الطبيعية، وتتصح بقراءة القرآن والتضرع والدعاء

إلى الله من أجل الشفاء. وكل شخص، حسب تشخيص المرض لديه، تُعطيه العلاج المناسب. وقالت:

"أنا أفعل ما علي، والشفاء بيد الله، وضع نية صادقة لكي ينجح معك الدواء."

عند زيارتك لها، لا تستقبلك كمريض وإنما كزائر، حيث تقدم لك القهوة وترحب بك كضيف. هي تعالج الناس في منزلها. أما فيما يخص العقم، فهي تعالج بالتدليك. وقد أنجب الكثيرون على يدها ممن تراوحت مدة علاجهم بين 5 إلى 20 سنة، ويقصدها الناس من مناطق مختلفة من أجل طلب العلاج.

أما عن ثمن العلاج، فقالت إنه في الماضي كانت الأعشاب تباع بسعر رخيص، ولكن الآن سعرها مرتفع نوعاً ما. كما أن بعض الأمراض تتطلب أعشاباً باهظة الثمن، بالإضافة إلى الغش الذي انتشر في تجارة الأعشاب. لذلك، "أنا أطلب ثمن الأعشاب كما هي، أما عن أجري فيختلف حسب المرض الذي سأعالجه، خاصة أن بعض الوصفات تتطلب وقتاً وجهداً كبيراً". وأضافت: "إذا رأيت شخصاً لا يملك المال، أقول له: أعطني ما تقدر عليه، وربنا يشافي الناس كلها".

- المعالج الثامن: عبد الرحمن

عبد الرحمن هو معالج معروف يشتغل بالطاقة الروحية، وهي قدرة متوارثة لديهم في العائلة. فهم لديهم العلامة الزهرية في اليد ولديهم الحاسة السادسة قوية. قبل اشتغاله في هذه المهنة، كان يحس بالأشياء قبل وقوعها ويعرف المريض، حيث كان يمتلك إحساساً قوياً. وفي الليل أو في المنام، يشعر بامرأة تدور حوله وهي صاحبة هذه الطاقة الروحية، حيث أخبرنا أنها تنتمي إلى العالم الآخر. وهو يقول: "إن موهبته معطاة من قبل الله."

يعالج عبد الرحمن العقد والمسحور والتصفيح والربط والسحر المرشوش والعديد من الأمراض. حيث قال إن "حكيمته" في العلاج هي هبة من عند الله، ولكن "أنا أيضاً اشتغلت وبحثت وتعمقت لمعرفة أسرار

هذه الموهبة من خلال التعلم عن معالج مصري في دورة للتدريب على الروحانيات . "حيث إنه لا بد من مرشد وخبير لمعرفة كيفية الدخول إلى العالم الآخر وطريقة التعامل مع الجن. لهذا، فقد تواصل مع معالج مصري من أجل التمكن ومعرفة أسرار العالم الغيبي، حيث قام بإعطائه بعض الأعمال التي لا بد أن يقوم بها من أجل الاتصال بالجن الصالحين على حد قوله، مثل الصلاة في وقتها وفي المسجد لمدة 40 يومًا، وقراءة الأذكار والقرآن، ويكرر آية الكرسي أكثر من 1000 مرة في اليوم.

عبد الرحمن معالج معروف يعمل بالطاقة الروحية، وهي قدرة متوارثة في عائلته. يتميزون بـ"العلامة الزهرية" في اليد وحاسة سادسة قوية. قبل ممارسته لهذه المهنة، كان يشعر بالأشياء قبل وقوعها ويعرف المريض من خلال إحساسه. وفي الليل أو المنام، يشعر بامرأة تدور حوله، يقول إنها صاحبة هذه الطاقة الروحية وتنتمي إلى "العالم الآخر". يؤكد أن موهبته "هبة من عند الله".

يعالج عبد الرحمن العقد، المسحور، التصفيح، الربط، والسحر المرشوش، إضافة إلى العديد من الأمراض الأخرى. ذكر أن "حكيمته" في العلاج هي هبة إلهية، لكنه أيضًا "اجتهد وبحث وتعمق" في معرفة أسرار هذه الموهبة من خلال التعلم على يد معالج مصري في "دورة للتدريب على الروحانيات". يرى ضرورة وجود مرشد وخبير لمعرفة كيفية الدخول إلى "العالم الآخر" والتعامل مع الجن. لذلك، تواصل مع المعالج المصري الذي أعطاه بعض الأعمال اللازمة للاتصال بـ"الجن الصالحين" على حد قوله. تشمل هذه الأعمال: الصلاة في وقتها وفي المسجد لمدة 40 يومًا، قراءة الأذكار والقرآن، تكرار آية الكرسي أكثر من 1000 مرة يوميًا وأحيانًا 2000 مرة، وختم القرآن في ثلاثة أيام. هذه الممارسات تقوي لديه الشعور والإحساس، بالإضافة إلى الامتناع عن النساء والسرقعة، والتحلي بالصدق، وغيرها من الأعمال التي لم يفصح عنها. يستمر في هذه الأعمال لمدة 21 يومًا، ثم يعطيه المعلم عهدًا يقرأه ثلاث مرات ووردًا خاصًا يجب قراءته يوميًا حتى يتمكن من الحصول على "الحكمة"، أي رؤية خادم الجن

الذي أصبح يعمل معه (قد يكون ذكراً أو أنثى). يجب أن يتم ذلك في مكان خالٍ وبعيد عن الناس لإتمام العملية. يقول الآن: "الحمد لله، فمن خلال الانضباط وتطبيق تعليمات الشيخ المصري، أصبح الماء يجمد"، في إشارة إلى مدى إتقانه لعمله وقواه الروحية الكبيرة.

يذكر عبد الرحمن أنواعاً من السحر مثل: السحر المرشوش، المأكول، المشموم، المدفون، الربط، المس، وتسليط القرين. كل نوع له طريقة ومدة علاج خاصة به، ويعتمد العلاج على التزام الشخص وقوة إيمانه. ويرى أن أخطر الأسحار هو السحر الذي يتم في شهر شعبان؛ لأنه يؤدي بشدة ويصعب علاجه.

يقدم عبد الرحمن علاجات للسحر، التصفيح، القبول (مثل قبول العمل أو الزواج)، جلب الحبيب (رغم أنه لا ينصح به)، البيع، وعلاج التابعة ("القرينة")، إلخ. يؤكد: "نحن مجرد واسطة، ولكن التوفيق من عند الله".

النساء هن الأكثر تردداً عليه، خاصة فيما يتعلق بجلب الحبيب والزواج. ويقول إنه "يعمل فقط من أجل العلاج ولا يعمل للضرر".

-وصفات علاج العقم وطقوسها

عن طريقة علاج العقم، لم يستطع ذكر تفاصيل الوصفات، لكنه أعطى بعض الأمثلة العامة:

لعلاج الربط: تُستخدم الحلبة المطحونة، وتُقرأ عليها سور الصافات، الجن، والعنكبوت. توضع الحلبة في المبخرة ويتم التبخير بها لمدة سبعة ليالٍ في الساعة الثانية عشرة ليلاً مع ظهور القمر. يُستخدم هذا العلاج عادة في الصيف لرؤية القمر، ويجب أن يكون المريض وحده في الغرفة. بالنسبة للمرأة، تضع المبخرة بين قدميها وتتأكد من وصول دخان الحلبة إلى الأعضاء التناسلية بعد فترة الحيض، حيث

يُلاحظ نزول دم غير دم الدورة بعد سبعة أيام، وهو دليل على التخلص من السحر. أما الرجل، فيكتفي بشم الدخان إذا كان يعاني من الربط.

لعلاج الرجل من الربط أيضاً: يستحم بالماء في غرفة نومه، مع قراءة آية الكرسي 55 مرة وسورة الفاتحة 33 مرة، يضاف إلى الماء العرعر وأوراق السدر. يستحم بهذه الخلطة لمدة ثلاثة أيام، ويشرب من ماء الورد ويمسح وجهه به. كما يشم المسك الأسود.

استخدام الحيوانات في الطقوس

يطلب المعالج دجاجة سوداء الريش ومعزة سوداء أو خروف أسود. تُستخدم هذه الحيوانات في طقوس لاستحضار الجن ويتم تقديمها كقربان كلها أو دمه.

وصفات محددة لفك العقد

لفك العقد: يحضر المريض أربع أرجل لدجاجة وديك، وكلاهما يجب أن يكون أبيض اللون ومن النوع البلدي (المعروف بـ "الدجاج لبراهمي"). تُطبخ الأرجل في ماء، ويُقرأ على هذا الماء "تعزيمة خاصة" أخبره بها المعلم، لكنه لا يستطيع الإفصاح عنها. تُوضع الأرجل في قدر من الماء ثم تُقرأ عليها التعزيمة، وبعدها تُوضع القدرة فوق النار. يُضاف الملح الخشن إلى الماء بعد الغليان. ثم تُكتب أسماء الزوج والزوجة في ورقة بيضاء غير مخططة باستخدام قلم الزعفران. بعد أن تُطهى الأرجل جيداً، تُحضر خيطاً رقيقاً أو "شعرة الحصان" (كما سماها)، وتُربط كل رجل بثلاث عقد. تُعلق هذه الأرجل وتُبخر بالكافور وعشبة المرجان لمدة ثلاثة أيام حتى تجف، مع ضرورة إخفائها عن الناس. أما الماء الذي طُبخت فيه الأقدام، فيشرب منه الزوجان لمدة خمسة أيام قبل الجماع. وبعد ذلك، تُحضر الأرجل وتُبخر

ببخور خاص صنعه المعالج، ثم تُدفن تحت شجرة في مكان بعيد. يجب أن تتم هذه العملية يوم الجمعة ليلاً، وهي وصفة لفك العقد.

وصفات أخرى: تتضمن دفن الدجاجة في التراب في مكان بعيد، لأنه إذا تم استخراجها من قبل أشخاص أو حتى حيوان مثل الكلب، يتوقف العمل.

يقول المعالج إن جميع من عالجوا عنده تم العمل بنجاح، إلا في الحالات التي لم يتبع فيها المريض طريقة العلاج أو الوصفة بدقة. هو يركز جيداً على التعليمات لأنها أحد الأسباب الرئيسية لنجاح الوصفة. أما عن الثمن، فيتراوح من 500 دينار إلى ثلاثة ملايين دينار، وكل ذلك حسب الحالة والجهد الذي تتطلبه، لكنه يؤكد: "خدمتي مضمونة".

- المعالج التاسع: عبد الحق

عبد الحق هو راقٍ معروف في منطقة الشريعة، وهو في العقد الرابع من عمره. درس حتى المرحلة الثانوية، ثم قرر ترك الدراسة والتوجه إلى حفظ القرآن الكريم، حيث أتم حفظه خلال عامين. بعد ذلك، قرر امتحان الرقية الشرعية بهدف مساعدة الناس، وتخصص أيضًا في الحجامة. هو مطلع على الأعشاب وكيفية العلاج بها.

يعالج عبد الحق النساء والرجال، لكن عند النساء، يشترط وجود محرم لإجراء الرقية. يقول إن "السحر والحسد هما من أكثر الأمراض التي يعاني منها القادمون إليه"، وخاصة في فئة النساء. كما أخبرنا أن المس والجن العاشق يصيبان الفتاة غالباً في الأعراس والمناسبات عندما تتزين وتلبس لباساً غير محتشم، وهذا ما قد يعرضها للمس. يشير إلى أن أفضل علاج للسحر أو الحسد أو العين هو تحصين النفس بالأذكار وقراءة القرآن والحفاظ على الصلاة في وقتها. فمن خلال خبرته التي تفوق الخمس

سنوات، أشار إلى أنه تعرض لكافة أنواع الأمراض مثل سحر الجنون، أو التعطيل، أو العقم، وتشويه الجمال، أو العين والحسد، إلى آخره. وقال: "مرت عليّ حالات تبكي، ربي يشفيهم".

طريقة العلاج والتوصيات

فيما يخص طريقة الرقية، يعالج الناس في المنزل، كل حالة على حدة. أما الرقية الخاصة بالعقم، فيفضل أن يكون الزوجان معاً. كما ينصح بالحجامة؛ حيث يحدد هو الأماكن التي يجب إجراء الحجامة فيها بعد الرقية، وذلك بهدف إضعاف السحر أو الجن. ينصح أيضاً بعدم قبول هدايا كالملابس الداخلية أو غيرها من قبل العروس؛ لأن هناك العديد من النساء اللواتي تم عمل سحر العقم لهن في ملابس قُدمت لهن كهدية.

يؤكد عبد الحق على ضرورة أن يكون المريض مقتنعاً بأن الله هو الشافي ويؤمن بفعالية الرقية، وأن تكون "نيته صادقة ليشفي الله" (أي: تكون نيته صافية وصادقة ليشفيه الله). ويقول: "أنا أرقى الناس سواء كان لديهم مال أو لا"، ولهذا "لا أطلب منهم ثمنًا معينًا، كل واحد يدفع ما يقدر عليه".

- المعالجة العاشرة: الطاوس

الطاوس هي معالجة بالطب الشعبي والروحي، تبلغ من العمر 70 عامًا. تعلمت مهنة الطب عن أمها، التي بدورها توارثتها عن أمها، وبهذا تكون مهنة الطب لديهم وراثية. زوجها أيضًا يعمل في هذا المجال، لكنه مختص في علاج الكسور فقط. أما هي، فتعالج تقريبًا جميع الأمراض العضوية والروحية، وتمتلك خبرة لأكثر من 30 عامًا. يتوافد عليها الناس من جميع المناطق وبمختلف الأعمار، سواء رجال أو نساء أو أطفال.

تعتمد الطاوس في العلاج على معلومات المريض مثل اسمه واسم أمه فقط. وبعدها تُخبره بالأعراض التي يعاني منها والسبب الذي دفعه للقدوم إليها، فهي تفك الأسحار وتشفي الأمراض. تقول إن عائلتها تمتلك قوة روحية متوارثة تولد معهم، وقالت: "أنا منذ كنت صغيرة أعرف المسحور من غير المسحور، وأعرف الساحر الذي يضر الناس بالسحر. وقواي الروحية كلما كبرت تزداد معرفتي وخبرتي أكثر." وتؤكد: "أنا لا أضّر الناس، أنا أعالج بالعلم الذي أعطاه لي ربي".

تستخدم الأعشاب، والزيت، والعسل الحر في علاج الأمراض مثل المعدة، والأمراض الجلدية، والرأس، والسحر، والمس. وقد أخبرتنا أنها كانت تعالج أو تكشف بـ"اللخفاف"، لكنها لم تعد تستعمله لأن أبناءها أخبروها أنه حرام. قالت: "زرت بيت ربي [أديت فريضة الحج]، لا أفعل شيئاً يغضب ربي".

عن علاج العقم، أخبرتنا أن هناك العديد من الوصفات الطبيعية. كما أنها تستعمل لعلاج العقم عند النساء التدليك في منطقة الرحم، وقالت إنه أعطى نتائج وحالات حمل. وذكرت أن الوصفات الطبية لعلاج العقم تتجح في حالة المريض الذي لا يعاني من السحر، بل لديه مشكلة عضوية سواء المرأة أو الرجل. لكن من يعاني من السحر، فهي تصف له عقداً للاستفراغ، ومجموعة من النباتات التي يتم شربها أو التبخير بها، سواء للمريض أو للمنزل. وقالت: "الحمد لله، ربنا جاب على يدي الشفاء لكثير من الناس ورزقهم بالأولاد".

تقول الطاوس إنها تستقبل الناس في منزلها، ولديها غرفة خاصة تعمل فيها منذ أن بدأت العلاج. أما عن ثمن العلاج، فقالت: "كل مرض له ثمنه، لأن الوصفة تختلف، والأعشاب أيضاً، فلكل عشبة سعر، وهناك بعض الأعشاب النادرة وتكون بثمن مرتفع." وفي حالات العقم، قالت إن أقل ثمن هو مليون (دينار جزائري)، وفي جلسات التدليك كل جلسة 150 ديناراً جزائرياً.

2/ الخبرة وإكتساب القدرة على العلاج الشعبي لدى المعالجين

2/1 سنوات الخبرة لدى المعالجين .

يوضح الجدول التالي توزيع المعالجين الذين تمت مقابلتهم بناءً على سنوات خبرتهم في ممارسة العلاج بالأعشاب:

سنوات الخبرة (سنوات)	التكرارات (عدد المعالجين)	النسبة المئوية
من 5 إلى 10 سنوات	2	20%
من 10 إلى 15 سنوات	4	40%
من 15 إلى 20 سنوات	1	10%
أكثر من 20 سنة	3	30%
المجموع	10	100%

يُظهر تحليل بيانات المقابلات مع المعالجين الشعبيين أن غالبية المبحوثين (حوالي 70%) لم تتجاوز مدة خبرتهم 20 سنة. هذا التوزيع يُعزى إلى نوعية العلاج الذي يقدمونه؛ فعدد كبير منهم يعملون في الحجامة والرقية الشرعية. مراكز الحجامة حديثة نسبياً، والمعالجون فيها يمتلكون خبرة تتراوح بين 5 سنوات وأقل من 20 سنة. هذا يعكس حداثة هذا النمط من العلاج الذي لم ينتشر بوضوح إلا في السنوات الأخيرة.

نلاحظ تغيراً واضحاً في شكل هذه الممارسات، حيث أصبحت تظهر عيادات وخدمات تُضاهي عيادات الطب الرسمي. هذه العيادات تتميز بوجود طوابير، ومواعيد محددة، وحتى طلب ملفات طبية كاملة من المريض. هذا التطور يظهر بشكل خاص في العلاج بالحجامة، والكي، وجبر الكسور.

في المقابل، تمثل نسبة 30% من المعالجين الذين تتجاوز خبرتهم 20 سنة نسبة معتبرة. هذا يشير إلى أن العلاج بالأعشاب عريق ومتجذر في الولاية. يمثل هذه الفئة كبار السن من المعالجين المتمركزين في بلديات الولاية، والذين ورثوا المهنة عن أمهاتهم أو أجدادهم. هذا دليل على استمرارية العلاج الشعبي والاحتفاظ بالوصفات التقليدية من جيل إلى جيل. هذه الاستمرارية تُشير إلى نجاح هذه الوصفات في العلاج؛ إذ لو كان العكس لما استمرت حتى وقتنا هذا، بالإضافة إلى الإيمان بها حتى وإن لم يكن المعالجون على علم بكامل المكونات وقبولها كما هي.

مع ذلك، هناك بعض الوصفات التي تُعتبر غريبة، خاصة تلك ذات الطابع الروحي مثل أكل الحيوانات والتسبيح (التطواف حول المريض). أما باقي المبحوثين، فهم معالجون روحانيون لديهم خبرة في العلاج تتجاوز 5 سنوات، مما يكمل المشهد المتنوع لممارسي الطب الشعبي في المنطقة.

2/2 / كيفية اكتساب مهارة العلاج

يُقدم الجدول التالي توزيعًا يوضح كيف اكتسب المعالجون الشعبيون مهاراتهم العلاجية:

النسبة المئوية	التكرارات (عدد المعالجين)	مصدر اكتساب المهارة
50%	5	بالوراثة
30%	3	هبة من عند الله
20%	2	بالممارسة و الخبرة
100%	10	المجموع

من الجدول، نلاحظ أن المعالجين الذين اكتسبوا مهارة العلاج عن طريق الوراثة هم الأغلبية (50%) ، خاصة في العلاج الروحاني. الطب الشعبي غالبًا ما يكون متوارثًا بين أفراد الأسرة. ففي عينات

البحث، ظهر أن المعالجين توارثوا القدرة على العلاج بعدة طرق، مثل: إعطائهم قطعة من القماش، أو ترديد عبارة "أعطيتك"، أو البصق في اليد، أو رؤية في المنام. فأحدى العينات ذكرت أن أمها أعطتها قطعة قماش حمراء (محرمة). والبعض الآخر اكتسبها من خلال رؤية في المنام، حيث يرى شخصاً أو يسمع صوتاً يقول له "أنت قادر على العلاج" أو يعطيه طريقة الوصفة وكيفية العلاج، ويحدد له نوع المرض الذي يمكنه علاجه. هذا يشير إلى أن المعرفة تنتقل من الأجداد الذين كانوا يمارسون هذا النوع من العلاج الشعبي.

يُعرف الطب الشعبي بأنه جزء هام من الثقافة السائدة في المجتمع، ويمثل مجموعة من المعتقدات والاتجاهات والعادات، كما يشكل ممارسات المجتمعات التقليدية والمعارف والمهارات. يمكن أن تكون تلك المعارف مكتوبة، كما في الطب الشعبي التقليدي الصيني، أو متوارثة شفهيًا جيلاً عن جيل، كما في بعض القبائل الإفريقية. وهذا ما يفسر انتقال المعرفة في هذه الدراسة.

هذا يفسر كيف يكتسب المعالج الشعبي هذه المهارة العلاجية من الأم أو الجدة أو حتى العمة، من خلال رؤيتهن وهن يمارسنها على المرضى. إحدى المعالجات العجائز التي تمت مقابلتها روت كيف تعلمت هذه الممارسة بقولها: "كنت أرى 'حماتي' [جدتي لأم الزوج] تعالج المرضى الذين يأتون إليها، فتعلمت من خلال الملاحظة. فقد كنت سريعة الفهم والحفظ للطرق التي تعالج بها، فأحفظها ثم صرت أعالج بها من يشتكون من أمراض العقم والآلام ووصفات للتسمين وأيضاً الأمراض الجلدية".

هبة من الله (30%) : صرح بعض المعالجين الشعبيين بأن مصدر هذه الممارسة هو هبة من الله تعالى، حيث لم يكتسبوها من أحد ولم يدرسوا عليها. نجد عبارة سائدة في المجتمع عندما ينصح بعض الناس بمعالج معين: "معطيتلو" (أي أعطيت له)، وهذا يعني أنه مبارك من الله وميزه بهذه اليد المباركة

في شفاء الناس. قد تكون لديه علامات جسمية في اليد، مثل "الزهري"، أو أحرف معينة في كف اليد، تدل على أنه يستطيع الاتصال بـ"العالم الآخر"، أي لديه قدرة روحانية وُلد بها. وعادة ما يكون لديهم إحساس قوي وصحيح بالأشياء قبل وقوعها.

بالممارسة والخبرة (20%): يؤكد بعض المعالجين الشعبيين أن مصدر هذه الممارسة هو الخبرة والممارسة، وذلك بالاطلاع والنظر في كتب الأعشاب، إضافة إلى الدورات التطبيقية على بعض هذه الممارسات. للكتب الطبية القديمة دور فعال في اكتساب المعرفة بمختلف الأدوية الطبية. خاصة وأن أغلب المعالجين الشعبيين اليوم قد تلقوا تكويناً في مجال الطب الشعبي، لا سيما طب الأعشاب والحجامة وكذلك الإبر الصينية في مدارس ومعاهد متخصصة في ذلك، حيث يتم تجريب مختلف الوصفات بناءً على كتب الطب القديمة.

3/ تكلفة العلاج الشعبي.

إن المعالج الشعبي كغيره من العاملين يجب أن يتقاضى أجرًا مقابل العلاجات أو الخدمات التي يقدمها للمريض. ولكن الأجر هنا يختلف عن باقي الخدمات الأخرى. من خلال مقابلاتنا مع المعالجين والمبحوثات، يطلق على الأجر الذي يُقدم للمعالج الشعبي مصطلح "ملح اليد" أو "حق اليد". يطلب المعالج مبلغًا رمزيًا وزهيدًا مقابل العلاجات التي يقدمها. وما هو شائع أن هذا المبلغ لا يحدده هو، وإنما يقول أن الطاقة الروحية التي يعمل بها أو التي تساعده في علاج الناس هي من تحدد الأجر، وقد يتغير مع الوقت.

يطلب المعالجون بالأعشاب أسعار الأعشاب والزيوت والعسل، لأن هذه المكونات في الوقت الحاضر أصبحت تباع بأسعار مرتفعة مع قلتها، كما أن بعض الوصفات قد تتطلب أعشاباً نادرة تباع في بلدان أخرى مثل "اللبان الذكر" وغيره.

لكن المبحوثات كان لهن رأي آخر، حيث يرى بعضهن أن المعالج في الوقت الراهن أصبح يكلف الكثير، وأن وصفات علاج العقم تكلف مبلغاً مالياً معتبراً، كما أن جلسات الحجامَة أيضاً تعتبر مرتفعة بعض الشيء. إحدى المبحوثات قالت إن المعالج الشعبي يتطلب نقوداً، لكنه يبقى أقل تكلفة من الطب الرسمي.

4/ الفئات الأكثر تردداً على المعالج الشعبي.

يوضح الجدول التالي توزيع الجنسين الذين يترددون على المعالجين الشعبيين:

الفئة	التكرار (عدد المعالجين الذين أشاروا إلى هذه الفئة)	النسبة المئوية
الإناث	7	70%
ذكور	3	30%
المجموع	10	100%

تُظهر إجابات المعالجين أن الإناث هن الأكثر تردداً على المعالجين الشعبيين باختلاف مجالات ممارساتهم، بنسبة 70%. يعود ذلك في الدرجة الأولى إلى طبيعة المرأة التي تميل أكثر إلى مثل هذا النوع من العلاج، وكذلك إلى اختلاف نفسية المرأة عن الرجل. فخوفها من عدم الإنجاب مع تقدمها في

السن يجعلها تبحث عن جميع الحلول. لا يقتصر هذا البحث على مسألة عدم الإنجاب فحسب، بل يمتد ليشمل علاج المشاكل الصحية لها أو لأولادها، وكذلك البحث عن حلول لمشاكلها الزوجية.

فالنساء يترددن بكثرة على المعالجين الشعبيين، سواء بمفردهن أو مع أزواجهن، غالبًا بحثًا عن الإنجاب والحمل. المرأة بطبيعتها معروفة بكثرة الحديث، حتى عند الذهاب للطبيب تجدها تتحاور مع المرضى، فكل واحدة منهن تروي قصتها مع مرض معين وتنصح بالطب الشعبي والمعالج المعروف في منطقته، مؤكدة أن علاجه فعال وقد نفع عدة نسوة تعرفهن، مما يدفعها للذهاب إليه للعلاج.

صرح بعض المعالجين الشعبيين بأن فئة الذكور هم الأقل ترددًا للعلاج بالطب الشعبي مقارنة بالإناث، خاصة في منطقة الدراسة (تبسة). يعود ذلك أساسًا إلى أن الرجل بطبيعته يخجل من المرض، خاصة فيما يتعلق بالعقم وعدم القدرة على الإنجاب، ولا يصرح بوجود علة تشعره بالنقص والدونية أمام أقرانه أو في المحيط الأسري. هذا لا يعني أن الرجال لا يتوجهون إلى هذا النوع من العلاج، ولكن نسبتهم أقل بكثير من النساء.

الفئات العمرية الأكثر ترددًا

من خلال إفادات المعالجين، تبين أن فئة الكهول، أي من 30 سنة إلى غاية 50 سنة، هي الأكثر ترددًا من غيرها. لعل السبب يرجع إلى أن هذه الفئة تكون في مرحلة يكون فيها الفرد قد مر بتجارب مختلفة ويكون متأثرًا أكثر بالثقافة الشعبية أو بثقافة المحيط. كما أنهم نشأوا في بيئة تؤمن بالعلاج الشعبي وتمارسه في الحياة اليومية، وفي هذه المرحلة يكونون أكثر عرضة للأمراض.

بالنسبة للنساء الكهول: الدافع الأكبر هو البحث عن سبل للإنجاب قبل بلوغ سن اليأس. ففي سن العشرينات كانت تبحث عن العلاج في الطب الحديث بالإضافة إلى أنها ما تزال صغيرة ولديها الوقت،

ولكن هذا لا ينفي أنها لا تبحث عن العلاج لدى المعالجين الشعبيين، خاصة إذا كان المعالج في نفس المنطقة أو كان معالجاً مشهوراً.

بالنسبة للرجال الكهول: التوجه للعلاج الشعبي في هذا العمر قد يكون بسبب تأثرهم بسنوات العمل، ومنهم من يعاني من الإصابات والأمراض المزمنة التي لم ينفع في شفائها الطب الحديث. أما فيما يخص العلاج من أجل الإنجاب، فهو في هذه المرحلة يكون أكثر وعياً ويطرح في نفسه العديد من التساؤلات: متى أنجب؟ وهل عمري مناسب؟ وهل أستطيع رعاية الأطفال وتقديم مستوى معيشي جيد لهم؟ كما أنه قد أصبح أكثر جرأة للحديث عن عدم قدرته على الإنجاب، بالإضافة إلى أن الطلب المتكرر من الزوجة في الذهاب إلى المعالج الشعبي يلعب دوراً في تغيير رأيه.

أما فئة الشيوخ فهي متدنية لأنها أقل طلباً من فئة الكهول التي تأثرت أكثر بالأمراض ولم تعد تقوى على الحركة وتزهّد في العلاج.

بينما نجد فئة الشباب تستغني عموماً عن العلاجات بأنواعها لأنها تكون في أوج الصحة، وقد تلجأ لمثل هذه العلاجات في حالات نادرة كالسحر والأمراض التي من المعلوم أنها لا تعالج إلا بالطب الشعبي مثل "الخلعة". أما بالنسبة للبنات، ففي العادة يتوجهن إلى الطب الشعبي من أجل خلطات زيادة الوزن أو الخلطات الطبيعية أو من أجل انتظام الدورة الشهرية في بعض الحالات. وهذا يعود إلى أن الشباب اليوم قد نشأ في عصر الطب الحديث المتوفر لهم والقريب منهم، على عكس ما كان عليه الحال في السنوات الماضية.

أما فيما يخص الأطفال، فهم يمثلون نسبة قليلة، حيث إن هناك أمراضاً يتعرض لها الأطفال وعادة ما يكونون برفقة أمهاتهم عند الذهاب إلى المعالج الشعبي.

5/ أهم الأمراض التي يعالجها المعالجون الشعبيون.

يشارك معظم المعالجين الشعبيين في الأمراض التي يعالجونها، والتي غالبًا ما تشمل: أمراض المعدة والجهاز الهضمي، أمراض الأطفال، العقم ومشاكل الإنجاب، والأمراض الروحية والنفسية.

5/1 علاج العقم

تُعد أمراض العقم ومشاكل الإنجاب هي الأكثر شيوعًا التي يقوم المعالجون الشعبيون بمعالجتها، نظرًا لانتشارها الملحوظ في المجتمع، خاصة في السنوات الأولى للزواج (من سنتين إلى خمس سنوات فأكثر). وقد تم اختيار المعالجين الذين أُجريت معهم المقابلات بناءً على معرفة مسبقة بأنهم يعالجون العقم ومشهورون في هذا المجال بمنطقة الدراسة.

كما أن الأمراض الروحية، التي غالبًا ما يكون سببها السحر، من الأسباب الرئيسية للعقم. كما تُسبب الأمراض الروحية الأخرى مثل المس، الخمول، والتعطيل مشاكل صحية ونفسية تنتج عن التعرض للسحر. صرح بعض المعالجين الشعبيين بأنهم يعالجون العقم بسبب عجز الطب الرسمي عن علاج العقم الذي يكون بسبب السحر. ولهذا، نجح المعالجون الشعبيون في علاج العقم بعض من هذه الحالات ، خاصة بالنسبة للنساء.

من هذه العلاجات:

أ/ **الحجامة**: إحدى المعالجات الشعبية التي تمارس الحجامة صرحت بأن الحجامة هي سنة نبوية وقد أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم لما فيها من فائدة.

ب/ التدليك والأعشاب: وصفت معالجة أخرى كيفية معالجة العقم بتدليك الرحم لمدة ثلاثة أيام لتسهيل عملية الحمل، وبعدها تصف لها بعض الأعشاب التي تُغلى وتُشرب، أو تُستخدم للتبخير في الحمام بحيث يصل البخور إلى الرحم. وبهذا، تتجح عملية العلاج ويحدث الحمل بإذن الله.

يُعتبر العقم من الأمراض التي تؤدي إلى مشاكل اجتماعية ونفسية، خاصة إذا كانت تعاني منه المرأة، التي تلجأ إلى كل الطرق البديلة للعلاج لتحقيق حلم الأمومة واستعادة مكانتها الاجتماعية ودورها في الأسرة والمجتمع، ولتجنب الطلاق أو الزواج الثاني للزوج. أما بالنسبة للزوج، فيُعتبر العقم حاجزاً وعائقاً أمام إثبات رجولته وضمان استمرار نسله.

5/2 أمراض الأطفال

تُعد نسبة مرض العقم كبيرة مقارنة بالأمراض الأخرى، تليها **أمراض الأطفال**. يعود ذلك إلى أن الطفل في مراحله الأولى من الولادة يفتقر إلى المناعة ويتعرض للكثير من الأمراض التي يقف الطب الرسمي عاجزاً عن علاجها أحياناً. فيلجأ الوالدان إلى الممارس الشعبي ليقدم وصفات علاجية عديدة تعتمد على عناصر طبيعية كالأعشاب والحشائش والزيوت. من أهم الأمراض التي تُعالج: الإسهال، السعال، الحمى، وأوقات ظهور الأسنان ("التسنين"). وأهمها "الغرور" (مشكلة مرتبطة بالجهاز الهضمي للأطفال). يتم علاج "الغرور" بعدد من الأعشاب الطبيعية التي تُطحن وتُخلط مع زيت الزيتون وتُعطى للرضيع مع إدخال إصبع السبابة في الفم إلى الحلق لإخراج الأوساخ من معدة الرضيع، خاصة إذا كان قد ولد بعملية قيصرية (حيث قد يكون قد ابتلع بعض السائل المحيط). يستمر علاج الغرور لمدة ثلاثة أيام. كما يمكن معالجة مرض شائع بين الأطفال وهو "الخيال" بالأعشاب والقطران.

3/5 أمراض المعدة والجهاز الهضمي

يعالج بعض المعالجين أيضًا أمراض المعدة والجهاز الهضمي، والتي تُعد من أمراض العصر. فالتعالج بالأدوية الكيميائية لم يعد فعالاً دائماً وله أعراض جانبية، ولهذا توجه المرضى إلى طب الأعشاب بكثرة في أمراض المعدة والجهاز الهضمي، بالإضافة إلى الخلطات الطبيعية لزيادة الوزن أو إنقاصه.

3/6 أسباب ودوافع التوجه الافراد نحو العلاج الشعبي من وجهة نظر المعالجين:

أكد أغلب المعالجين الشعبيين أن من أبرز أسباب انتشار الطب الشعبي هو وجود آثار جانبية للعلاج الحديث. ينظر المرضى إلى الأدوية الكيميائية على أنها قد تعالج عضواً بينما تسبب خللاً في عضو آخر. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر خوف المرضى من الأخطاء الطبية سبباً كافياً لتحويل وجهة العلاج إلى الطب الشعبي. في هذا الصدد، روى المعالجون عن حالات تم تشخيصها بشكل خاطئ أو لم يتم تحديد العلة، ولذلك لجأ أصحابها إلى العلاج الشعبي.

يرى بعض المعالجين أن سبب انتشار الطب الشعبي هو اعتقاد متوارث من الآباء والأسر. أي أن الفرد، من خلال المحيط الذي نشأ فيه، عند الإصابة ببعض الأمراض لا يذهب إلى الطبيب بل يذهب به إلى المعالج الشعبي المشهور في منطقتهم لعلاج تلك الأمراض. وذلك بفضل خبرة المعالج ومعرفته بهذه الأمراض، حيث يمكنه تشخيصها بمجرد رؤية المريض دون حتى ذكر الأعراض، وهذا يعود لخبرته الكبيرة في المعالجة.

تجاوب معظم أفراد العينة مع هذه الاقتراحات المقدمة، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة. تُظهر معطيات الجدول أن كل فرد من أفراد العينة أجمعوا على جميع الخيارات لأنها متقاربة، مما جعل مجموع التكرارات أكبر من مجموع أفراد العينة.

1/6 الدين ودوره في دعم العلاج الشعبي

يُعد الدين أحد أبرز الأدوار الأساسية في تباين المجتمعات الإنسانية في تدعيم القيم المتضمنة فيه حول العلاجات الشعبية. فالدين يُسلم به كل فرد دون التشكيك أو التثقيب. وكما نعلم، فإن مختلف الأديان تحت على الصحة والمرض وطرق العلاج، الأمر الذي دفع الأفراد للجوء إلى مختلف أساليب العلاج.

بالإضافة إلى ذلك، كانت بدايات الطب والممارسة الطبية في أماكن العبادة، وشهد الطب اندماجه مع بعض الممارسات العلاجية بالسحر في علاج المرضى، حيث كان القساوسة والكهنة والرهبان هم من يقومون مقام الطبيب.

في الإسلام، أولى اهتمامًا خاصًا بالصحة الجسمية والنفسية للأفراد، وأوضح العديد من طرق المحافظة عليها ونهى عن إفساد الصحة وتعريض النفس للخطر، نظرًا لأهميتهما في حياة الفرد. إذ ينسب أفراد المجتمع، من خلال الدراسة الميدانية، أسباب اتجاههم للعلاج الشعبي إلى أن هذا العلاج المتمثل في:

• العلاج بالأعشاب

• العلاج بالحجامة

• العلاج بالرقية الشرعية

هذه كلها سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوي وطلب العلاج، بقوله:

• "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء داء برأ بإذن الله عز وجل

- وقال: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء"
 - وقال: "إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله"
- كما بيّن القرآن الكريم أن الشفاء موجود، وللوصول إليه يكفي البحث والتأمل في خلق الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"
- عمومًا، فإن ارتباط العلاج الشعبي بالدين يدعم انتشار واستمرار هذه الأساليب العلاجية الشعبية في مجتمع الدراسة، لما لها من أسانيد في الأحاديث النبوية الشريفة. بالإضافة إلى إيمان الناس بالإرادة الإلهية، حيث يعتقدون أن الله يعطي المرض ويشفي المريض إذا شاء. يؤكد هذا مدى ارتباط المجتمع بالتراث الديني، ويتوافق ذلك مع الدراسات الأنثروبولوجية التي أكدت على الصلة الوثيقة للدين ومدى تأثيره على توجهات الأفراد العلاجية.

6/2 / الثقافة ودورها في ترسيخ الطب الشعبي

تمثل الثقافة مجموعة مشتركة من الأفكار، والتصورات، والمعتقدات، والسلوكيات التي تشكل حياتنا. تتضمن الثقافة أيضًا تعريفات للصحة والمرض، وطريقة الاستجابة للمرض والشعور بالألم والتعب. تُعتبر الممارسات والمضامين الثقافية هي السياق الذي نشأ فيه الطب الشعبي، وتم تعليمه وممارسته ضمن هذا السياق.

يخضع العلاج الشعبي ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بثقافة المجتمع. وعلى ضوء هذه الثقافات، نتجت له عدة صور في الممارسات الشعبية. فالثقافة وتعددتها بين الجماعات الإنسانية يؤدي إلى اختلاف نمط العلاج فيها. وعلى هذا، يأخذ أفراد المجتمع هذه الأفكار من التنشئة الاجتماعية والثقافية، حيث مارسها الآباء والأجداد وورثها الخلف عن السلف بوصفها جزءًا مهمًا من العادات المتأصلة في أبناء المجتمع.

إن انتماء المعالج إلى نفس السياق الاجتماعي والثقافي للمنطقة التي يمارس فيها عمله يجعل عملاءه يشعرون بقربه منهم؛ فهو يحمل خصائص الثقافة ذاتها بما تتضمنه من رؤى وأفكار. "لا ينتمي المعالجون الشعبيون إلى الكادر الطبي، أي لم يدرسوا هذه الطرق دراسة أكاديمية، وإنما تعلموها أو ورثوها عن الآباء والأجداد". فالعلاج الشعبي نابع من عمق البيئة السوسيوثقافية التي وُجد فيها المعالج الشعبي. هذا الأخير يعتمد على وسائل علاجية بسيطة متوفرة في البيئة المحلية، والتي بإمكان المريض تحضيرها بنفسه. كما أنه يعتمد بشكل كبير على الخبرة ووراثة الممارسات العلاجية ممن سبقوه من المعالجين.

لذلك، نجد أن أفراد العينة المدروسة ما زالوا متمسكين باللجوء إلى المعالج الشعبي باعتباره محل ثقة في علاج أمراضهم. كما يعتبرونه أصلاً من أصول ثقافتهم الموروثة من الأجداد التي يجب الحفاظ عليها.

6/3 الاعتقاد بنجاعة العلاج الشعبي

يُعد الاعتقاد بنجاعة العلاج أحد العوامل الرئيسية التي تدفع الناس للجوء إلى العلاج الشعبي. فبعض الوصفات الطبية الشعبية لها تأثير مباشر على الجسم وتساعد على الشفاء، بينما يؤثر البعض الآخر بمجرد اعتقاد الأفراد بفائدتها. إن الاعتقاد بفعالية وصفة ما قد يفيد في علاج بعض الأمراض العضوية.

وقد أثبتت الدراسة الميدانية التي أُجريت بمنطقة تبسة أن هناك العديد من المرضى الذين لديهم اعتقاد كبير في أهمية العلاجات الشعبية وفائدتها في علاج أمراضهم. وقد تبين أن هذه الاعتقادات منتشرة بين الفئات المتعلمة وغير المتعلمة على حد سواء.

إن فعالية أساليب العلاج الشعبي، وفائدتها، ونجاحها هي السبب في توجه المرضى إليها، وإلا لما استمرت حتى وقتنا الحاضر. وأمام عجز الطب الأكاديمي في الوصول إلى علاج بعض الأمراض الخطيرة والمزمنة، وثقل علاجات هذا النوع من الأمراض، يلجأ المريض إلى التداوي النباتي الشعبي طالباً الشفاء لإيمانه بنجاعة وفعالية هذا النوع من العلاج.

ثالثاً: تحليل المقابلات مع نساء المبحوثات

1/ المستوى التعليمي للمبحوثات

يُظهر الجدول التالي توزيع المبحوثات اللاتي يعانين من تأخر الحمل حسب مستواه التعليمي:

النسبة المئوية	التكرار	المستوى التعليمي
10%	01	لايعرف القراءة والكتابة
20%	02	إبتدائي
40%	04	متوسط
50%	10	ثانوي
30%	03	جامعي
100%	20	المجموع

وفقاً للجدول أعلاه، تُشكل الفئة التي وصلت تعليمها إلى المستوى الثانوي الفئة الأكبر بين المبحوثات. (50%). هؤلاء النساء توقعن عن الدراسة في هذا المستوى، وتزوجن غالباً في عمر يتراوح بين 20 إلى 25 سنة. بعضهن صرحن بأنهن اضطررن للتوقف عن الدراسة عند الخطوبة، بعبارة مثل: "ما يحبس المرأة الجامعية"، "ما يحبس المرأة اللي تخدم"، "ما عندي ما ندير بها القراءة إذا كنت راح نتزوج"، أو بسبب رفض الأهل لإكمال الدراسة.

تلي هذه الفئة، فئة المستوى المتوسط ثم الجامعي والابتدائي. أما فئة من لا تعرف القراءة والكتابة، فهي ممثلة بمبحوثة واحدة فقط.

من الملاحظ خلال المقابلات أننا واجهنا صعوبة في فهم واستيعاب الغرض من البحث مع المبحوثات ذوات المستوى الثانوي أو أقل، وكذلك صعوبة في الحصول على إجابات كاملة لبعض الأسئلة، على عكس المبحوثات ذوات المستوى الجامعي اللاتي تعاون بشكل جيد في الإجابة.

تضح من الجدول أن المستوى التعليمي لا يلعب دورًا كبيرًا في الإقبال على العلاج الشعبي، حيث يمس هذا الأخير جميع المستويات التعليمية دون استثناء. هذا يؤكد أن العلاج بالطب الشعبي لم يعد يقتصر على فئة غير المتعلمين فقط، كما كان سائدًا في الماضي، بل نجده أيضًا لدى الفئات المتعلمة وذات التعليم العالي. هذه الفئة الأخيرة تؤكد أن العلاج الشعبي يمثل جزءًا هامًا من الثقافة الشعبية التي ينبغي الحفاظ عليها.

2/ مكان الإقامة المبحوثات:

يوضح الجدول التالي توزيع المبحوثات اللاتي يعانين من تأخر الحمل بناءً على مكان إقامتهن:

مكان الإقامة	التكرار	النسبة المئوية
مدينة	14	70%
ريف	6	30%
المجموع	20	100%

يتبين من الجدول أن أكثر من نصف المبحوثات (70%) يقمن في المدينة، ويقصد بذلك مدن تبسة والشرية. أما البقية (30%) فيعيشن في الريف، أي في قرى صغيرة مجاورة لمدينتي تبسة أو الشريعة. من خلال المقابلات معهن، يتضح أنه بالرغم من بعد المسافة، إلا أنهن يلجأن إلى المعالجات الشعبية المعروفة في مدينة تبسة أو أي مدن قريبة، وحتى ولايات أخرى. كما أنهن قد يذهبن لطلب العلاج عند زيارة أقاربهن الذين ينصحونهم بالمعالج الشعبي. هذا يعني أن التنقل من الريف إلى المدينة لا يقتصر على طلب العلاج الرسمي في المستشفيات، بل يشمل أيضًا طلب العلاج الشعبي الذي يرى فيه المرضى امتدادًا لموروثهم الثقافي والشعبي.

يوضح هذا أن مكان الإقامة، سواء كان حضريًا أو ريفيًا، لا يمنع من إقبال المريض على العلاج الشعبي. وهذا يؤكد تأثير التنشئة الاجتماعية التي تلقاها الفرد في بيئته الأولى، وتوارث التصورات والمعتقدات حول الصحة والمرض من جيل إلى جيل. لا يقتصر هذا على علاج العقم فحسب، بل يشمل علاج مختلف الأمراض، حيث أن المعتقدات الثقافية تُرسخ الثقافة الطبية للأفراد.

3/ أعمار المبحوثات عند الزواج :

يوضح الجدول التالي توزيع المبحوثات اللاتي يعانين من تأخر الحمل بناءً على أعمارهن وقت الزواج:

النسبة المئوية	التكرار	السن عند الزواج
55%	11	أقل من 25 سنة
30%	6	أقل من 30 سنة
15%	3	أكثر من 30 سنة

المجموع	20	100%
---------	----	------

يتضح من الجدول أن غالبية المبحوثات (55%) تزوجن في سن صغيرة، أي أقل من 25 عامًا . بينما تزوجت 30% منهن قبل سن الثلاثين، و15% تزوجن بعد سن الثلاثين.

تشير هذه البيانات إلى أن تأخر الإنجاب، وخاصة مجهول السبب، لا يرتبط بالضرورة بعمر معين أو بالزواج في سن مبكرة . فالمبحوثات اللاتي تزوجن في عمر يتراوح بين 18 و25 عامًا، ومع ذلك لم ينجبن، لا يعانين من خلل عضوي ظاهر. غالبية أفراد العينة يعانين من عقم مجهول السبب. وفي حالات أخرى، قد يكون هناك مرض عضوي لا يتم الشفاء منه، أو حتى لو تم الشفاء، يُصبن بمرض آخر يمنع الإنجاب، ويُشار إلى أن هذا قد يكون من أعراض السحر.

كان الهدف من طرح هذا السؤال هو معرفة ما إذا كان الزواج المبكر يحمي من العقم أو العكس. فمن المعلوم أن المرأة لديها سن معينة تستطيع الإنجاب فيها قبل بلوغ سن اليأس. وقد أخبرتنا إحدى المبحوثات أن الإنجاب لا علاقة له بالزواج المبكر، فقد تزوجت هي في سن 19 عامًا وتبلغ الآن 38 عامًا ولم تتجب، بينما إحدى قريباتها تزوجت في سن 33 وأنجبت. وأكدت أن "الإنجاب والحمل بيد الله"، فهناك الكثير من النساء ينجبن في عمر الأربعين.

4/ مدة العقم كدافع نحو العلاج الشعبي.

4/1/ يوضح الجدول التالي توزيع المبحوثات اللاتي يعانين من تأخر الحمل بناءً على مدة العقم لديهن:

مدة العقم	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 5 سنوات	2	10%
من 5 إلى 10 سنوات	6	30%
من 10 إلى 15 سنة	8	40%
أكثر من 15 سنة	4	20%
المجموع	20	100%

من خلال الجدول، يتضح أن الفئة الأكبر من المبحوثات (40%) هي تلك التي تتراوح مدة العقم لديها بين 10 إلى 15 سنة (منذ زواجها). هذه الفئة هي الأكثر إقبالاً على العلاج الشعبي والأكثر معرفة بطرقه. فطول مدة العقم دفع هؤلاء النساء للجوء إلى أكثر من معالج باختلاف اختصاصاتهم، مما أكسبهن خبرة واسعة في هذا المجال. فقد ذهبن إلى العديد من المعالجين، سواء من يعتمدون على الأعشاب، الرقية، الحجامه، أو المعالجين الروحانيين، وحصلن على الكثير من الوصفات العشبية والروحية.

كذلك، تكون هذه الفئة قد أجرت جميع التحاليل الطبية وتناولت كل الأدوية التي يُمكن أن تساعد على الحمل خلال هذه المدة الطويلة. فمن خلال الممارسة، أصبحن يمتلكن خبرة في طرق العلاج، سواء الحديثة أو الشعبية.

تليها فئة المبحوثات اللاتي تقل مدة العقم لديهن عن 10 سنوات (30%)، وهن أيضًا يتمتعن بخبرة في العلاج الشعبي والرسمي. وهناك مبحوثات تجاوزت مدة العقم لديهن 15 سنة إلى 20 سنة، وبعضهن لم ينجبن وقمن بالتبني، خاصة بعد انقطاع الحيض وبلوغهن سن اليأس. أما الحالات التي كانت مدة العقم فيها أقل من 5 سنوات (10%)، فكانت حالتان فقط، ولديهما مشاكل في الرحم والتهابات.

تُعتبر مدة العقم من العوامل الأساسية في لجوء المبحوثات إلى العلاج الشعبي. فوفقًا للعينات، خلال العام الأول والثاني من الزواج، توجهت المبحوثات للعلاج الرسمي في المستشفيات والعيادات الخاصة، ولكن دون جدوى. بعد ذلك، توجهن إلى العلاج الشعبي نظرًا لعدم وجود مشاكل صحية ظاهرة من خلال الطب الرسمي والفحوصات، حيث لم يتم إثبات أي مرض أو عارض يمنع الإنجاب.

4/2 يوضح الجدول التالي متى بدأت المبحوثات وزوجاتهن رحلة علاج تأخر الإنجاب:

السنة	التكرار	النسبة المئوية
السنة الأولى	02	10%
السنة الثانية	13	65%
السنة الثالثة	05	25%
المجموع	20	100%

إن الهدف الأول بعد الزواج هو الإنجاب، وخاصة بالنسبة للمرأة، فهي تسعى للحمل والإنجاب في الأشهر الأولى من الزواج. ومع ذلك، يختلف تقبل تأخر الإنجاب من امرأة لأخرى، وهذا ما لوحظ من خلال إجابات المبحوثات، حيث اختلفت المدة الزمنية لبدء العلاج. فبعضهن ذهبن إلى الطبيب في الأشهر الأولى لإجراء استشارات روتينية أو للاطمئنان بأنهن لا يعانين من أي مرض يمنعهن من الحمل.

ولكن، مرحلة العلاج الفعلي تبدأ تقريبًا بعد عام من الزواج، حيث يبدأ الزوجان في العلاج والذهاب عند الطبيب، خاصة مع ضغط الأهل والسؤال المتكرر: "هل يوجد حمل؟ وقتاه تفرحوننا بصغير؟" أو "ما نابش ربي عليكم"

ومع ذلك، اختار بعضهن الذهاب إلى المعالج الشعبي أول مرة من أجل الفحص أو طلب العلاج، كإعطاء وصفات لتسريع الحمل أو مقويات. ومع طول المدة وتأخر الإنجاب، يصبح لا بد من إجراء مختلف الفحوصات الطبية لمعرفة سبب العقم أو التأخر. وهنا، يختار الزوجان إما العلاج الشعبي أو الرسمي، ولكن لا يمكن تناول الدواء الحديث والوصفات الشعبية معًا.

5/ طقوس العبور وعلاقتها بالعقم

في مجتمع البحث، عندما تبلغ الفتاة، كانت تُحيط بها عادات وتقاليد صارمة. تقول خالتي شهلة: "بكري كي تبلغ الطفلة نحجبوها وتولي ما تقدرش تخرج غير مع أمها ولا جدتها وتتعامل غير مع عيلتها فقط. بصح اليوم تبلغ الطفلة تخرج عادي وتمشي تقرأ ولكن يبقى خروجها في حدود." هذا يعني أن الفتاة في السابق كانت عند البلوغ تُصبح غير قادرة على الخروج وحدها، وكان عليها الاهتمام بأمور المنزل، ولا تستطيع اللعب أو الخروج من المنزل، وتتعامل فقط مع أسرتها، خاصة فيما يتعلق بالجنس الآخر. الآن، هناك اختلاف طفيف حيث يمكنها الخروج والتعامل مع الآخرين في حدود الدراسة.

في مرحلة البلوغ، تُحاط الفتاة بالكثير من الترتيبات والأوامر والنواهي، أهمها كيفية التعامل مع وضعها أثناء الحيض خاصةً، وضرورة التكتّم حوله، لأنها أصبحت قادرة على الإنجاب. ومن المظاهر الخارجية الدالة على بلوغ الفتاة هو إلباسها لباسًا جديدًا فضفاضًا وخمارًا، وتغيير ملابسها يمثل علامة على بلوغها كما يدل على تشديد الرقابة عليها.

في مجتمع البحث، ومن خلال المبحوثات، هناك طقوس بسيطة تُشبه الاحتفال مثل إجراء طقس الحناء لها، وهو تعبير عن الفرحة لأنها ستصوم، وهناك أيضًا من يشتري ملابس جديدة.

بالنسبة للمبحوثات، كلهن تقريبًا يُجمعن على أن دخول الصبية لمرحلة البلوغ أمر بالغ الأهمية. فقد قالت إحدى المبحوثات: "الطفلة عندنا كي تبلغ أمها تفرح بيها قد ما تخاف عليها، على جال الطفلة تقدر تحمل. وهنا لازم الأم تحرص عليها وتوصيها وتفهمها، ولازمها رقابة كبيرة لأن شرف العيلة فيها".

5/1/ التصفيح: حماية سحرية للعدرية

تكشف هذه المرحلة مكانة الشرف في المجتمع الذي يُحاط بالكثير من الحذر والخوف والنواهي والحرص الشديد والخوف من العار. لذلك، تلجأ بعض الأمهات لبعض الطقوس التي تهدف إلى حماية البنت من الاعتداء، وهو ما يُعرف في مجتمع البحث بـ"التصفيح"***، الذي يهدف إلى حماية غشاء البكارة بطرق سحرية.

التصفيح عملية تُمارس على البنت في سن السادسة أو السابعة، أي قبل البلوغ والحيض. وهي عادة سحرية بحتة حيث تقوم أمها أو جدتها بإحضار امرأة "عادة ما تكون معالجة شعبية" متمرسة، أي تعرف كيف تتم عملية التصفيح، من أجل حماية عذريتها. فالبكارة شيء رمزي في كل الحضارات والمجتمعات الإنسانية، وقد كانت وما تزال أمرًا هامًا ويتحكم في مصير وحياة المرأة، خاصة في الدول العربية كما هو الحال في مجتمع الدراسة.

من خلال المبحوثات وحتى المعالجين، يمكن القول أن التصفيح هو حماية جسد المرأة من أي اختراق، أي أنه نوع من الحجب على الآخر، ولا تُحل مراسيمه إلا ليلة الزواج أو في أيام الزواج.

5/2/ أنواع التصفيح

يتم التنقاف بطرق ووسائل كثيرة وهو عدة أنواع، بعضها صرحت به المبحوثات اللاتي تم تصفيحهن، والبعض الآخر ذكرته المعالجة خالتي خديجة، ومنها:

- **التصفيح بـ"المنسج"**: يتم قبل الانتهاء من نسيج الزربية، حيث تطلب الأم من ابنتها أن تمر فوق "النماول" (أدوات النسيج)، ولا بد أن تغمض عينيها وتردد عبارات معينة. وبعدها تقوم الأم بإخفاء كل الأدوات المستعملة لكن يجب على البنت ألا تراها، فالشرط الأساسي لنجاح عملية

التصفيح بالمنسج أن تغمض البنت عينيها. ولفك هذا النوع، يجب الاحتفاظ بالأدوات، ويوم زواجها، تراها حيث لا بد أن تستحم فوقها من أجل إزالة التصفيح.

فبعد أن يُسدى المنسج ويُركب بـ"السفاحة" (أداة نسيج) في "السداية" (الهيكل الخشبي للمنسج) ويُفرد على الأرض، ويكون "الحاثي والناير" (أجزاء من المنسج) راكبين، تُدوش الفتاة التي ستُصَفَّ، يُفرد المنسج على الأرض بطوله وتقف الفتاة فوقه، تُحضر امرأتان وتمسكان عمود "الحاثي"، وتصد امرأتان أخريان وتطويان "السداية" سبع طيات، تقولان لها: "صفحناك بالحاثي والناير إنتِ حيط وولد الناس خيط ولي يدهمك يقعد حاير". وعندما يريدون فك التصفيح ليلة العرس، يفتحون المنسج ويقولون للعروس: "إنتِ حيط وولد الناس حيط وما تحيري حاير".

- وهناك من يستعمل "الدوانة" التي تضعها الأم فوق العضو التناسلي للبنت وهي تقول: "بنتنا حيط وولد الناس خيط"، مع تكرارها إما ثلاث أو سبع مرات، والبنت تكرر وراءها نفس العبارة لكن تقول: "أنا حيط وولد الناس خيط".

وقد أعطت إحدى المبحوثات نوعين من التصفيح المستخدمة، حيث قالت: "نسموه تصفاح أو تصفيح ونديره بطرق ياسر. عندك مثلاً طريقة الكوبا الشورلية، والسكر

• طريقة الكوبا الشورلية:

يجب شراء "كوبا" (وعاء) جديدة لم تُفتح من قبل ولم تُغلق. تُحضر الفتاة التي ستُصَفَّ، ويجب ألا تكون بالغة، تُدوش الفتاة وأمها (يُذكر اسمها واسم أمها). تُغلق "الكوبا" ثلاث درجات (مرات).

يجب أن تكون هناك فتاة صبية غير متزوجة موجودة أثناء إغلاق "الكوبا"، مع كل درجة غلق، تقول العزباء: "إنتِ حيط وولد الناس خيط"، وتكرر ثلاث مرات حسب تدوير المفتاح في "الكوبا".

بعدها تقول: "سكرتك بالسكر لا يخلوك لا يهود ولا نصارى"، بعد الانتهاء، تُخبأ "الكوبا" في قماش أبيض في مكان آمن وبعيد عن الناس إلى غاية يوم الزواج.

في ليلة العرس، تُحضر "الكوبا" وتقف العروس ويتم فتحها. ومع كل درجة فتح، تقول العزباء: "إنت خيط وولد الناس خيط وحليتك بالسكر باسم المسلمين لا باسم اليهود ولا باسم النصارى". يجب أن تكون الفتاة التي تفتح "الكوبا" عزباء أيضًا.

• **طريقة السكر الحجري:** تقوم المعالجة أو المرأة التي سوف تقوم بوضع هذا النوع من التصفاح الذي يعتمد على علبة من السكر الحجري و عليه من موس الحلاقة ولابد ان تكون العلبتين مغلقة لم تفتح من قبل و تقوم بتحديد المكان الجي يوضع فيه علامة التصفح حيث يكون اعلي الركبة في رجل اليمين وتقوم المرأة بفتح عبة موس الحلاقة واخذ قطعة سكر من العلبة و تحدث جرح صغير في المكان المحدد و تقوم بمسح الدم النازل من الجرح الصغير بقطعة السكر ثم تقول البنت وهي تردد خلف المرأة ' انا خيط ولد الناس خيط' وبعدها تأكل السكر الذي مسح به الدم و تكرر هذه العملية سبع مرات اي انها تحدث في ساق الببت سبع حروج و بعدها تقوم البنت بضرب الحائط بقدمها اليمنى سبع مرات و تقوم المرأة بوضع الكحل علة الحروج حتي لا تختفي من قدم البنت وهذا الاثر يشبه نوعا ما الوشم ولذلك لاعادة العملية مرة اخرة بنفس الطريقة ولكن مع عكس الكلمات حيث تقول: ' انا خيط ولد الناس خيط'.

5/2/ مراسم الاحتفال بالزواج في منطقة تبسة حسب المبحوثات

5/2/1 يوم الخطبة

تُعتبر الخطبة الفترة التي تسبق عقد الزواج الرسمي، وهي مرحلة تحضيرية أو مرحلة تعارف تهدف إلى بلوغ الزواج. تتضمن هذه المرحلة مجموعة من الطقوس والمراسم، أهمها الخاتم الذي يمثل رمزاً لترسيخ العلاقة وعلامة دالة على أن الفتاة أصبحت تابعة للرجل علناً. خلال فترة الخطوبة، لا يمكن للخطيب أن يلتقي بخطيبته إلا في إطار شرعي بحضور محرم، ويجب أن يلبسها الخاتم لمنع أي شخص آخر من التقدم لخطبتها.

5/2/2 من الممارسات والطقوس الشائعة خلال الخطوبة:

- استخدام الكمون الأسود: يوضع في عتبة الباب الرئيسي، وفي الغرفة التي تجلس بها المخطوبة، اعتقاداً بأنه يرد العين والحسد ويبطل مفعول السحر.
- البخور والعنبر: يتم وضعهما لنفس الغرض.
- سكب الماء أو رمي الملح: من خلال المبحوثات، هناك من يقوم بسكب الماء وراء أهل العريس رغبةً منهم في إتمام الأمور وتوطيد العلاقة بالزواج. والعكس صحيح، إذا لم يكونوا مرحباً بهم، يتم رمي الملح وراءهم.

5/2/3 يوم الحمام

يُعتبر يوم الحمام الخطوة الأولى من مراسم الاحتفال بالزواج في تبسة. تذهب فيه العروس إلى الحمام، وتأخذ معها الحلويات مثل المقرّوض والمسمن، وأيضاً الشموع التي لا يجب إطفائها إلا بعد انتهاء العروس من الحمام. تدخل العروس الحمام بالزغاريد وتخرج بها. كما تستخدم أدوات جديدة بدايةً من طقم الحمام وملابسها، وتأخذ هدايا بسيطة توزعها على العازبات. يُعتقد أن ترك أي من هذه الأدوات

في الحمام يجلب الحظ السيئ للعروس في حياتها الزوجية. وتأخذ العروس معها مجموعة من الفتيات العازبات من الأقارب ليحتفلن معها، ويتم توزيع الحلويات والمشروبات على المتواجدين في الحمام. وهناك من تقوم بالاغتسال بماء الزهر اعتقادًا منها أنه يجلب الحظ والسعد للعروس، وهو من باب النقاؤل.

4/2/5 يوم الكباش (شاة الحلال)

يُعتبر يوم "الكبش" أو ما يُعرف في مجتمع البحث بـ"شاة الحلال" أول أيام الزواج. في هذا اليوم، يُحضر أهل العريس كبشًا كبيرًا نسبيًا مع بعض مستلزمات الطبخ من خضروات وفواكه.

أ/ الطقوس المتعلقة بالكباش:

- يجب أن تُلف محرمة خضراء على رقبة الكباش.
- بعضهم يضع الحناء في جبينه أو أعلى رأسه.
- آخرون يضعون علبة بها سكر.
- البعض يُحضر مرآة متوسطة الحجم مع السكر، ويضعون المرآة في فم الكباش ويسكبون فيها السكر.
- تتركب العروس على ظهر الكباش، وبمجرد نزولها يُذبح الكباش مباشرة.

يُعد الكباش من الطقوس المهمة والخطيرة أيضًا، حيث يُعتقد أنه من الطقوس التي يمكن أن يتم فيها السحر. وحسب عينات الدراسة، إذا قاوم الكباش وكان ذبحه صعبًا، فإن حياتها الزوجية ستكون صعبة،

خاصة مع زوجها. أما إذا كان العكس، فإن حياتها ستكون هادئة وبدون مشاكل. كما أن هروب الكباش يُعد فآلاً سيئاً، فهو يدل على طلاق المرأة.

ب/ طقوس بعد ذبح الكباش : بعد الانتهاء من ذبح الكباش، يُطبخ الرأس كاملاً دون تقطيع. وبعدها يُوضع في طبق، وتقوم العروس بالوقوف فوقه مع رفع ملابسها. تقوم أمها أو واحدة من الأقارب بفتح الرأس من فمه، وهناك من تقوم العروس بفتحه بنفسها وتأكل منه أولاً ثم يأكل الباقي. بعدها، يُحتفظ بغطاء الرأس ويُرمى في مكان بعيد أو في مجرى الماء ولا يُدفن.

طقس "العرقوب" (ذراع النبي)

يوجد لحم في الكباش يُسمى "العرقوب"، وهي القائمة (الرجل) الأمامية، ويُطلق عليها آخرون "ذراع النبي" (لاعتقادهم أنها كانت موضع سحر للنبي). يُطبخ العرقوب مع القلب كاملاً دون تقسيم. تأكل العروس قضمة ("عضة") من القلب، ثم يُرسل العرقوب مع القلب إلى العريس في "قولارة" (منديل) خضراء. وعندما ينتهي العريس من الأكل، يُرجع النقود في "القولارة" لأهل العروس.

وهناك من يعتقد أنه إذا أكلت امرأة "العرقوب" بدلاً من العريس، فإنها سوف تأخذ حظ وبخت العروس حسب ما يُعتقد. لهذا، في العادة يتم إرسالهما مع الأم؛ لأنها سوف تخاف على ابنها وتكون حريصة عليه.

5/2/5 يوم الحناء

يُعد يوم الحناء ثاني أيام الاحتفالات، وهو احتفال خاص بالنساء. تُرسم فيه الحناء على شكل أزهار وزخارف يُعتقد أنها تجلب الحظ، وتمنع الشيطان، وتزيد الخصوبة. لا يجب على العروس أن تقوم

بالأعمال المنزلية حتى يزول أثر الحناء. وتُرسَم الحناء المتبقية على الفتيات العازبات؛ لجلب الحظ لهن.

تُعتبر طقوس الحناء من الطقوس التي قد تحصل فيها أمور خطيرة أو أكثرها حساسية؛ لأنها تُستخدم في سحر العقم والربط. لهذا نجد حرصًا شديدًا على حناء العروس والعريس. في العادة، تقوم أم العريس بحضور أم العروس بخلط الحناء مع ماء الزهر في إناء أو طبق صغير. يجب أن تكون علبة الحناء مغلقة لم تُفتح من قبل. تقوم المرأة التي ستضع الحناء (وتكون من طرف العريس) بخلطها وتضعها للعروس، ثم تُعطي أمها كل المستلزمات التي تم خلط الحناء بها، بدءًا من الطبق إلى ماء الزهر وعلبة الحناء، من أجل الاحتفاظ بها بعيدًا وفي مكان آمن حتى لا تقع في يد من قد يقوم بأعمال السحر بها. أيضًا، يجب على العروس أن تحافظ على الحناء الموضوعة في يدها ولا تضيعها، وبعد نزعها تُعطيها لشخص تثق فيه، فالكثير من الحالات تم عمل السحر لها في الحناء.

لم تكن هذه الأمور معروفة من قبل بأن السحر يُقام في الحناء، ولكن الآن أصبح هناك حراسة شديدة عليها. ومن الممنوع الاقتراب أثناء وضع الحناء، كما يُمارس سرًا بحضور أم العروس وأم العريس فقط لتفادي أي شبهات.

أما طقوس الحناء لدى العريس، فتحدث في جو احتفالي مع باقي الأقارب والأصدقاء. تقوم امرأة كبيرة بوضع الحناء للعريس وباقي الشباب على السبابة فقط، عكس العروس. وبعد الانتهاء من وضع الحناء للعريس والباقي، يتم كسر الصحن الذي كان يحوي الحناء، وذلك لتفادي أن يقع في يد من يقوم بالأعمال السحرية به.

في مراسم الحناء، يقوم العريس بإطعام العروس قطعة من الكعك مع شرب العصير. ويجب هنا الاحتفاظ بتلك الأشياء كالصحن والملاعق والكأس لأنه قد يعمل فيها السحر أيضًا. كما أنه في هذا اليوم، من المكروه أن تلبس العروس شيئًا أسود أو أن تأخذ في جهازها قطعة ملابس سوداء، ويُعتبر ذلك فالًا سيئًا.

يُعد يوم الحناء هو اليوم الذي يسبق حفل الزفاف، وتُرسل العروس فيه في الصباح "التصديرة" وهي الستائر، والسجاد، والملابس، وغيرها إلى بيتها المستقبلي. وبعد الظهيرة، يرسل العريس الهدايا والحناء إلى عروسته المستقبلية مع نساء العائلة اللواتي يرقصن ويغنين طوال الطريق من بيت العريس إلى بيت العروس.

• مخاطر سحر الحناء

تُعد ليلة الحناء من المناسبات السارة في طقوس الزواج، ولكنها تُعتبر في نفس الوقت فرصة سانحة للقيام بأعمال السحر والنيل من العروسين من قبل البعض. لذا، نجد أن معظم المبحوثات قد عانين من سحر الربط وعدم الإنجاب من خلال طقس الحناء. عبّرت بعض المبحوثات عن ذلك بقولهن: "عطيت الأمان وما ظنيتش واحدة راح تضرنني بهذه الطريقة". "لم أكن أعرف هذا النوع من السحر". "غدروني اللي عطيت فيهم الثقة". "الضرر من القريب مش من البعيد". هذه عبارات قالتها المبحوثات عن السحر الذي تم لهن في الحناء. وقد أخبرتنا أنهن ينصحن غيرهن من المقبلات على الزواج أو أخواتهن باتخاذ كل التدابير والإجراءات كالحيلة والحذر حيال الحناء، وعدم السماح لأي كان بأخذها، والتصدي والوقوف في وجه كل من يسعى للقيام بعمل السوء. لذا، عبّرت المبحوثات عن أنه يتم التستر وإقامة

طقس الحناء بحضور أم العروس وأم العريس فقط كي لا يتسبب ذلك في عقم العروسين، مع إخفاء ما تبقى منها.

6/ 5/2 يوم الزفاف

في يوم الزفاف، ترتدي العروس الفستان الأبيض كعلامة على النقاء، بينما يرتدي العريس بدلة أوروبية الطراز. عند خروج العروس من بيت أهلها، تكون هي آخر من يخرج، ولا يجب عليها الالتفات إلى الوراء، فهذا يُعدّ فالاً سيئاً يدل على طلاقها أو عودتها إلى بيت أهلها.

يرسل العريس بعد الظهيرة موكباً من السيارات يضم نساء العائلة لإحضار العروس إلى قاعة الزفاف. تستقبلهم والدّة العريس بالتمر والحليب، أو العسل الأصلي، أو العصير، أو قطعة من السكر. تأكل العروس من التمر أو السكر، وإن كان حليباً أو عصيراً، تشرب منه هي ويُعطى الباقي للعازبات كفال حسن على أنهن سيتزوجن من ورائها.

تدخل العروس إلى بيت العريس بالرجل اليمنى، تيمناً بأن دخولها سيجلب الخير والهناء والحظ لبيت العريس. عادةً عند دخولها، يُوضع طفل صغير في حجرها من أجل أن تتجب بسرعة، خاصة إذا كان ذكراً، تأملاً بأن تكون أول خلفّة لها ذكراً.

من الطقوس الأخرى أن يرمي ذووها الحلوى والمكسرات ثلاث مرات إلى الوراء فوقها، ثم يُوزع الباقي على الحاضرين، وخاصة العازبات اللواتي يتهافتن من أجل التقاط بعض الحلوى التي ترميها العروس، وهو طقس يُشبه إلى حد ما رمي باقة الزهور.

وهناك من يعتقد أنه إذا كان موكب العروس قادمًا ونزل المطر، فهذا دليل على أن حياتها مع زوجها فيها خير وبركة. وإذا كان مطر مع رياح، فيقال أن سعدا "واقف"، أي أنها ستحيا حياة كريمة في بيت زوجها. ولعل هذا ما يدفع البعض إلى سكب الماء وراء موكب العروس نظرًا إلى رمزية الماء.

أ/ طقوس دخول العروس لبيت زوجها

هناك بعض الطقوس الخاصة بدخول العروس إلى بيت زوجها. تقوم العروس بكسر بيضة عند وصولها باب منزلها الجديد، ويفضل أن تكون بيضة دجاج "الخم البري" (الدجاج البلدي). ويجب أن تخرج من بيت أهلها تحت جناحي والدها (بمعنى أن يمسكها من أطراف يديها). كما يجب على العروس أن لا تنسى تحصين نفسها من خلال قراءة القرآن.

5/2/7/ المعتقدات المتعلقة بالتقاء العرائس

من المعتقدات المتعلقة بالعروس أنه إذا التقتا عروسان في آن واحد وفي نفس المكان، فقد يتسبب ذلك في مرض إحدهما. كما أن الخوف من العين والحسد يمنع تواجدهما معًا؛ فإن إدخال عروسين في نفس الوقت يعتبر مجلبة للعين والحسد، مما قد يتسبب في حدوث مشاكل زوجية لإحدهما كالطلاق أو عدم الإنجاب.

هذا ما أشارت إليه إحدى المبحوثات عند سؤالها عن سبب العقم أو تأخرها في الإنجاب، حيث حدث والتقتا هي وعروس أخرى في آن واحد، وأنجبت الأخرى بينما هي لم تنجب. ولا يمكن الجزم بأن هذا العقم هو فعلاً نتيجة التقائهما مع عروس أخرى، ولكن حسب المعتقدات السائدة، إذا دخلت عروسان معًا، فإن ذلك فيه ضرر لإحدهما.

وإن حدث وتم إدخال عروسين معاً، فلا بد من كسر شيء، وذلك باعتبار أنه تم كسر العين. وقد شهدت إحدى المبحوثات في أحد الأعراس التي تم فيها دخول عروسين أن أخت العريسين قامت بإحضار جرة من الطين وأخذت تجرها سبع مرات أمام العروسين قبل الدخول، وكان كل الحضور منتبهاً مع الجرة. وعند إتمام الدورة السابعة، قامت بكسرها. وبعدها تم دخول العروسين، ولكن إحداهما أنجبت من العام الأول، بينما تأخرت الأخرى في الإنجاب إلى غاية ثلاث سنوات. ولعل هذا تأكيد بأن دخول العروسين في نفس الوقت فيه ضرر لهما. والعكس صحيح إذا تم إدخال عروس وإخراج عروس أيضاً من نفس المنزل، يقع مكروه لإحداهما، ولذا وجب التباعد بينهما.

6/ أسباب العقم حسب رأي المبحوثات

تؤكد المبحوثات على أن المرض بصفة عامة، والعقم وتأخر الإنجاب بصفة خاصة، هو ابتلاء من الله تعالى. نقول بعضهن: "الأولاد رزق من عند ربي"، "ينوب ربي بيهم"، "الإنجاب بيد ربي مش بيد العبد"، "كي يكتب ربي تّوا يجوا"، و"مكتوب من عند ربي"، "هذا واش حب ربي والحمد لله على كل حال".

من خلال المقابلات، توصلنا إلى العديد من المعتقدات الشعبية التي تلازم مراحل دورة الحياة من الولادة إلى البلوغ. ومن الجدير بالذكر أن المرأة من أهم وأبرز واجباتها عند الزواج هو الإنجاب، فهو دليل على خصوبتها وأول سبب لنجاح الزواج، وأهم ما ينتظره الزوج والأقارب هو الحمل.

تتفق المبحوثات على أن العين والحسد والسحر هي من أكثر الأسباب التي تمنع حدوث الحمل. ففي حين يمكن شفاء الأمراض العضوية الطبيعية بالطب الحديث والدواء الذي قد يساعد على حدوث

الحمل، فإن الحالات التي تعاني من السحر تختلف؛ لأنه يمنع حدوث الحمل، كما أنه سبب الأمراض في الأعضاء التناسلية. تصف إحداهن ذلك بقولها: "كلما عالجت على مرض يظهر لي مرض آخر."

أ/ سحر الربط وأثره على الإنجاب

صرحت المبحوثات اللاتي يعانين من سحر الربط على الإنجاب (سواء الزوجة أو الزوج) بأن الدواء الحديث لا يمكن أن يشفي منه، ولا بد من الرجوع إلى الطب الشعبي الذي استغرق منهن وقتاً طويلاً في العلاج، خاصةً أنه يتطلب الإيمان والثقة في الشفاء.

إحدى الحالات ذكرت أنها كانت تعاني من سحر الربط لمدة 9 سنوات، وذهبت إلى العديد من المعالجين دون جدوى؛ لأنها لم تستطع الحمل إلا بعد تلك المدة، فكانت هي وزوجها سليمي الأعضاء. وبالفعل، بعد انقضاء المدة، حملت، حيث لم تتناول سحرًا بل تم ربطه في خيط تسع عقدات.

أما مبحوثة أخرى، فقد صرحت بأنها تعاني من السحر الذي سبب لها عدم القدرة على الإنجاب. وذكرت أنها عندما تذهب للعلاج، لا تكمله أو لا تستطيع المداومة على الدواء هي أو زوجها. كما أنها تعاني من مشاكل صحية في الرحم، فإذا تحسنت هي، أصيب زوجها. وقالت إن السحر سبب لها هذه الأمراض، وأصبحت تعاني من اضطرابات هرمونية، وتظهر علامات غريبة في جسمها أو تشعر بعدم الراحة. وأضافت أن هذه المشاكل أثرت على نفسيتها على الرغم من سعيها للمداومة على العلاج وخاصة الرقية الشرعية.

في حالة أخرى، ذكرت مبحوثة أنها لا تعاني من أي سحر، لكن زوجها هو الذي تم ربطه عن الإنجاب في ليلة البناء. وعلى الرغم من ذلك، داومت هي وزوجها على العلاج لأكثر من 20 سنة، لكن السحر المدفون من الأسفار التي يصعب علاجها.

وقد صرحت بعض المبحوثات بأنهن توجهن إلى الطب الحديث خلال الأعوام الأولى لإجراء الفحوصات، ولكن تبين أن جميع الفحوصات سليمة ولا يوجد أي سبب يمنع حدوث الحمل. وهنا يبقى سبب عدم الحمل مجهولاً، لكن حسب المعتقدات الشعبية، فإنها تعاني من السحر.

من خلال المبحوثات، تبين أن **العقم العضوي (المرضي)** يمكن شفاؤه بالطب الحديث. أما العقم الذي يكون ناتجاً عن **السحر** أو عن بعض الأمراض التي لا تعالج إلا بالطريقة الشعبية، مثل:

• "الهواء دخل الرحم"

• "الرحم المقلوب" أو "العيلة"

• وجود "الأوساخ داخل الرحم" وهي بقايا الدورة الشهرية

• "أم الصبيان" أو "التابعة"

فهذه الأمراض كلها تسبب العقم، ولا بد من اتباع الطرق الشعبية في علاجها.

بذلك، فإن تفسير المرض على أنه بسبب السحر والحسد والعين له ارتباط بالتراث الديني، خاصة وأنها ذكرت في القرآن الكريم. كما أن المجتمعات العربية وغيرها تؤمن بوجود **العالم الآخر** وتأثيره على **حياة الفرد وصحته**، وقدرته على إلحاق الأذى بالناس.

نشير إلى أن الدراسات الأنثروبولوجية أكدت على وجود صلة قوية بين الدين وتأثيره على السلوك الاجتماعي للأفراد. فكل خروج عن معايير المجتمع سيؤدي إلى حدوث أمراض. ويتفسير الأنثروبولوجيين، فإن تجاوز قواعد "التابو" أو المحرم سيجلب معه عقوبة للأفراد قد تكون من نتائجها العقم والأمراض.

"ب/ الكبسة" كسبب للعقم في المعتقدات الشعبية

تعتقد بعض المبحوثات، أو هناك من أخبرهن، أن من أسباب العقم وتأخر الحمل هو "الكبسة". وهي التي تنتج عن زيارة المرأة العاقر للعروس. في هذا الصدد، أخبرتنا مبحوثة أنها في ليلة الحناء، قامت عمة زوجها بوضع الحناء لها، وكانت هذه العمة لم تتجب لعدة سنوات. وبعدها، قامت بلعق الحناء بلسانها، فحملت بعدها مباشرة، بينما المبحوثة نفسها لم تحمل وما زالت تعالج حتى الآن.

كما قد تحدث "الكبسة" بسبب:

- زيارة امرأة تعاني من ألم الطمث والدورة الشهرية للعروس.
- دخول عروس على عروس (في نفس المكان والوقت).
- دخول امرأة "نافس" (حديثّة الولادة) على عروس.

فحسب ما يُعتقد، فإن هذه الحالات قد تتسبب في حدوث أمر غير جيد لإحدهما أو لأبنائهن (إن حدث حمل لاحقاً).

7/ دوافع توجه المبحوثات الى المعالج الشعبي .

أكدت أغلب المبحوثات أن أسباب اللجوء إلى الطب الشعبي متعددة ومتكاملة، ولا يمكن حصرها في سبب واحد. تتأثر هذه الأسباب بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمريض ومحيطه الأسري. ومن بين هذه الأسباب:

1/ 8/ اليأس من الشفاء بالطب الحديث

كلما طالت مدة العقم، يبدأ التراجع عن الطب الحديث. ففي السنوات الأولى، كان الذهاب إلى الطب الحديث وإجراء الفحوصات والتحاليل المختلفة أمراً لا بد منه لمعرفة السبب الطبي. ولكن مع مرور الوقت والحصول على نفس الإجابة (عدم وجود أي مانع أو أن الطب لا يستطيع شفاؤه رغم كل المحاولات والطرق)، تفقد المريضة الثقة في الشفاء بالطب الحديث، وتتحول وجهتها نحو الطب الشعبي. يضاف إلى ذلك ارتفاع تكلفة الفحوصات الدورية أو حتى زيارة الطبيب المختص في أمراض النساء.

إن فشل الطب الرسمي في تحقيق الشفاء يدفع المريض وأسرته للبحث عن بدائل وحلول. وهنا يتم البحث عن المعالجات الشعبية المعروفة بالكفاءة في علاج الأمراض، وخاصة علاج العقم، سواء المتواجدين في منطقة سكنهم أو حتى في مناطق أخرى حققوا نجاحاً في مثل هذه الحالات المرضية (العقم). ولعل أول من يلجأ لأخذ النصيحة والمشورة هم كبار السن والمتزوجات اللاتي جربن العلاج بالطب الشعبي.

8/2 / قصص النجاح المتناقلة

سماع بعض أو أغلب المبحوثات عن قصص واقعية تماثلت للشفاء. فالنساء، بطبيعتهن، يميلن لنقل الأخبار، وحيثما تواجدن يتبادلن التجارب، تجاربهن أو تجارب أقاربهن، وكيف تجاوزن مع العلاج. يتم تداول الكثير من قصص الشفاء وحوادث الحمل، وأيضاً تناقل بعض الوصفات التي أعطتها المعالجات لمرضاهم، والقول بأنها أدت إلى الحمل. وهكذا، يتم الذهاب إلى المعالج بناءً على سماع قصص شفاء حدثت عنده.

فمعرفة المعالج أو السماع عنه وعن خبرته وقدرته في تحقيق الشفاء لمختلف الأمراض، أي من خلال المشاهدة والتجريب والسماع من خلال تناقل الناس لما يحدث لدى المعالج من طرق وأساليب في العلاج، يجعل المريض يأمل في الشفاء بعبارات مثل: "ربي يجيب الشفاء على يده" أو "يده مبروكة".

8/3 الثقة في المعالج الشعبي وقناعاته بسبب المرض

إن معظم المبحوثات لديهن ثقة تامة بما يقوله المعالج. إحدهن قالت: "أنا أعالج عند معالجة واحدة من أكثر من 5 سنوات لأنني أثق في علاجها وخبرتها". كما أن قناعة المريض بأن سبب المرض تتعلق بالأسباب الروحية كالعين والحسد والسحر، وهذه الأمراض لا تعالج إلا بالطرق الشعبية، تدعم هذا التوجه.

إن الثقة في المعالج الشعبي تلعب دورًا هامًا؛ فإذا وثق المريض في المعالج، سيتيح له فرصة الحديث معه بحرية. ولا يتعلق الأمر بالحديث عن المرض فقط، بل يتجاوز ذلك ليشمل الحديث في كل ما يتعلق بالحالة النفسية والاجتماعية وحتى المشاكل الأسرية والزوجية، مما يسمح للمعالج بالتشخيص الدقيق للحالة. فالثقة بين المريض والمعالج ضرورية حتى يتحقق الشفاء، وثقة المريض في المعالج من شأنها

أن تحفز المريض على الحديث براحة وألفة وتقديم تفسيرات دقيقة للحالة المرضية، خاصة فيما يخص العقم والعلاقة الزوجية وكشف الأعضاء التناسلية، خاصة لدى المرأة. فسوف تتكلم عن أمورها الخاصة بينها وبين زوجها. وهذا أيضًا يعزز الثقة لدى المعالج في قدرته على التشخيص الصحيح، فعلى المعالج أن يكسب ثقة المرضى وأيضًا من أجل جلب زبائن له.

كما أن المعالج الشعبي يتكلم بنفس لهجة المريض، وهذا يعني أنه يستخدم نفس اللهجة أو اللغة اليومية العامية. فضلاً عن عامل الثقة، فكلاهما عاملان مرتبطان ببعضهما البعض في التعامل مع الحالات المرضية. كلما كانت اللغة مفهومة، كلما زادت من توطيد العلاقة بين المريض والمعالج الشعبي. فطريقة التمازج والحديث مع المعالج بأسلوب يفهمه المريض يزيد من ثقة المريض بالمعالج. حيث إن استعمال المعالج للهجة تختلف عن لهجة المريض من شأنه أن يعرقل مسار العملية العلاجية، حيث أن اللهجة غير المفهومة للمريض تجعله في حالة اغتراب بينه وبين المعالج الشعبي، مما يجعل المريض يختصر في وصفه لحالته المرضية أو يخطئ في ذلك. حيث تقول إحدى المبحوثات أنها عالجت عند إحدى المعالجات وكانت تتكلم بالشاوية وهي لا تفهمها، وقد صعب عليها فهم طريقة الوصفة كما لم تجد راحتها في الكلام معها.

وعليه، فإن هذه الأسباب هي التي تجعل المريض يتوجه إلى المعالج الشعبي. وهذا يؤكد على أهمية الطب الشعبي واستمراره لحد الآن، على الرغم من التطور الحاصل في مجال الطب، وخاصة فيما يتعلق بعلاج العقم، حيث أن الممارسات العلاجية الشعبية أكدت فعاليتها في العلاج وذلك بعد نجاحها، وهذا ما دفع بالمبحوثات إلى تجريب هذا النوع من العلاج.

أما عن الطرق الشعبية التي تتردد عليها المبحوثات فنذكر منها:

- الحجامة
- المعالجة بالأعشاب
- العلاج الروحاني
- الرقية الشرعية... إلخ

8/4/ تبادل الصفات والخبرات بين النساء

لاحظنا أن أغلب المبحوثات يتبادلن الصفات الطبية مع غيرهن في أماكن مختلفة مثل:

- عند الطبيب أو في قاعات الانتظار.
- في التجمعات الاجتماعية كالأعراس والحمامات وصالونات الحلاقة والحفلات والأسواق، وحتى في المستشفيات.

فالمرأة بطبيعتها تتحدث وتقيم علاقات بسهولة. يتم تبادل الصفات التي سبق واستعملتها أو سمعت عنها من أخريات، أو حتى من مواقع التواصل الاجتماعي التي ينشط فيها الأطباء والمعالجون وحتى الرقاة.

رابعاً: طرق والاساليب الشعبية لعلاج العقم

1/ طرق علاج العقم بالأعشاب والخلطات الطبيعية.

أدلت المبحوثات بالعديد من الوصفات الطبيعية التي حصلن عليها من المعالجين بهدف المساعدة على الإنجاب والتخلص من مشاكل الرحم. نذكر منها:

1 / 1 / حليب الرضاعة لزيادة فرص الإنجاب

تُعد هذه إحدى أغرب الطرق التي اقترحها المعالجون. تتضمن تناول المرأة حليب الأمهات (حليب الثدي) لتعزيز فرصها في الإنجاب. يُخلط حليب الأم مع زبدة نباتية معينة يصنعها المعالج، ثم تشربها المرأة التي ترغب في الإنجاب وهي صائمة (على الريق).

2 / 1 / أعشاب ومشروبات لتحفيز الإنجاب

- البردقوش: تُتقع كمية مناسبة من البردقوش في كوب من الماء الدافئ لمدة 10 دقائق، ثم تُشرب كوبين من منقوع البردقوش يومياً بعد تصفيته.
- البابونج: تُتقع كمية مناسبة من البابونج في كوب من الماء المغلي، ثم يُشرب كوب من منقوع البابونج يومياً خلال فترة نزول الدورة الشهرية.

- الحليب والحلبة: يُسخن كوب من الحليب الطازج، ويُضاف إليه ملعقتين صغيرتين من الحلبة. يُشرب هذا المشروب على الريق في الصباح، بدءاً من اليوم الثاني من نزول الدورة الشهرية.

3 / 1 / خلطات للحمل وتنشيط المبايض

- طلع النخيل: يُقصد به البذور الأولى للتمر. يمكن تناولها يومياً مع العسل لتنشيط المبايض.

- **العسل الطبيعي:** يُنصح بتناول ملعقة كبيرة من العسل الطبيعي الخالي من الإضافات صباحًا ومساءً. يُعتقد أنه يساعد الجسم على التخلص من السموم وتنظيم الهرمونات، وبالتالي تحفيز عمل المبايض.

4/1 / خطاط أعشاب خاصة

- **خلطة الحلبة وحبة البركة:** تتكون هذه الوصفة، حسب ما صرحت به المبحوثة، من كوب من الحلبة وكوب من حبة البركة وكوب من حب الرشاد وكوب من عشبة العنزروت. تُطحن هذه المكونات حتى تصبح ناعمة على شكل مسحوق، ثم تُخلط جيدًا وتوضع في علبة محكمة الإغلاق لمنع دخول الهواء. تتناول المرأة ملعقة كبيرة من هذه الخلطة لمدة 10 أيام قبل موعد الدورة الشهرية، وخلال الأيام الخمسة الأولى من الدورة. تُتناول هذه الوصفة بهذه الطريقة لمدة ثلاثة أشهر.

• خلطة العسل وحبة البركة للحمل

- من الواضح أن المكونات الأساسية لهذه الوصفة هي **العسل وحبة البركة**، بالإضافة إلى **غذاء ملكات النحل** وحبوب **لقاح النحل**. تؤخذ هذه المكونات بنسب متساوية وتُخلط جيدًا مع العسل. يتم تناول ملعقة كبيرة من هذه الخلطة يوميًا.

• الدغموس للتخلص من تكيس المبايض

- تُخلط نبتة **الدغموس** المطحونة (على شكل مسحوق) مع كوب من الحليب أو عصير البرتقال أو الليمون. يُفضل تحلية هذا الخليط **بالعسل الحر**. يُشرب هذا الخليط مرتين يوميًا: المرة الأولى في الصباح

قبل وجبة الإفطار (على الريق)، والمرة الثانية قبل النوم. يجب الاستمرار في تناول هذه الوصفة حتى التخلص من تكيس المبايض.

• وصفة المثنان لعلاج الإجهاض المتكرر

تُعتبر نبتة **المثنان** من أفضل النباتات المعروفة والمستخدمه لعلاج الإجهاض المتكرر. يُنصح بأخذ ملعقة صغيرة منها منقوعة في كوب من الماء المغلي وتُعطى لمدة 15 دقيقة. يُشرب هذا المنقوع كل يوم على الريق لمدة شهرين قبل الحمل. كما تساعد هذه النبتة على تقوية الرحم والجهاز التناسلي.

• خلطة القرنفل ودبس الرمان "معجون الرمان"

نأخذ فنجانًا من القرنفل وكوبًا من دبس الرمان. يُوضع القرنفل ودبس الرمان في قدر على نار هادئة حتى يصل المزيج إلى درجة الغليان. بعد ذلك، يُترك الخليط ليبرد ويُوضع في علبة محكمة الإغلاق. نتناول ثلاثة ملاعق كبيرة من هذا الخليط منذ نزول الدورة الشهرية.

1/4 / وصفات أثناء الدورة الشهرية

• وصفة الحليب والحلبة: من الوصفات المتكررة حيث يتم أخذ ملعقتين كبيرتين من الحلبة مع كوب حليب، ويُوضع الخليط على نار هادئة حتى يصل إلى درجة الغليان. يُشرب منه مرة كل يوم خلال الأيام الخمسة الأولى من نزول الدورة الشهرية.

• وصفة الأناناس: يُشرب عصير الأناناس الطبيعي كل يوم بدءًا من اليوم الأول لنزول الدورة الشهرية وحتى اليوم الخامس عشر، وبعدها تتوقف عن شربه.

إضافة إلى ما سبق، تُوجد العديد من الوصفات التي تُؤخذ خصيصًا بعد الدورة الشهرية. إحداها تتكون من ملعقة كبيرة من العسل الطبيعي، وملعقة كبيرة من الحلبة المطحونة، وملعقة كبيرة من عشبة المرة، وملعقة كبيرة من حب الرشاد المطحون. تُخلط هذه المكونات وتوضع في علبة محكمة الإغلاق، ويُؤخذ ملعقة كبيرة من الخليط يوميًا مع الحليب.

ومن المبحوثات من أخبرتنا عن وصفة أخذتها من طبيب مصري، وهي خلطة عسل السدر وحب البركة. تتضمن إحضار 250 غرامًا من عسل السدر، وملعقتين كبيرتين من حب البركة، وفص ثوم مهروس. تُخلط المكونات معًا وتوضع داخل علبة، وتُتناول ملعقة كبيرة من الخليط يوميًا على الريق.

وصفة البصل الأحمر

تعتمد هذه الوصفة على مادة أساسية وهي البصل الأحمر. تُقطع حبة البصل الحمراء إلى قطع ثم توضع في الماء وتترك حتى الغليان. بعد ذلك، يُؤخذ كوب ساخن منها على معدة فارغة. تُساعد هذه الوصفة على التخلص من الأوساخ وبقايا الدورة الشهرية، وأيضًا في التخلص من الهواء الموجود في الرحم، بالإضافة إلى أنها تساعد على تخفيف أوجاع الدورة لمن تعاني من انقطاعها.

1/5 / تفاحة آدم

تُعد "تفاحة آدم" من الأعشاب المستخدمة بكثرة في علاج العقم. يتم تحويلها إلى مسحوق وتُخلط مع العسل، ويُتناول الخليط يوميًا على الريق كما هي مواضحة في الصورة.



1/6 / وصفات لتنظيف الرحم

تُستخدم عدة وصفات شعبية لتنظيف الرحم من بقايا الدورة الشهرية والتخلص من الالتهابات والهواء:

- التمر وحب الرشاد وزيت الزيتون: تُسخن 7 حبات من التمر مع ملعقة صغيرة من حب الرشاد المطحون وملعقة من زيت الزيتون على نار هادئة. يُشرب هذا الخليط على الريق لمدة خمسة أيام للتخلص من بقايا الدم.
- الكمون والرشاد والحبّة السوداء والحلبة والعسل: تُخلط ملعقة صغيرة من الكمون المطحون، وملعقة صغيرة من الرشاد المطحون، وسبع حبات من الحبّة السوداء، وسبع حبات من الحلبة، وملعقة كبيرة من العسل. تُعجن المكونات معًا وتُتناول على الريق مع كوب ماء دافئ.

- الفلفل الأبيض والأسود والزنجبيل: تُؤخذ هذه المكونات بكميات متساوية. يُوضع مقدار ملعقة يوميًا في كوب من الحليب الدافئ صباحًا ومساءً، قبل الدورة بسبعة أيام. تُساعد هذه الوصفة في التخلص من الإفرازات والالتهابات والهواء الموجود في الرحم.

1/7 وصفات لعلاج العقم والضعف عند الرجل

يُعاني بعض الرجال من ضعف الحيوانات المنوية، مما قد يُسبب تأخر الحمل لدى زوجاتهم. لذا، تُقدم بعض الخلطات الشعبية التي يُعتقد أنها تزيد من عدد الحيوانات المنوية وتقويتها، وبالتالي تزيد من فرص حدوث الحمل:

الخلطة الأولى

تتكون من 15 حبة من الجوز، وخمس حبات من اللوز، وخمس حبات من الصنوبر، وخمس حبات من البندق، وعشر حبات من الفول السوداني. تُطحن هذه المكونات ويُؤخذ منها مغرف يوميًا مع الحليب أو الماء.

الخلطة الثانية

تُحضّر هذه الخلطة باستخدام كيلو غرام من العسل الطبيعي، ويُفضل أن يكون عسل الجبالي أو عسل السدرة. يُضاف إليه 40 غرامًا من غذاء ملكات النحل، و30 غرامًا من حبوب لقاح النحل، و20 غرامًا من طلع النخيل. تُخلط المكونات جيدًا مع العسل. يأكل الرجل منها ملعقة كبيرة يوميًا مع كوب من الحليب أو الماء الدافئ.

الخلطة الثالثة

تستخدم هذه الخلطة لعلاج برد الرحم، حيث تؤخذ حفنة من أوراق المريوت (حشيشة الكلب) و الميرامية و قشور الرمان و العفصة و تغلي هذه المكونات في لتر من الماء جيداً وعلى نار هادئة و عند الفوران نطفى النار ونظيف اليهم معلقة صغيرة من ملح الطعام و معلقة كبيرة من خل التفاح و تعمل به المرأة حقنة في المهبل ويكون في حالة دفىء صباحاً وفي منتصف النهار وعند المساء ولا بد ان تكون المحقنة نظيفة و معقمة.

وهذه الوصفة تعالج برد الرحم و رطوبة الرحم و القروح الخبيثة في الرحم واختناق الرحم وتوقف النزيف والرطوبة السائلة والالتهابات المهبليّة وتنقي رحم النفساء.

2/ طرق العلاج الروحانية لتأخر الإنجاب

تُظهر المقابلات مع المبحوثات أن اللجوء إلى العلاج الروحاني شائع في حالات تأخر الإنجاب، حتى لو كانت بعض هذه الطرق تبدو مخيفة. تشير إحدى المبحوثات، التي عانت من تأخر الإنجاب لأكثر من 6 سنوات وحملت 4 مرات لكن حملها لم يكتمل، إلى أنها لم تكن تؤمن بهذه العلاجات في البداية. ولكن بعد عامين من الزواج دون حمل، نصحتها والدتها باللجوء إلى معالجة شعبية تُعرف بقدرتها على تحقيق نتائج سريعة.

2/1 تجارب علاجية روحانية

روت المبحوثة بعض التجارب التي خضعت لها:

- الاستحمام بليفة الميت: عُرض عليها أن تستحم بليفة شخص ميت حديثاً "لتنخض" (بمعنى أن تتقاجأ أو تصاب بصدمة قد تحفز الحمل). وعلى الرغم من خوفها الشديد، لم تستطع استخدام

الليفة مباشرة على جسمها، لكنها وضعتها في ماء الاستحمام واستحمت به. حملت بالفعل بعد ذلك، لكن الحمل لم يكتمل.

• وضع الكوبايات على الظهر: خضعت لتجربة "وضع كوبايات على الظهر" لتفريغ الهواء، على غرار الحقامة.

• الاستحمام بماء غسيل أدوات الحلاقة: استحمت بماء غسيل أدوات الحلاقة من عند الحلاق.

• الجلوس على "خلاص" طفل مولود حديثاً: جلست على "خلاص" (المشيمة أو بقايا الولادة) لطفل مولود حديثاً.

• دخول القبر: غرض عليها حتى "دخول القبر".

2/2 / التابعة (أم الصبيان) والتمايم

عانت مبحوثة أخرى من الإجهاض المتكرر (تسع عمليات إجهاض متتالية على مدار سبع سنوات). كانت تحلم في ليلة الإجهاض بامرأة ترفسها على بطنها أو أنها تسقط من جبل. بعد فشل كل التدخلات الطبية، اصطحبتها والدتها إلى عجوز معروفة بقدرتها على فك السحر في منطقتهم. أخبرتها العجوز أنها تشكو من "التابعة" أو "أم الصبيان". ونصحتها بالذهاب إلى عطار وشراء عشبة "تفررت" أو "تفيرة" دون السؤال عن ثمنها، ودفع ما تجود به نفسها. ثم تقسم العشبة إلى ثلاث قطع:

• تُعلّق القطعة الأولى على صدرها.

• تُوضع القطعة الثانية والثالثة داخل المخدة وعند عتبة المنزل. قامت المبحوثة بذلك وهي تنتظر نجاح الأمر.

2/3 طقوس أخرى لطلب الحمل

- زيارة "السلخانة" (المقصب): أخبرتنا مبحوثة أخرى أنها ذهبت إلى المقصب لمدة ثلاثة أيام متتالية وغمست يدها في دماء الذبائح فور الذبح مباشرة، اعتقاداً بأن ذلك سيحقق المراد ويحدث الحمل.

- تعليق جريد النخل: تحضر الزوجة جريد النخل وتعلقه في غرفة نومها حتى دخول الشهر الهجري التالي. فمثلاً، إذا علقت الجريد في شهر رجب، فإنها تنتظر دخول شهر شعبان. وفي يوم الدخول، أي اليوم الذي ترى فيه الهلال، تقوم برمي الجريد وهي تنظر إلى الهلال. تُعد هذه الطريقة لطلب حدوث الحمل.

تستمر المبحوثات في وصف طرق العلاج الروحاني، والتي تُظهر عمق المعتقدات الشعبية وتأثيرها على البحث عن حلول لمشكلة العقم:

2/4 طرق متعلقة بالحرم المكي

تُوجد معتقدات تُربط بين العلاج والإنجاب والممارسات المتعلقة بالحرم المكي:

- ماء ملابس الإحرام: يُعتقد أن ملابس الإحرام التي يعرق فيها الرجل أثناء طوافه بين الصفا والمروة، بعد غسلها والاستحمام بماء غسيلها، تكون حلاً لإنجاب المرأة العاقر.
- قمح الحمام من الحرم: ذكرت إحدى المبحوثات أنها طلبت من شخص ذاهب إلى العمرة إحضار القمح الموضوع كطعام للحمام من أمام طيور الحمام. بعد ذلك، يتم سلق هذا القمح وأكله، ويُعتقد أن الحمل سيحدث بعدها.

- فك العقد حول الكعبة :تقوم بعض النساء بعقد خيط سبع مرات وتضعه حول بطنها، ثم ترسله مع شخص ذاهب إلى الحج أو العمرة. في كل مرة من الطواف بالكعبة، تُفتح عقدة، وهكذا حتى تُفتح العقدة السابعة بعد سبعة أشواط حول الكعبة.

2/5 طرق متعلقة بالميت

- تُعد بعض الطرق الشعبية لعلاج العقم غريبة ومخيفة، لكن يُعتقد بفعاليتها:
- النظر في عين المتوفي والقفز فوق الجثة :يُعتقد أن النظر في عين شخص متوفى حديثاً، والقفز فوق الجثة سبع مرات، يزيل "الجبسة" أو "الكبسة". فالرعب يُعتبر حلاً أكيداً لتحقيق الإنجاب.

- الاغتسال بـ"طاس" الخلاص أو ماء النفاس :تُغتسل المرأة بـ"طاس" الخلاص، وهو الوعاء الذي يُغسل به الأموات، أو بماء النفاس الذي تغتسل به الأم بعد ولادتها.

2/6 العلاج بالأحجية والتعاويذ

- من العلاجات الروحانية المعروفة التي تُعتبر سحرية، هي استخدام الأحجية والتعاويذ. يكتب "الطالب" (المعالج الروحاني) حجاباً (يُسمى "الكتاب")، ويطلب من المرأة تعليق هذا الكتاب أو الحجاب في المنزل أو غرفة النوم أو مكان نومها في الوسادة، أو أن تحمله معها في مناطق معينة من الجسد كالصدر ومنطقة الرحم.

2/7 العلاج بالحيوانات

من المعروف أن الحيوانات تُقدم كقرايين في الأعمال الروحية، إما عن طريق دمها أو جلدها أو أي جزء منها يمكن استخدامه في أعمال معينة. ومن بين الحيوانات التي تُستخدم لعلاج العقم:

- **الدجاجة:** حسب ما ذكر من المبحوثات أو المعالجين، تُستخدم الدجاجة من أجل إبطال "التابعة" أو السحر. يجب أن تتوفر بعض الشروط في الدجاجة؛ فيجب أن تكون من نوع معين يُسمى "تاع لعرب" (بلدية)، وأن تكون ذات ريش أسود بدون وجود ألوان أخرى. تُستخدم إما عن طريق ذبحها، أو دفنها، أو "التسبيح بها" (المرور بها سبع مرات حول الشخص)، وبعد ذلك تُترك في مفترق طرق أو تُباع. والجدير بالذكر أن إزالة السحر بالدجاجة قد يضر بالصاحب الأول لها أو من وجدها بعد "التسبيح بها" وتركها.



- **السحفاة:** تُستخدم السحفاة أيضًا في "التسبيح بها" (المرور بها حول الشخص). يُعتقد أن المرض ينتقل إليها، وبعدها تُترك ليجدها شخص آخر ويحمل السحر الموجود بها. بعض المعالجين يدفنونها، أو يستخرجون جسدها ويحتاجون إلى قوقعتها للأعمال الروحية.
- **المعزة:** روت إحدى الحالات أنها ذهبت إلى "والي" (شخص ذو مكانة دينية أو روحانية) في مدينة مجاورة. أخبرها الوالي بضرورة إحضار **معزة سوداء**. وبالفعل، قامت بإحضارها ومرت فوقها سبع مرات، وبعد ذلك قام الوالي بذبح المعزة وإطعام الزوار منها.

- الثور: ذكرت إحدى المبحوثات أنها سعت للإنجاب بكل الطرق، ومن أغرب ما طُلب منها هو إحضار ثور أحمر. وبالفعل، قامت بالبحث عنه حتى وجدت ثورًا تنطبق عليه الصفات المطلوبة، ثم قامت بذبحه وأكلت مرارة الثور.

- الحصان: يُطلب شرب كأس من حليب أنثى الحصان على الريق من أجل إستفراغ السحر المأكول.

هذه الطرق تُسلط الضوء على تنوع المعتقدات الشعبية العميقة حول أسباب العقم وسبل علاجه تُبرز مدى اليأس والأمل الذي يدفع النساء لتجربة طقوس قد تبدو غير تقليدية في سعيهن للأمومة.

2/8 أهداف المترددين على المعالج الروحي "الطالب"

يتوجه بعض الناس إلى المعالجين الروحيين، المعروفين بـ"الطلاب"، لأهداف مختلفة، منها:

1. شفاء الأمراض

يقوم بعض الأشخاص بزيارة السحرة أو المعالجين الروحيين من أجل الحصول على وصفات وأعمال سحرية يعتقدون أنها تفيد في علاج أمراضهم، مثل:

- أمراض الصداع والصرع.
- أمراض الأطفال.
- الحسد والعين.
- الأمراض النفسية كالقلق والتوتر.

ومع ذلك، لا يُنكر أن بعض المترددين على السحرة يطلبون وصفات لإلحاق الضرر بالغير، بهدف جعل شخص آخر يصاب بمرض ما.

• كشف الغيب

يرغب بعض المترددين في كشف الغيب وطلب معرفة ما يخبئه المستقبل. الهدف من ذلك هو الخوف من المجهول، ومن ضياع النعم والمال، أو فقدان الحب والأهل وغير ذلك. كما أن المرأة العاقر أو المرأة التي تأخر حملها تلجأ إلى "الطالب" لمعرفة أسباب التأخر، وما إذا كانت ستجب، وطلب العلاج. اتفقت المبحوثات على أن العين والحسد والسحر تسبب العقم والأمراض الخطيرة، وفي بعض الأحيان تؤدي إلى الموت.

3/ علاج العقم بالرقية الشرعية والقرآن الكريم

تُشير المبحوثات إلى أن هناك أنواعًا مختلفة من السحر التي قد تؤثر على الإنجاب والعلاقات الزوجية، وأن الرقية الشرعية والقرآن الكريم يُعتبران من طرق العلاج الروحاني الفعالة لهذه الحالات.

3/1 أنواع السحر التي تؤثر على الإنجاب والزواج:

- سحر التفريق: يُعمل ليفرق بين الزوجين.
- سحر المحبة: يُعمل لجعل شخص يحب آخر لتحقيق غاية معينة، سواء للمرأة تجاه الرجل أو العكس.
- سحر التعطيل عن الزواج: يهدف إلى منع الزواج.
- سحر الربط عن الجماع: يُعد من أخطر أنواع السحر، حيث يمنع الرجل من جماع زوجته، مما قد يؤدي إلى فقدان الأعصاب وفي بعض الأحيان إلى الطلاق. وقد يحدث العكس حيث تُربط المرأة فتنفر من زوجها ولا ترغب في إقامة علاقة جنسية معه.
- سحر العقم أو العقر: يعمل خصيصًا لمنع الإنجاب.

تختلف طريقة عمل السحر حسب نوعه. على سبيل المثال، يتم ربط الأزواج عن طريق وضع العمل على صورة موجودة في غرفة النوم، أو في الملابس الداخلية للمرأة، أو في فراش النوم، أو أي غرض في غرفة النوم مثل الخزانة.

3/2 كيفية فك سحر الربط:

لَفَكَ هذا النوع من السحر، يجب على الزوجين إحضار 7 ورقات من شجرة النبق. تُطحن هذه الأوراق السبع في كمية قليلة من الماء بالخلاط. بعد الخلط، يُحضر الزوج إناءً كبيراً به كمية من الماء تكفي لاستحمام الزوجين. يضع الخليط المطحون (الأوراق بالماء) في هذا الإناء، ثم يضع الزوج يده في الماء ويقول: "بسم الله الشافي ولا شفاء إلا شفاؤك"، ويقرأ آيات الرقية الشرعية ويده ما زالت في الماء. بعد ذلك، يغتسل الزوجان بهذا الماء بعيداً عن الحمام، ويُفضل أن يكون في غرفة النوم. هذا في حالة إذا كانت الزوجة هي المربوطة. أما إذا كان العكس (الرجل مربوطاً)، فيكفي الزوج قراءة الرقية ويمسح عضوه الذكري بزيت الزيتون، حيث يُعتقد أن الجن يهرب من رائحته.

3/3 سحر العقم وأعراضه:

يختلف سحر العقم تماماً في طريقة عمله عن سحر الربط، حيث يُوضع السحر في الأكل والمشروبات. هذا يؤدي إلى إصابة خصية الرجل بالبرود، وبالتالي عدم إنتاج الحيوانات المنوية. وبالنسبة للمرأة، فإنه يسد قناة الرحم، مما يمنع مني الرجل من الوصول إلى بويضة المرأة، فلا يتم التلقيح ولا يحدث الإخصاب. غالباً ما تشكو المرأة المصابة بسحر العقم من ألم في جوانب الرحم، وتشعر وكأن هناك "كرة" فوق الرحم.

أما عن أدوات الساحر، فمنها استخدام دم الخفافيش لكتابة الأحجية.

3/4 سحر منع الحمل وسحر الأرحام: الأعراض والعلاج بالرقية الشرعية

في سياق المعتقدات الشعبية وطرق العلاج الروحاني، يُعد سحر منع الحمل وسحر الأرحام من أنواع السحر التي تؤثر مباشرة على قدرة المرأة على الإنجاب أو إتمام الحمل.

أ/ سحر منع الحمل

هذا النوع من السحر يُصنع خصيصًا لمنع المرأة من الحمل والإنجاب. من طرق علاجه بالرقية الشرعية:

- الاغتسال بالماء والزعفران : تكتب سورة الجمعة وآية إبطال السحر والآية الأتية (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) الآية 81 سورة يونس مكررة 21 وتُكتب بماء الورد والزعفران. ثم تُحل (تُمحى) بماء عادي وتُغتسل به المرأة.
- شرب من ماء الورد والزعفران: تُكتب أسماء الله الحسنى كلها مرة واحدة، وسورة الملك مرة واحدة، بماء الورد والزعفران. ثم تُحل ويُشرب منها على الريق.
- قراءة سورة الملك وآيات إبطال السحر: يجب على المرأة المصابة بسحر الأرحام أن تقرأ سورة الملك وآيات إبطال السحر 7 مرات. إذا لم تستطع القراءة بنفسها، يقرأ عليها زوجها.

ب/ سحر الأرحام

يُصنع سحر الأرحام خصيصًا ليتسبب في موت الجنين في بطن أمه، مما يؤدي إلى الإسقاط المتكرر . من أعراضه الشائعة:

- ألم في الخصرة.
- ألم في البطن.
- ألم في المقعدة

للعلاج بالرقية الشرعية:

• الشرب من ماء الورد والزعفران: تُكتب سورة الواقعة، وأسماء الله الحسنى، وآيات إبطال السحر 7 مرات (ومنها الآية 81 من سورة يونس المذكورة أعلاه)، بماء الورد والزعفران. ثم تُحل بماء عادي ويُشرب منه على الريق لمدة 7 أيام.

• الدهن بزيت الزيتون المقروء عليه: تقرأ الزوجة أو المرأة التي تعاني من الإجهاض على زيت الزيتون رقية السحر مكررة 7 مرات، مع قراءة الآيات التالية:

(بِإِذْنِ اللَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ) الآية

49 سورة الشورى

(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ

أَنقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾) (المرسلات 20 - 24)

(وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۖ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) (سورة الانعام

الآية 98)

تم تقوم المرأة بدهن فقرات ظهرها، وأسفل السرة، والبطن بهذا الزيت، وتداوم على ذلك طيلة فترة الحمل حتى يتم الشفاء.

ج/ علاج سحر التفريق

سحر التفريق هو نوع من السحر يُصنع بهدف إحداث الكراهية والنفور بين الزوجين. قد يُصنع للرجل فيجعل زوجته بغیضة لديه بعد أن كان يحبها، أو يُصنع للمرأة فتكره زوجها وتراه في عينيها كعدو أو وحش قبيح المنظر.

لعلاج هذا النوع من السحر، تُستخدم الطريقة التالية:

- الكتابة والاعتسال بماء الورد والزعفران: تُكتب آية إبطال السحر (التي سبق ذكرها) بماء الورد والزعفران، وتُكرر عدة مرات. ثم تُمحي (تُحَل) بماء عادي، ويُغتسل بها المريض (سواء كان الرجل أو المرأة) لمدة 7 أيام. آية إبطال السحر مكررة (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) 7 مرات

(سورة الملك) كاملة

يقرأ المريض رقية السحر مكررة سبع مرات، وسورة يوسف مرة واحدة، وسورة الملك. تقرأ سورة الملك في ماء ويضاف إليه سبع ورقات من السدر، وسبع حبات من الحبة السوداء. يداوم المريض على شربها، وتكرر الطريقة إلى أن يتم الشفاء.

د/ علاج سحر الربط: يصنع لعقد الرجل عن زوجته. تكتب سورة الجمعة بماء ورد وزعفران، وتمحي بماء عادي، ويغتسل بها مع قراءة الآيات التالية:

(هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (سورة الكهف الآية 98) 7 مرات

(قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) 7 مرات

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (سورة النمل الآية 88) 7 مرات

من الطرق التي ذُكرت على لسان إحدى المبحوثات، والتي كانت تستعملها لعلاج السحر المأكول، تتمثل هذه الطريقة في كتابة كل آيات السحر بالمداد الطاهر. هذا المداد يصنع من "دم غزال + عشبة

من عند العطار + زعفران + مستكة؛ يُنقع كل هذا في ماء ورد لمدة يوم ثم يُصفى ليصبح مدادًا طاهرًا ويوضع في قلم حبر. تُكتب الآيات به على ورق أبيض ثم تُذاب في الماء. مع قراءة الآيات التالية

(فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) الصافات الآية 98

(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) سورة الفرقان الآية 23

(الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ) سورة النور الآية

39

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) سورة الإسراء الآية 81

(قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعَذُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) الكهف الآية 98

وتشرب منه الماء لمدة سبعة أيام قبل الإفطار على معدة خاوية. وفي هذه الفترة، أي خلال الأيام السبعة، كانت تقوم بتنظيف المنزل بالماء والملح أو بماء البحر المقروء عليه آيات الرقية الشرعية، والتبخير، من أجل الحصول على نتيجة أفضل

3/5 / العلاج بالتبخير بالماء المرقى

تُقرأ هذه الآيات على الماء وسبع ورقات من السدر المدقوقة: الفاتحة سبع مرات، وآية الكرسي مرة واحدة، وآخر آيتين من سورة البقرة مرة واحدة، وسورة الإخلاص ثلاث مرات، وسورة الفلق ثلاث مرات، وسورة الناس ثلاث مرات.

ثم يُترك الماء يغلي لمدة عشر دقائق وهو مغطى. بعد ذلك، تقوم المرأة بلبس قطعة واحدة (أي بدون لباس داخلي)، ثم تفتح الغطاء عن الماء وتكون واقفة فوق القدر بطريقة تسمح للبخر بالدخول إلى رحمها.

3/6 العلاج بالحجامة

أما عن العلاج بالحجامة، وحسب معظم المبحوثات، فإنها تترافق مع العلاج بالرقية الشرعية من أجل إعطاء نتيجة أفضل.

أ/ تأثير الحجامة على العقم

تُعَدّ الحجامة طريقة فعّالة في تحسين بعض حالات العقم، وذلك من خلال آليات متعددة:

1. تنظيم الهرمونات: تعمل الحجامة على تنظيم الجهاز العصبي المركزي، مما يؤثر إيجاباً في توازن هرمونات الجسم.

2. تنشيط الغدة النخامية : تساعد الحجامة في تنشيط الغدة النخامية، التي تلعب دوراً محورياً في التحكم في إفرازات الهرمونات بالجسم.

3. علاج المشاكل الجنسية: كما تُساهم الحجامة في علاج مشكلات مثل القذف المبكر، والضعف الجنسي، ودوالي الخصية التي قد تؤثر على الخصوبة.

4. تحسين الدورة الدموية وتقليل الالتهابات: تعمل الحجامة على تنشيط الدورة الدموية في الخصيتين والقنوات المنوية، مما يقلل الالتهابات بفضل الله.

ب/ نتائج الحجامة في علاج العقم عند الرجال

بالرغم من أن الحمامة تُعالج العديد من الأمراض، ومن بينها العقم عند الرجال، إلا أنها ليست فعّالة في جميع الحالات. إذا كان سبب العقم ضعفًا جنسيًا، أو اختلالًا هرمونيًا، أو التهابات في الخصية أو القنوات المنوية، أو دوالي في الخصية، يُفضل تكرار جلسات الحمامة إذا لوحظ تحسن، وذلك حتى يصل المريض إلى الحد الطبيعي للخصوبة.

تُساهم الحمامة أيضًا في زيادة حجم السائل المنوي، ورفع كفاءة الجهاز المناعي لمكافحة البكتيريا، وتقليل الأجسام المضادة للسائل المنوي، وهي عوامل قد تؤثر سلبًا على جودة الحيوانات المنوية والخصوبة.

نصائح عامة للحفاظ على الصحة من معالجي الحمامة

قدم لنا المعالجون بالحمامة عدة نصائح للحفاظ على الصحة بشكل عام:

- **نظافة القولون:** يُنصح بالحفاظ على نظافة القولون، وهذا ممكن عن طريق استخدام عشبة السنا التي أوصى بها نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم.
- **تنظيف الكلى والأعضاء التناسلية:** يُنصح بتناول الجزر مع الخيار أو البنجر (الشمندر) كعصير طازج، وذلك لتنظيف وتوازن الكليتين والأعضاء والغدد الجنسية.
- **توازن الفضلات السمية:** يُنصح بتناول نبات الهليون لاحتوائه على حمض الإسبرتيك، وهو حمض يساعد على توازن الفضلات السامة في الأوعية الدموية عن طريق الكلى.
- **إنتاج الحيوانات المنوية:** يُنصح بتناول صفار البيض الطازج لأنه غني بالليستين العضوي الذي يُساهم في إنتاج الحيوانات المنوية.

ج/ وصفة لمرضى العقم

كما أفادنا المعالجون بوصفة لمرضى العقم، والمقادير كالتالي:

- 10 غ عرق ذهب، 10 غ عرق جناح، 10 غ بهمن أحمر، 25 غ طلع نخل، 10 غ جنسنج، 10 غ لبان ذكر، 10 غ زنجبيل، 10 غ جلجلان، 10 غ كرفس، 25 غ شرش زلوع، 25 غ بسباسه، 25 غ قرفة إندونيسية، 25 غ بذر بصل، 15 غ دار صيني، 25 غ حب رشاد، 25 غ إيكير، 15 غ بذور الكتان، 25 غ حبوب اللقاح.

تُخلط هذه المكونات بعد طحنها مع العسل أو الحليب، ويتم تناولها يوميًا في الصباح أو في الليل

4/ فوائد الاعشاب وكيفية استخدامها للعلاج العقم

من خلال المقابلات التي أُجريت، تبين أن معظم المبحوثات (النساء اللواتي تمت مقابلتهن) لديهن فكرة، ولو بسيطة، عن بعض الأعشاب العلاجية. هذه الأعشاب تكون موجودة باستمرار في بيوتهن لاستعمالها عند الضرورة، دون الحاجة للرجوع إلى معالج. وقد اكتشفت فوائد هذه الأعشاب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عبر صفحات العلاج الشعبي، أو عن طريق البرامج الطبية، أو حتى بوصفات من معالجات أخريات. كما أكد بعض المعالجين على أهمية هذه النباتات في علاج العقم، مشيرين إلى أنها من المكونات الأساسية في تحضير الوصفات التي تعالج هذه الحالة.

1/ زيت الزيتون

يُعرف زيت الزيتون بفوائده الغذائية والعلاجية المتعددة. يُستخدم في الطبخ والتتبيل، ويُفضل شربه صباحًا على الريق لما له من فوائد صحية. كما يُستخدم زيت الزيتون في الرقية الشرعية دهنًا وشرابًا ورشًا، بعد أن يُقرأ عليه آيات من القرآن الكريم. يتم تحديد الآيات التي تُقرأ حسب نوع المرض المراد علاجه، سواء كان عقمًا، أو عيّنًا، أو حسدًا، فلكل منها رقية خاصة وأماكن مخصصة للدهن. يُعدّ زيت الزيتون أيضًا مكونًا أساسيًا في العديد من الخلطات الطبيعية، وخاصة تلك التي تُعالج العقم.

2/ حبة البركة

تُستخدم حبة البركة (التي تُعرف أيضًا بالحبة السوداء) بعدة طرق علاجية:

- كعشبة أو زيت: يمكن استعمالها كحبوب أو استخدام زيتها في العلاج.
- في الرقية والتبخير: أحيانًا تُذر على عتبات المنزل في بعض أنواع الرقية، أو يتم التبخير بها.

• مع العسل: تُؤكل كخليط مع العسل لفوائدها الصحية.

• لعلاج العقم: تُستعمل بشكل شائع في خلطات علاج العقم.

السنوج وحبّة البركة: هناك خلط شائع بين حبة البركة والسنوج بسبب تشابههما في الشكل. لكنهما ليسا نفس الشيء، وتختلف استخداماتهما وفوائدهما. إذا كان هناك صورتان، فالصورة الأولى عادةً تكون لحبة البركة، والثانية للسنوج.



الصورة الاولى : حبة البركة

الصورة الثانية : السنوج



3/ الملح الخشن

يستخدم الملح بشكل واسع في الرقية الشرعية والممارسات الغيبية المتصلة بها. من استخداماته الشائعة:

- رد العين والأذى: يُستخدم لرد العين أو "التسبيح به" (وهي ممارسة يُقصد بها دفع الشر أو الأذى)، وإبعاد الجن.
- مع الشب: يمكن استخدامه مع الشب في بعض الطقوس.
- تنظيف المنزل: يُخلط الملح الخشن مع كمية من الماء، ثم تُنظف به جميع غرف المنزل وحتى الجدران.
- لإبطال العين والحسد: يُوضع كمية من الملح والماء في كأس بلاستيكي، وتُوضع في غرفة الجلوس بهدف إبطال تأثير العين والحسد.



صورة 4: الملح الخشن

4/ التمر

يُعرف التمر بفوائده المتعددة، ويُعتقد في بعض الممارسات التقليدية والرقية الشرعية أنه يفيد في علاج السحر والحسد.



صورة رقم 4 للتمر

5/ التين

التين هو فاكهة مباركة ومذكورة في القرآن الكريم، وله مكانة خاصة في بعض الممارسات العلاجية التقليدية والرقية الشرعية.

فوائده في علاج السحر: يُعتقد أن التين ينفع في إزالة السحر، ولهذا يصفه الرقاة (الذين يمارسون الرقية الشرعية) لمرضاهم.

طرق الاستخدام: يُذكر بشكل خاص فعاليته إذا تم وضعه في زيت الزيتون. يُمكن أن يتم ذلك عن طريق نقع التين في زيت الزيتون لفترة، ثم يُستهلك هذا الخليط أو يُدهن به، بهدف تعزيز الخصائص العلاجية لكليهما في مواجهة السحر أو الأمراض الروحية.

يُعدّ التين، بفضل مكانته الدينية وفوائده الصحية المعروفة، جزءًا من التوصيات العلاجية في سياقات معينة.



الصورة رقم 5 لتين المجفف

6/ الحلبة

الحلبة عشبة معروفة بفوائدها الصحية المتعددة وتُستخدم في علاج العديد من الأمراض:

- **لأمراض الجهاز الهضمي والكبد:** تُعرف الحلبة بقدرتها على معالجة بعض مشاكل البطن والكبد.
- **علاج النحافة:** تُستعمل غالبًا مع العسل لزيادة الوزن وعلاج النحافة.
- **الأمراض الصدرية:** تُفيد في التخفيف من الأمراض المتعلقة بالجهاز التنفسي والصدر.
- **علاج العقم:** تُعد مكونًا أساسيًا في العديد من خلطات علاج العقم، نظرًا لتأثيرها المحتمل على الهرمونات والصحة الإنجابية.
- **صحة المرأة:** يُنصح بتناولها في الصباح. كما أنها تساعد على تخفيف آلام الرحم خلال فترة الحيض، وتعتبر مقوية ومفيدة للجسم بشكل عام.

بشكل عام، تعتبر الحلبة من الأعشاب الغنية بالعناصر الغذائية ومركبات الفلافونويد، مما يجعلها مفيدة للصحة العامة.



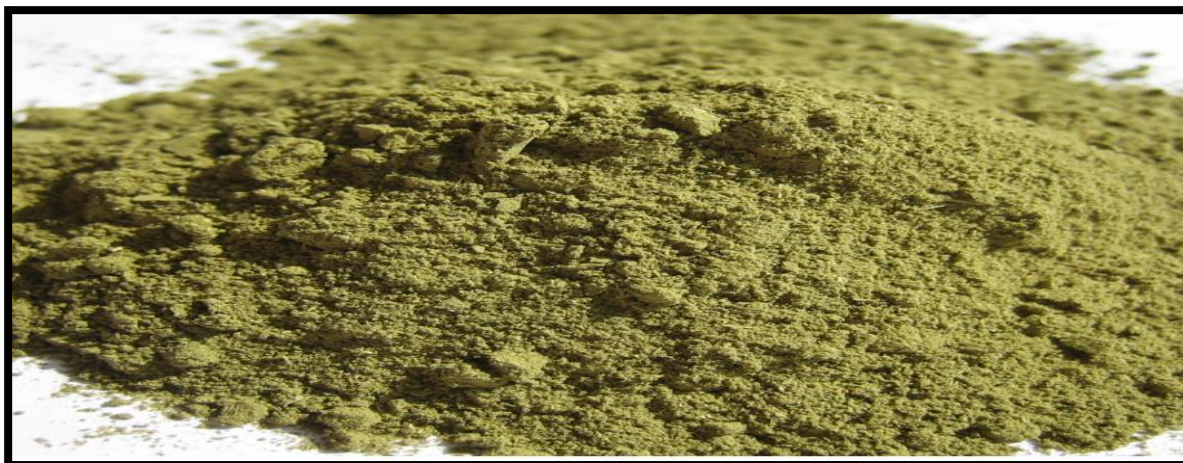
صورة رقم 6 : الحلبة.

7: الحناء

تُعرف الحناء بفوائدها الجمالية والعلاجية، ولكن لها استخدامات مختلفة في الثقافات الشعبية قد تحمل دلالات متناقضة:

- **من الناحية العلاجية:** يُعتقد أن الحناء تُساعد على تقوية الرغبة الجنسية وتخفف آلام الحيض. هذه الفوائد تُعزى لخصائصها الطبيعية التي قد تؤثر إيجاباً على الجسم.
- **من ناحية الاستخدامات السلبية:** كما ذكرنا سابقاً، يمكن أن تُستخدم الحناء في أعمال السحر للعروس أو العريس، خاصةً إذا وُضعت في مناسبات مثل الأعراس والختان والحفلات. هذا الجانب يُعكس الاعتقاد بأن بعض المواد الطبيعية قد تُستخدم في ممارسات ضارة إذا وقعت في الأيدي الخاطئة أو مع نوايا سيئة.

الحناء، إذًا، هي مادة ذات وجهين في بعض الثقافات؛ تُستخدم للزينة والعلاج، ولكن يُحذر من إمكانية استغلالها في ممارسات سحرية و سلبية.



الصورة رقم 7: الحناء

8/ الكركم: يساعد على تنشيط القدرة الجنسية.



صورة رقم 8: الكركم

9/ الجرجير: يستخدم كمقوي جنسي للرجال.



صورة رقم 9: الجرجير

10/ علك الصنوبر

علك الصنوبر هو مادة صمغية تُستخرج من أشجار الصنوبر، ويُعرف بفوائده في الطب الشعبي، خاصةً فيما يتعلق بصحة المرأة والرجل:

- لأمراض النساء: يُعتقد أنه يساعد على تنظيف الرحم، وغالبًا ما يُستخدم ضمن وصفات طبيعية مع أعشاب أخرى لتعزيز هذا التأثير.
- لصحة الرجل: يُساهم في تعزيز عمل الأعضاء التناسلية والصحة الجسدية للرجل، ويُعتبر مقويًا جنسيًا له.

يُستخدم علك الصنوبر لخصائصه المطهرة والمقوية، وقد يضيف قيمة علاجية للخلطات التي يدخل فيها



صورة رقم 10: علك الصنوبر

11/ الحلتيت: تستخدم في علاج أمراض النساء وهي أحد المكونات في خلطات الإنجاب.



صورة رقم 11: الحلتيت

12/ بونافع أو الدرياس

بونافع، أو ما يُعرف أيضًا بـ الدرياس، عشبة تُشتهر بفوائدها العديدة في الطب الشعبي، خصوصًا في علاج أمراض النساء.

طريقة الاستخدام والتحذيرات: تُخلط هذه العشبة عادةً مع زيت الزيتون، وذلك لسبب هام: يجب ألا تُلامس الجلد مباشرةً لأنها قد تُسبب ظهور الحبوب. لذا، من الضروري استخدام زيت الزيتون كحاجز

وقائي قبل لمسها أو تطبيقها على البشرة. يُعتقد أن خلطها بالزيت يُقلل من تأثيرها المهيج ويُمكن من الاستفادة من خصائصها العلاجية.



صورة رقم 12: عشبة بونافع.

13/ الكمون الأخضر: يستخدم ككمادات على الثديين و الخصيتين لإزالة التورم.



صورة رقم 13: الكمون الاخضر

14/ الحرمل

الحرمل عشبة معروفة في الطب الشعبي ولها استخدامات متعددة، خاصة في علاج بعض الأمراض وكمبخر في مواجهة الأعراض المرتبطة بالسحر:

- علاج الأمراض: يُعتقد أن الحرمل يُساهم في علاج الكثير من الأمراض، نظرًا لخصائصه الطبية التقليدية.
- استخدامه كبخور: يُستخدم الحرمل أيضًا كبخور للعلاج من أعراض السحر. يُنصح دائمًا بالتبخير به في فترة ما بعد العصر وحتى وقت المغرب.
- طريقة التبخير: يمكن أن يُبخر به الشخص نفسه مباشرة، أو يُبخر به المنزل بأكمله.
- لعلاج الضعف الجنسي: يُذكر الحرمل أيضًا في سياق علاج الضعف الجنسي عند الرجال، حيث يُعتقد أن استخدامه بالتبخير قد يكون له تأثير إيجابي في هذه الحالة.
- يُعتبر الحرمل من الأعشاب ذات الأهمية في الممارسات التقليدية المرتبطة بالشفاء الروحي والجسدي.



صورة رقم 14: الحرمل

- 15/ عشبة مريم، التي تُعرف أيضًا بـ الميرمية (Sage)، هي عشبة شهيرة ولها استخدامات واسعة في الطب التقليدي، خاصة فيما يتعلق بصحة المرأة:
- علاج الإفرازات وضعف المبايض: تُستخدم لعلاج الإفرازات الزائدة لدى المرأة، ويُعتقد أنها تساعد في تقوية المبايض الضعيفة.

- **تنظيم الهرمونات:** تعمل الميرمية على تنظيم الهرمونات في جسم المرأة، مما يجعلها مفيدة في حالات عدم التوازن الهرموني.
- **إعادة الدورة الشهرية:** تُساعد على إرجاع الدورة الشهرية للنساء اللواتي انقطعت عندهن، سواء بسبب اضطرابات هرمونية أو غيرها من الأسباب.
- بفضل خصائصها المحتملة في التأثير على الجهاز التناسلي الأنثوي والهرمونات، تُعد الميرمية عشبة ذات قيمة في العلاج الطبيعي.



صورة رقم 15: عشبة مريم

- 16/ **كف مريم:** هي عشبة معروفة بشكل خاص بفوائدها لصحة المرأة، وتُستخدم على نطاق واسع في الطب التقليدي لتنظيم الجهاز التناسلي الأنثوي.
- أبرز فوائدها:

- **تنشيط المبايض وتحفيز التبويض:** تُعرف بقدرتها على المساعدة في تحفيز عمل المبايض وبالتالي تعزيز عملية التبويض.
- **تنظيم الهرمونات:** تعمل على تنظيم الهرمونات، خاصة تلك المتعلقة بالدورة الشهرية والإنجاب.

• علاج اضطرابات الدورة الشهرية :تُستخدم بفعالية في معالجة مختلف اضطرابات الدورة الشهرية،

مثل عدم انتظامها، أو غيابها، أو الأعراض المصاحبة لها.

بشكل عام، تُعد كف مريم خيارًا طبيعيًا شائعًا لدعم الخصوبة والتوازن الهرموني لدى النساء.



صورة 16: كف مريم

17/ حبة حلاوة أو يانسون: هي بذور عطرية تُستخدم على نطاق واسع في الطهي والطب التقليدي،

وتُعرف بفوائدها المتعلقة بصحة المرأة تساعد على رفع هرمون الإستروجين و التخلص من التليفات و

الأورام الرحمية، بشكل عام، يُعتبر اليانسون مفيدًا في تخفيف بعض المشاكل الهرمونية وأعراض انقطاع

الطمث بفضل تأثيره المحتمل على مستويات الإستروجين.



صورة رقم 17: حبة حلاوة أو اليانسون

18/ الدغموس: هو نبات يُعرف في الطب الشعبي، ويُشاع استخدامه لعدة أغراض علاجية. تساعد في علاج تكيس المبايض.



الصورة رقم 18: الدغموس

19/ تفاحة آدم: تساعد على الإنجاب للمرأة.



صورة رقم 19: تفاحة آدم

20/ الدفلة: كما يقل عنها "واجرة ومسمومة" ولكنها تنفع في علاج أمراض النساء ولكن يجب أن تستخدم من طرف مختص لأنها سامة و قد تقتل إنسانا بالغاً فهي مهمة في علاج الأورام الرحم و الثدي.



الصورة رقم 20: عشبة الدفلة

21/ المرمرية: أو ما تُعرف أيضًا بـ "الميرمية"، هي نبتة عطرية ومتعددة الاستعمالات، وتُعتبر مفيدة للعديد من الأمراض والاضطرابات الصحية.

أبرز فوائدها واستخداماتها:

- علاج اضطرابات الدورة الشهرية: تُستخدم بشكل شائع لتخفيف وتنظيم اضطرابات الدورة الشهرية لدى النساء.

- مشاكل الجهاز التناسلي: تُفيد في معالجة بعض المشاكل المتعلقة بالجهاز التناسلي الأنثوي.

- طريقة التحضير والاستعمال: عادةً ما يتم وصفها كمشروب. تُتقّع أوراقها في الماء المغلي، ثم تُشرب حسب الأوقات التي يوصي بها المعالج أو حسب الحاجة.

تُعرف المرمرية بخصائصها المضادة للالتهاب والمضادة للأكسدة، وتأثيرها على توازن الهرمونات، مما يجعلها خيارًا شائعًا في الطب الشعبي و للمبحوثات خاصة فهي تدعم صحة المرأة بشكل خاص.



الصورة رقم 21: المرمرية

22/ عشبة الذكارة أو طلع النخل: عشبة الذكارة، أو ما يُعرف بشكل شائع بـ طلع النخل، هو اللقاح

الذكري لشجر النخيل، ويُعد مكونًا ذا قيمة في الطب الشعبي، خاصة فيما يتعلق بالخصوبة:

- **تنشيط المبايض**: تُستخدم في تنشيط المبايض لدى النساء.
 - **تكوين وتقوية البويضة**: تُساعد في تحسين تكوين البويضات وتقويتها، مما يزيد من فرص الإخصاب.
 - **علاج العقم**: تُعتبر طلع النخل من المكونات الأساسية في العديد من خلطات علاج العقم، سواء عند النساء أو الرجال، نظرًا لخصائصها المعززة للخصوبة.
- يُعتقد أن طلع النخل غني بالفيتامينات والمعادن والأحماض الأمينية التي تدعم الصحة الإنجابية.



الصورة رقم 22: طلع النخيل

23/ شبة نجمة الأرض: هي توابل شائعة تُستخدم أيضًا في الطب التقليدي لخصائصها العلاجية، خاصةً فيما يتعلق بصحة الجهاز التناسلي.

فوائدها واستخداماتها:

- إيقاف النزيف: تُستخدم للمساعدة في وقف النزيف، سواء كان داخليًا أو خارجيًا، في بعض الممارسات التقليدية.
- علاج اضطرابات والتهابات الجهاز التناسلي: تُفيد في معالجة الاضطرابات المختلفة والالتهابات التي قد تصيب الجهاز التناسلي.



الصورة رقم 23: نجمة الارض

24/ عشبة لقطف: عشبة تُعرف بفوائدها المتعددة لكل من الرجال والنساء، خاصة

فيما يتعلق بالصحة الإنجابية:

للرجال:

- تأخير القذف وعلاج الضعف الجنسي: تُستخدم للمساعدة في تأخير القذف وعلاج حالات الضعف الجنسي.

- زيادة عدد الحيوانات المنوية: يُعتقد أنها تساهم في زيادة إنتاج الحيوانات المنوية.

للنساء:

- تنشيط الدورة الدموية: تُساعد على تنشيط الدورة الدموية في الرحم والمهبل.
- تنظيم الدورة الشهرية: تُسهم في تنظيم الدورة الشهرية.
- علاج أمراض الرحم: تُعالج العديد من أمراض النساء المتعلقة بالرحم، مثل:

- تكيس المبايض: تُساهم في علاج تكيس المبايض.
- إذابة الألياف والأورام الحميدة: تُعتبر مذيبة للألياف الرحمية والأورام الحميدة.
- تخفيف آلام الدورة الشهرية: تُساعد على تخفيف آلام الدورة الشهرية.
- تنظيف الرحم: تعمل على تنظيف الرحم من بقايا الدورة الدموية، وتُساعد على نزول الدم الفاسد.



الصورة رقم 24: عشبة لقطف

25/ الكرفس : هو نبات يُستخدم على نطاق واسع كغذاء وله أيضًا فوائد طبية تقليدية:

- تخفيف آلام الدورة الشهرية: تُساعد عشبة الكرفس على التخفيف من آلام الدورة الشهرية لدى النساء.
- زيادة القدرة الجنسية: يُعتقد أنها تساهم في زيادة القدرة الجنسية.
- طريقة الاستخدام: تُشرب عادةً كشاي منقوع أو مغلي.



الصورة رقم 25: عشبة الكرفس

26/ الخولنجان: الذي يُعرف أحيانًا بـ "عود اللحم" في بعض المناطق، هو جذر نباتي يُستخدم على نطاق واسع في الطهي والطب التقليدي، ويُعرف بفوائده المتعددة لكل من الرجال والنساء، خاصة فيما يتعلق بالصحة الإنجابية:

للرجال:

- تأخير القذف وعلاج الضعف الجنسي: يُستخدم للمساعدة في تأخير القذف وعلاج حالات الضعف الجنسي.

- زيادة عدد الحيوانات المنوية: يُعتقد أنه يساهم في زيادة إنتاج الحيوانات المنوية وتحسين جودتها.

للنساء:

- تنشيط الدورة الدموية: يُساعد على تنشيط الدورة الدموية في الرحم والمهبل.

- تنظيم الدورة الشهرية: يُسهم في تنظيم الدورة الشهرية وعلاج اضطراباتها.

يُعد الخولجان من التوابل ذات الخصائص الطبية القوية، ويُستخدم لفوائده المحتملة في تعزيز الصحة الإنجابية بشكل عام.



الصورة رقم 26: الخولجان أو عود اللحم

27/ العسل: هو من المكونات الأساسية في العديد من الوصفات العلاجية، سواء كانت مخصصة للنساء أو الرجال.

يُعرف العسل بخصائصه المتعددة التي تجعله ليس مجرد مُحلي، بل مادة علاجية بحد ذاتها:

- **تقوية الجسم:** يُساهم في تقوية الجسم بفضل محتواه الغني بالسكريات الطبيعية، الفيتامينات، المعادن، ومضادات الأكسدة التي تمنح الطاقة وتدعم المناعة.
- **استعمالات متعددة:** له العديد من الاستعمالات تتراوح بين كونه مادة حافظة، ومضادًا للبكتيريا والالتهابات، ومُعززًا لامتصاص بعض الأعشاب الأخرى عند خلطه بها.
- **علاج الأمراض:** يُستخدم في علاج العديد من الأمراض، بدءًا من مشاكل الجهاز الهضمي والتهابات الحلق، وصولًا إلى دعم الشفاء من الجروح والحروق، بالإضافة إلى دوره في وصفات الخصوبة والعقم.

بشكل عام، يُعد العسل مادة طبيعية ذات قيمة غذائية وعلاجية عالية، وهو مكون أساسي في الطب التقليدي والوصفات الشعبية نظرًا لفوائده الشاملة.



الصورة رقم 27: العسل

28/ حبوب اللقاح: هي كرات صغيرة يجمعها النحل من أزهار النباتات، وتُعد غنية جدًا بالعناصر الغذائية المختلفة.

فوائدها واستخداماتها:

- علاج الضعف الجنسي للرجال: تُستخدم بشكل شائع في الطب الشعبي والبدل للمساعدة في علاج الضعف الجنسي لدى الرجال، حيث يُعتقد أنها تحسّن من جودة الحيوانات المنوية وتُعزز القدرة الجنسية.

- استخدامها للنساء: يمكن أن تُستعمل أيضًا للنساء، حيث تُفيد في دعم الصحة الإنجابية بشكل عام، تنظيم الهرمونات، وتوفير التغذية اللازمة للجسم.
- تُعتبر حبوب اللقاح مكملًا غذائيًا طبيعيًا قويًا يُساهم في تعزيز الصحة العامة والخصوبة لكلا الجنسين.

الإستنتاج العام

تُقدم هذه الدراسة الميدانية نظرة على طرق علاج العقم، مع التركيز على الممارسات العلاجية الشعبية الشائعة مثل التداوي بالأعشاب، والعلاج الروحاني، والرقية الشرعية بالقرآن الكريم، والحجامة. باستخدام منهج أنثروبولوجي وأدوات بحثية مناسبة، توصلت الدراسة إلى النتائج العامة التالية:

- **خبرة المعالجين الشعبيين وعمرهم:** غالبًا ما يكون ممارسو العلاج الشعبي من كبار السن، حيث تتراوح أعمارهم بين 50 و70 عامًا. يُشير هذا إلى الخبرة والمعرفة المتراكمة لديهم. بالإضافة إلى ذلك، يتمتع هؤلاء المعالجون بصحة جيدة مقارنة بغيرهم.
- **مصادر الخبرة:** تتنوع مصادر خبرة المعالجين الشعبيين بين الوراثة والاكتساب، لوحظ أن المهن العلاجية الشعبية قد تكون حكرًا على عائلات معينة، مما يدل على كونها ممارسة وراثية تنتقل عبر الأجيال.
- **أسلوب العلاج:** يقدم المعالج الشعبي علاجه بأسلوب مرن ومُبَسَّط يلقي قبولًا من المرضى وذويهم، مما يجنبهم الشعور بالاغتراب. يعتمد العلاج الشعبي على طرق غير معقدة وسهلة التطبيق، خاصة فيما يتعلق بالعقم، حيث يكون العلاج غالبًا عن طريق وصفات تُؤكل في أوقات محددة.
- **تخصصات المعالجين ومهاراتهم:** تتطلب ممارسة العلاج الشعبي خبرة ومهارة، قد تُكتسب بالوراثة من أحد الأقارب أو بالتحصيل الذاتي والدورات التدريبية. يشمل العلاج الشعبي أنماطًا عديدة من التخصصات؛ فقد يشتهر معالج معين في نمط علاجي دون غيره، فهناك من يتخصص في الكي، وآخر في الحجامة، وآخر في الرقية الشرعية، وآخر في العلاج الروحاني، وآخر في العلاج بالأعشاب. كل هذه التخصصات تتطلب خبرة وتجربة طويلة.

الاستنتاج العام

• شهرة المعالجات الشعبية: تتفاوت شهرة المعالجات الشعبية. فبعضهم تتجاوز شهرته حدود المنطقة المحلية، وقد تصل أحياناً إلى مجتمعات مجاورة.

• علاج العقم بالأعشاب: يتم علاج العقم بالأعشاب الطبيعية بإحدى طريقتين:

◦ خلطات مسحوقة: تُصنع من مجموعة من النباتات التي تساعد على الإنجاب، وتُخلط إما مع العسل أو الحليب أو الماء.

◦ مشروبات أو تحاميل: يتم تناولها كشراب، أو استخدامها كتحاميل خاصة بالمرأة. تُتناول هذه الخلطات عادةً في الصباح على معدة خاوية أو في الليل، وبعضها يُؤكل قبل الدورة الشهرية، أو أثناءها، أو بعدها.

• الممارسات العلاجية السحرية: تخضع الممارسات العلاجية السحرية لقواعد وشروط يجب اتباعها، مثل تحديد الزمان والمكان، وتتطلب القيام ببعض الطقوس لضمان نجاحها.

أما في ما يخص الرقية الشرعية في كل الأوقات ولكن تتطلب طهارة المرأة وكذا الحمامة فهي لا تربط بوقت معين لكن في بعض الأحيان ينصح بها مرة كل شهر .

الرقية الشرعية والحمامة: يمكن أداء الرقية الشرعية في أي وقت، لكنها تتطلب طهارة المرأة. أما الحمامة، فلا ترتبط بوقت محدد، لكن يُنصح بها أحياناً مرة واحدة شهرياً.

اللجوء إلى السحر (غير المعترف به علناً): يُعد اللجوء إلى السحر أمراً واقعاً، لكنه غالباً لا يُعترف به صراحةً. حتى لو تم الإقرار به، فإنه يُذكر بطرق أكثر قبولاً، كالحاجة إلى العلاج لا إلحاق الضرر بالآخرين. تُجبر المرأة على اللجوء إلى مثل هذه الممارسات بسبب الضغوط الأسرية والمجتمعية

الاستنتاج العام

والتساؤلات المتكررة حول الإنجاب. قد تهرب من سحر إلى سحر آخر، أو حتى تمارس طقوسًا غريبة بدافع الإنجاب.

انتشار العلاج الشعبي وتنوعه: أكدت الدراسة الميدانية أن العلاج الشعبي واسع الانتشار ومتنوع الممارسة في مجتمع الدراسة، ويلجأ إليه أفراد من كافة الأعمار والمستويات الاجتماعية والتعليمية.

مقارنة الطب الشعبي بالطب الرسمي:

• تجاهل السياق الاجتماعي والثقافي: يغلب على الطب الرسمي تجاهل السياق الاجتماعي والثقافي للمرضى.

• صعوبة الوصول والتكاليف: غالبًا ما تكون الخدمات الصحية الرسمية صعبة الحصول عليها وباهظة الثمن، وغير متوفرة بالقدر الكافي. فعلى سبيل المثال، علاج العقم بالطرق الحديثة متاح في ولايات معينة فقط مثل قسنطينة والجزائر العاصمة.

• طول إجراءات التشخيص والآثار الجانبية: تتميز إجراءات التشخيص في الطب الرسمي بالكثرة (مثل الإشعاعات والتحاليل والفحوصات) وتستغرق وقتًا أطول. كما توجد آثار جانبية لبعض الأدوية الحديثة، والتي قد يفوق ثمنها قدرة المريض.

• غياب الجانب الإنساني: يرى البعض أن الطب الحديث يفتقر إلى مراعاة الاعتبارات الإنسانية من نجدة ورحمة، مما يفقده صفته الإنسانية ويزعزع ثقة الأفراد فيه. يقتصر الطب الرسمي على تقديم الخدمة الصحية دون مراعاة للخلفيات الاجتماعية والثقافية أو الحالة النفسية للمريض.

• بطء الشفاء واستعصاء بعض الأمراض: يدفع بطء الشفاء واستعصاء بعض الأمراض (مثل العقم، السحر، المس) على العلاج الطبي الحديث الأفراد إلى اللجوء للعلاج الشعبي.

الاستنتاج العام

• **قلة التكاليف:** العلاج الشعبي غالبًا ما يكون أقل تكلفة بكثير مقارنة بالتكاليف الباهظة للطب

الحديث الذي أصبح سلعة باهظة يحصل عليها ذوو الدخل المرتفع.

التعايش مع الطب الشعبي: رغم الاتصال الدائم للأفراد بالطب الحديث وتوفر الخدمات الصحية

الرسمية في الجزائر، فإنهم لا يزالون يتعاملون مع العلاج الشعبي. لا يقتصر العلاج على مصدر واحد،

بل يشمل ممارسات متعددة مثل العلاج بالأولياء، أو بالطب السحري، أو العلاج بالأعشاب، أو الوصفات

المنزلية، وغيرها من الطقوس الشعبية.

دوافع اللجوء إلى العلاج الشعبي بناءً على ما أكدّه أفراد مجتمع الدراسة الميدانية، يمكن إيجاز الدوافع

الرئيسية وراء اللجوء إلى العلاج الشعبي فيما يلي:

• **الثقة الأسرية والمجتمعية:** يرتكز العلاج الشعبي في عائلات معينة يحظى أفرادها بالثقة

والاحترام في المجتمع.

• **قصور الطب الرسمي:** يعود السبب أيضًا إلى قصور خدمات العلاج الرسمي، وعجزها أحيانًا

عن معالجة حالات العقم مجهولة السبب.

• **سهولة الوصول والتوفر:** يتميز العلاج الشعبي بتيسر الحصول عليه في أي وقت وأي مكان،

حتى لو كانت المسافة بعيدة بين المعالج والمريض.

• **تعدد الخيارات العلاجية:** يتوفر أكثر من معالج في مختلف الممارسات العلاجية، مما يمنح

الأمل؛ فإذا فشل أحدهم، قد ينجح الآخر في تقديم العلاج.

• **البساطة والمرونة:** تتميز الممارسات العلاجية الشعبية بسهولة وبساطتها.

الاستنتاج العام

• مراعاة الجوانب الإنسانية: يراعي المعالج الشعبي الخلفيات الاجتماعية والثقافية والنفسية للمريض.

• عدم وجود مضاعفات: يُعتقد أن الأدوية الشعبية، كالأعشاب، لا تسبب مضاعفات؛ فإذا لم تنفع، فإنها لا تضر.

• الثقة في النتائج: هناك ثقة كبيرة في العلاج الشعبي بحكم وجود العديد من الحالات التي شُفيت عن طريقه.

سعي المرأة للعلاج: لم تترك المرأة طريقًا لعلاج العقم إلا وسلكته. فقد لجأت إلى محيطها العائلي طلبًا للنصح والإرشاد، ثم توجهت إلى الطب الرسمي، وبعد ذلك إلى المتخصصين في علاج العقم بالطرق الشعبية. هذه الطرق تشمل العلاج بالأعشاب والمنتجات الحيوانية، والممارسات اليدوية، وكذلك العلاج الغيبي وما يحتويه من أحبة وتعويزات، بالإضافة إلى الرقية الدينية والحجامة.

انتشار العلاج الشعبي ودلالاته: إن كثرة الممارسات العلاجية الشعبية وتنوعها وانتشارها يدل على حرص المجتمع على توفير أسباب الخصوبة والسعي لعلاج المرأة وتمكينها من الإنجاب.

اللجوء إلى الطقوس السحرية: تلجأ المرأة أحيانًا إلى ممارسة طقوس سحرية يعتقد أن فيها حلًا لمشكلة العقم، حيث تظهر الحلول السحرية عندما تنعدم التفسيرات والأسباب العلمية.

تأثير العادات والمعتقدات: منذ ميلادها، تخضع المرأة وتحيط بها مجموعة من العادات والمعتقدات التي تحمل معها مجموعة من الممارسات والطقوس التي تُمارس عليها في مختلف مراحلها العمرية: الميلاد، البلوغ، الزواج، والولادة.

خاتمة

الخاتمة

تُقدم هذه الدراسة محاولة لاستكشاف طرق العلاج الشعبية للعقم ضمن المعتقدات السائدة في مدينة تبسة، الجزائر. على الرغم من التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده عصرنا في مختلف نواحي الحياة، بما في ذلك الطب الحديث وعلاج العقم والإنجاب، إلا أن المعتقدات الشعبية لا تزال حاضرة بقوة في حياة الأفراد، سواء فيما يخص أسباب الإصابة بالأمراض أو طرق الوقاية منها.

إن موضوع المعتقدات الشعبية واسع ومتشعب، وقد ركزت هذه الدراسة على طرق علاج العقم في الطب الشعبي. فعلى الرغم من أن الطب الحديث بلغ ذروته في التطور العلمي والتكنولوجي في علاج العقم لكلا الجنسين، إلا أن الممارسات والطقوس الشعبية العلاجية لا تزال تُمارس من قبل أفراد المجتمع، سواء كانت طبيعية (عن طريق الأعشاب) أو سحرية. يعود ذلك إلى أن الطب الشعبي، بأبعاده التقليدية، ما زال منغمساً في الذات الثقافية للمجتمع والفرد.

تؤكد نتائج الدراسة الميدانية أن الكثير ممن يعانون من العقم يترددون على كلا النوعين من العلاج الحديث والشعبي. هذا يُثبت استمرارية الطب الشعبي في العلاجات المختلفة، وعلى وجه الخصوص علاج العقم. فقلما تخلو مدينة أو قرية من ممارسات الطب الشعبي، كما أنه يُمثل حقلاً تعمل فيه المرجعيات الدينية، الثقافية، وحتى النفسية. فالمعتقدات الشعبية والممارسات الثقافية المتعلقة بالعقم هي جزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية لهذه المجتمعات.

من خلال هذه الدراسة، تمكنا من الإجابة عن التساؤلات المطروحة بالتوصل إلى أهم طرق علاج العقم في مجتمع الدراسة، والتعرف على أسباب ودوافع اللجوء إلى الطب الشعبي، وكذلك مختلف المعتقدات المرتبطة بالعقم. وبذلك، حققنا الهدف العام من هذا البحث، ولكن نهاية هذا البحث ما هي إلا بداية جديدة لبحث آخر في هذا المجال.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

المعجم و القواميس

- (1) ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، المجلد الثاني، بيروت.
- (2) معجم العلوم الإجتماعية ، إعداد نخبة من الأساتذة ، مراجعة، إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
- (3) المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،دار الشروق ،لبنان. 2013
- (4) المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، بيروت، ط48، 2004.

الكتاب

- (5) ابتسام علام وآخرون، الصحة والبيئة، دراسات إجتماعية أنثربولوجية، ط1، 2001.
- (6) إحسان محمد الحسن، الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- (7) أبراهيم عبد الهادي المليجي، الممارسة المهنية في المجال الطبي والتأهيلي، المكتب العلمي، مصر، 1997.
- (8) أبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط /تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- (9) ابن خلدون ،المقدمة، دار الفكر، لبنان.
- (10) أبو الفداء محمد عزت محمد عارف، أسرار العلاج بالحجامة والفصد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع و التصدير، القاهرة، 2003.

- (11) أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006
- (12) أحمد محمود خليل الخاروف، إكتساح السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم والضرب بالرمل، دار الفرقان، عمان، 1990.
- (13) إيكه هولكترناس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلوكور، ترجمة: محمد الجوهري و حسن الشامي، دار المعارف، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، مصر، 1972
- (14) إعراب مصطفى، المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، دار الحرف للنشر والتوزيع، دار البيضاء، ط1، 2007.
- (15) أليس إسكندر بشاي، الإتجاهات الحديثة في دراسة الطب الشعبي التقليدي، ترجمة محمود الجوهري و زملائه، دار المسيرة، عمان، 2009 .
- (16) أوين ديفيز، السحر ت: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداي، 2018.
- (17) ايمن الحسيني، موسوعة الطب الشعبي والعلاج البديل، دار الطلائع للنشر والتوزيع، مصر .
- (18) بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، دار الكتاب المصري، مصر، ط1، 1986.
- (19) بطرس البستاني، قطر المحيط، ج 2 ، مكتبة لبنان، دط، دت.
- (20) بوزيدة عبد الرحمن وآخرون، قاموس الأساطير الجزائري، المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا.

(21) بولحبيب حميد، مدخل إلى الأدب الشعبي (مقاربة أنثربولوجية)، دار الحكمة، الجزائر، 2009.

(22) بيار بونت وميشال إيزار وآخرون، معجم الإثنولوجيا والأنثربولوجيا، دار مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2011.

(23) جبرة صابر، تاريخ العقاقير والعلاج، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

(24) جمال فزة، المنهجية الأنثربولوجية بين إدوارد فستر مارك وإيفانز بريشارد، دار الامان، المغرب، 2013.

(25) جيامبيتور وجوبو، لإجراء البحث الاثنوغرافي، ترجمة محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، ط1، مصر، 2014.

(26) خلود السباعي، الجسد الانثوي وهوية الحندر، جداول للنشر و التوزيع، ط1، لبنان، 2011.

(27) الجوهري محمد، أنثروبوجيا نظرية وتطبيقات علمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990.

(28) حسام أحمد توفيق، الطب البديل للعلاج الطبيعي لحل المشكلات الصحية اليومية، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن، 2004.

(29) حمد عيساوي، مدينة تنبسة وأعلامها، بوابة الشرق ورؤية العروبة وأريج الحضارات، دار السلام، 2005.

(30) الماحدي خزعل، بخور الالهة، الاهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1. 1998.

(31) الخشاب أحمد، دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1975.

(32) خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة النشر والتوزيع ، لبنان، ط1،

(33) الخولي حسن، الريف والمدينة في المجتمعات العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية القاهرة ، مصر.

(34) دينكل ميشل، مجسم علم الاجتماع، تر: غحسان محمد الحسن، دار الطليعة بيروت، ط2، 1986.

(35) ربحي مصطفى العليان، عثمان محمد غنيم: مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيقي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

(36) زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الديني، دار العريب للطباعة، مصر.

(37) الساسي محمد الضيفاوي، ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014،.

(38) السيد حافظ الاسود، الانثروبولوجيا الرمزية دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 2002.

(39) سامية حسن الساعاتي، الناس والسحر بحث في علم الاجتماع الغيبي، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

- (40) سعاد عثمان، نجوى عبد الحميد سواس، فوزي عبد الرحمان، الصحة والمرض وجهة نظر علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.
- (41) سرير إلهام توظيف التراث في الرواية الجزائرية، دراسة لهجية، تلمسان 2001.
- (42) سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1962.
- (43) شارلوت سيمور شميث، موسوعة علم الإنسان، تر مجموعة من المترجمين، دط، دت.
- (44) شاكرا مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981.
- (45) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي (بابن القيم الجوزية)، الطب النبوي، دار الفكر .
- (46) شارلين هس بيير، باتريشيا لفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2001.
- (47) شوقي عبد الحاكيم، الفولكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 2198.
- (48) شفيق محمد، البحث العلمي و الخطوات المنهجية لاعداد البحوث الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1993.
- (49) صاموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية، تر صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1983.
- (50) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر في عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين 814ق.م، 1962، دار العلوم ، الجزائر، 2002

- (51) طارق السيد، أساسيات في علم الاجتماع الطبي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دج، دط، 2007 .
- (52) طلعت إبراهيم لطفي، أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1995.
- (53) عبد الرحمن البدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.
- (54) عمر رضا كحالة، المرأة في القديم والحديث، ج1، مؤسسة الرسالة، سورية ط1، 1979.
- (55) عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1 2006.
- (56) عبيدات ذوفان وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط6.
- (57) عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.
- (58) عبد الهادي الجوهري، قاموس علم إجتماع، المكتب الجامعي الحديث، 2 ، الإسكندرية، 1998.
- (59) علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

(60) على خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة لطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

(61) عمر سليمان الأشقر، عالم السحر والشعوذة، دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط3، الأردن، 1998.

(62) عمر وعبد الرحيم سعيد، عالم العطار، دار الهداية، بيروت، 1991 .

(63) غوتاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، ط1، مصر، 1984.

(64) غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، تر: نبيل أبو صعب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2014.

(65) فراس السواح ، دين الإنسان، دارعلاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 2002.

(66) فراس السواح، الأسطورة والمعني، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 2001.

(67) فتحة محمد أبراهيم ومصطفى حمدي لشنواني، مدخل الى مناهج البحث في علم الانسان، الانثروبولوجيا، دار المريخ للنشر، السعودية، 1988.

(68) فيليب لابورت تولرا وجان بيار فارنييه، إثنولوجيا انثروبولوجب، ت: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2004.

(69) قدري الشيخ علي وآخرون، علم الإجتماع الطبي، مكتبة المجتمع العربي، ط1، الإسكندرية، 2008.

- (70) الماجدي خزعل، بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998.
- (71) محمد ابراهيم عباس، الأنثروبولوجيا الطبية الثقافات والمعتقدات الشعبية، ج1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1992.
- (72) محمد احمد عيسي، العلاج بالحجامة وكاسات الهواء، دار الغد الجديد، مصر، ط1، 2003.
- (73) محمد الجواهري، الدراسة العلمية لمعتقدات، ج1، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1، 1978.
- (74) محمد الجواهري، علم الفلكلور الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة،:، 1978 .
- (75) محمد السويدي، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1991.
- (76) محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، الجزء2، دار ابن الجوزي.
- (77) محمد حسن الحاج، طب الأعشاب تراث وعلم، دار القلم العربي، ط2، 2004.
- (78) محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، دط، دت.
- (79) محمد رفعت، الموسوعة الصحية للعلاج بالأعشاب قديما وحديثا، مؤسسة عز الدين، القاهرة.

(80) محمد عبد الفتاح المهدي، الصحة النفسية للمرأة قصص واقعية من العيادة النفسية، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، 2008.

(81) محمد عبده محجوب، الإتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات ، الكويت.

(82) محمد محمود الجوهري و آخرون، علم الإجتماع الطبي، دار المسيرة، الأردن، 2009 .

(83) محمود السيد أبو النيل، الامراض السيكوسوماتية، دار النهضة العربية، بيروت، 1994 ط2.

(84) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة المصرية، مصر، الجزء 2، 1988.

(85) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي، ط9، لبنان، 2005.

(86) منسي محمود عبد الحليم، مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2000.

(87) موسي الخطيب، موسوعة المرأة الصحية الأمراض والأسباب والوقاية والعلاج بالوصفات والبدائل الطبيعية، دار المعارف ،القاهرة، 2006.

(88) نجلاء عاطف خليل، في علم الإجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الانجلوا المصرية ، 2006.

(89) نخبة من أساتذة الجامعات في العالم العربي، طب المجتمع، ص 153.

(90) يوهان كوتسينغا، ديناميكية اللعب، تر: صديق محمد جوهر، هيئة أو بي للتراث، ط1،
2012.

(91) كاترين كوليتيلين، ماكس فيبر والتاريخ، ت، جورج كتورة، مجد المؤسسة الجامعية
للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، لبنان، 1994.

المراجع الاجنبية

- 1) Mauss Marcel ،sociologie et anthropologie. Introduction de Claude Levi Strauss.7édition.Paris.France.1997.
- 2) Freud Sigmund, Totem et Tabou, petite Bibliothèque. Paris. France.
1968,
- 3) Sillamy N, Dictionnaire de psychologie, Paris : Bordas1980,
- 4) Good Byron, Comment faire de l'anthropologie médicale ? Médecine,
Rationalité et vécu, le Plessis
- 5) Robinson Institut Synthélabo, coll Les empêcheurs de penser en
rond،1998,
- 6) Carbonelle Sylvie, La santé, la maladie comme représentation,
Bruxelle2006.
- 7) Eleanor Bowens, The anthropology of health, Saint Louis, the C.V
Mosby Company. 1987

- 8) George Foster, Medical Anthropology, New York, 1978
- 9) Amdé Dmart, et jack Bournef, petit Larousse de la médecine, Tome2, Librairie Larousse ; paris 1976
- 10) Sillamy, Norber, Dictionnaire de la psychologie, Larousse, Paris, 1980
- 11) Zerdoumi Nafissa, Enfant d'hier d'éducation de l'enfant on milieu Traditionnel, algérien ED Maspor, paris ,1979
- 12) Stoezel. J "Le malade, la maladie et médecin ; esquisse d'une analyse Psychosociale,« editionjacquegandini, paris.
- 13) Edward Westermarck, Survivances parentales dans la civilisation mahométaine .Ed payot. Paris.1935.
- 14) Abdmouleh Riadh, Conduites face aux maladies et aux médecines en Tunisie.
- 15) Doctorat de l'école des hautes études en sociales, Sous-direction de M.Matalon Benjamin, paris, 1990.
- 16) Mathéa Gaudr. la femme Chaouia de l'Aouaés. Ed. Chibah. Awal. 1998.
- 17) James Frazer. le rameau d'or de robert laffont. paris 1981. p41.

- 18) Gharbi Ikbal, La représentation de la maladie et de la santé et la médecine Traditionnelle
- 19) Chez la communauté tunisienne en France, thèse en anthropologie, Université De Paris v, 1991.
- 20) Renée Claisse Dauchy, Médecin traditionnelle du maghreb, Edition l'armattan, paris, 1996.
- 21) Sebai Mohamed ; Boudali Mohamed, La phytothérapie entre la méfiance et La confiance, Institut De formations paramé
- 22) Dicales CHETTIA, Algérie, promotion 2009–2012.
- 23) Gharbi Ikbal, La représentation de la maladie et de la santé et la médecine traditionnelle chez la communauté tunisienne en France, thèse en anthropologie, Université de Paris v ,1991
- 24) Jean Claude Combessie:La méthode en sociologie, la découverte, 5^{ème} édition, Paris, 1996,
- 25) Angers Maurice, Initiation pratique a la Méthodologie des sciences, Casbah université, Alger, 1997.

الرسائل الجامعية

- (26) جديجة لبيهي، المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2015/2014.
- (27) سارة علاء عبد الهادي، العقم لدى النساء، مذكرة مقجمة لنيل شهادة البكلوريوس في العلوم، جامعة بابل.
- (28) بلقاضي محمد، الطب النبوي في الممارسة العلاجية الشعبية - أحواز تلمسان أنموذجا- مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2013، 2014،
- (29) بن عروس حياة، الطب البديل في المجتمع الجزائري بين الطب الشعبي والطب الحديث، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، 2015، 2014.
- (30) فريد نصر الله، التطور السياسي والعسكري والتنظيمي للثورة التحريرية بمنطقة تبسة 1954-1958، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2015-2016 .
- (31) هنية عوينات، المعتقدات الشعبية في الأطفال، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، 2015، 2014.
- (32) لطرش أمينة، الأعشاب الطبية ممارسات وتطورات مقارنة أنثربولوجية بقسنطينة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم علم الاجتماع ، جامعة قسنطينة، 2012 - 2011 .

(33) لبقع زينب، تمثلات الصحة والمرض والممارسة التطبيقية في المجتمع الجزائري الحالي، دراسة ميدانية بولاية الأغواط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع والديناميكيات الاجتماعية في المجتمع، 2011، 2012.

(34) سعيدة شين، التصورات الاجتماعية للطب الشعبي -دراسة ميدانية في منطقة الزيبان- أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه العلوم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، 2014/2015.

(35) أرزازي محمد، تمثلات المجتمع لظاهرة عقم المرأة، قسم العلوم الإنسانية، المدرسة العليا للعلوم التطبيقية، تلمسان.

(36) الطاهر براهيم: العقم بين الطب الشعبي والطب الرسمي في المجتمع الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2015، 2016.

(37) رشيدة سبتي، وضعية ومكانة الحسد العقيم في المجتمع الجزائري - دراسة وصفية تحليلية لعينة من الأزواج العقيمين - أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2007، 2008..

(38) جهيدة بن سديرة، أثر العقم على صورة الذات لدى المرأة العقيمة، مذكرة ماستر علم النفس العيادي، جامعة بسكرة، 2013.

(39) سارة مداس، العقم والإنجاب في الثقافة الشعبية - دراسة أنثروبولوجية في منطقة سيدي خالد نموذجاً(بسكرة)، مذكرة ماستر، جامعة محمد خضير بسكرة، 2020.

(40) أمين فيصل قويسمي، ظاهرة إنتشار طب الأعشاب في الوسط الحضري دراسة ميدانية

لمدينة _ الجزائر_، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة

الجزائر 2، 2015/2014.

(41) شهرزاد موسي، الأمراض النسائية وإستجابة النساء المصابات للمرض دراسة ميدانية

بمصلحة أمراض النساء والتوليد بمستشفى اسعد حساني بني مسوس - الجزائر - ، رسالة لنيل

شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2007.

(42) قاسم هاجر، نايلي مروة، مدى فاعلية إستخدام حبوب طلع النخيل (Phoenix

dactyliferaL) في علاج بعض حالات العقم عند النساء، مذكرة تخرج ماستر، جامعة الإخوة

منتوري قسنطينية 2020، 2021.

(43) بحطيطة محمد الامين، وظيفة الحجامة في التقارب بين العلاج التقليدي و العلاج

الطبي - دراسة أنثروبولوجية لممارسة العلاج بالحجامة في منطقتي مستغانم و غليزان -، مذكرة

لنيل شهادة الماحستير، كلية العلوم الإجتماعية، 2014، 2015.

المجلات

(44) منظمة الصحة العالمية، إستراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب الشعبي، سويسرا،

2005_2002.

(45) بن عاشور الزهوة ، ممارسة السحر والشعوذة في المجتمع الجزائري، مجلة أفاق لعلم

الإجتماع، العدد 1، المجلد 4، 2014.

- (46) أميس إبراهيم نعيم دنيان عبيد، السحر و العرافة في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري، مجلة كلية التربية، عدد خاص .
- (47) سيد أحمد عبد الحكيم خليل، أثر المعتقدات الشعبية في التنشئة الاجتماعية للأطفال، مجلة الثقافة والتنمية، العدد 64، 2013،
- (48) عبد الحميد عبد الواحد، معتقدات شعبية في الطب، مجلة التراث الشعبي، العدد 10، العراق، 1980.
- (49) مختار زحاب، الصحة والمرض وعلاقتها بالنسق الثقافي للمجتمع مقارنة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 15، 2014.
- (50) عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي في الأسواق داسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد 23، 2009.
- (51) عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي من منظور أطباء الطب الحديث، مجلة دراسات موصلية، العدد 18، 2007.
- (52) خلايفية سلوى، بن فرحات فتيحة علاج الأطفال بممارسات الطب الشعبي دراسة ميدانية ولاية تبسة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019.
- (53) يوسف بلقاسي، الممارسات العلاجية الشعبية بمنطقة دكالة المغرب دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 3، العدد 9.

- (54) بلشير عبد الرزاق، بدير محمد، الطب الشعبي التقليدي بين آلية الممارسة الوظيفية وتأسيس لمبدأ الهوية الثقافية دراسة في أصول الممارسات العلاجية التقليدية في المجتمع الجزائري، مجلة التراث والتصميم، المجلد 1، العدد 1.
- (55) بوسليمان حياة، المعالم الاثرية والتاريخ لمدينة تبسة- دراسة تاريخية وصفية- ، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 02.
- (56) زياد طارق حمودي نجم، مشكلة العقم وعدم الإخصاب (دراسة فقهية طبية)، مجلة الجامعة العراقية، العدد 48، الجزء 2.
- (57) اسيا عطار، التوافق الزوجي لدى المرأة المصابة بالعقم العضوي الأولي، مجلة تاريخ العلوم، العدد 10، 2017.
- (58) أميرة وحيد خطاب، آثار العقم الإجتماعية والإقتصادية على المرأة دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد 63، 2012.
- (59) رشيدة سبتي، تأثير العقم على الأزواج من الناحية النفسية نظرة تحليلية للأسباب والآثار النفسية للعقم على المرأة والرجل، مجلة تطوير العلوم الإجتماعية ، العدد 4، 2012.
- (60) عبد العزيز إمام محمود أحمد، أنواع العرافة وطرقها عند شيشرون قراءة في الكتاب الأول من محاورة " عن العرافة De Divinatione"، أوراق كلاسيكية، العدد 18، 2021 .
- (61) عبد القادر سدي عابد، التصورات الإجتماعية للعلاج لدى المصابين بالسكر (مقارنة نفس-أنثروبولوجية)، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، المجلد 14، العدد 2.

(62) صباح قاسم سعيد الرفاعي، وهم الإصابة بالعين والسحر والهروب من الواقع" دراسة

سيكولوجية لدى عينة من النساء السعدويات"، مجلة البحث العلمي في التربية، العدد 19،

2018

(63) عبد القادر سيدي عابد، التصورات الاجتماعية للعلاج لدى المصابين بالسحر (مقاربة

نفس-أنثربولوجيا)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 14، العدد 02،

ص151

(64) لحسن آيت الفقيه، النباتات والطقوس السحرية بجبال الأطلس الكبير الشرقي، دراسات

في التاريخ و التراث ولغات ، حوار التمدن، العدد 349، 2012.

(65) دعد عصام محمد، هدي عبد الله طاهر، علاج أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي من

كتاب كامل الصناعة الطبية الضرورية (المعروف بللكي) لعلي بن العباس المجوسي)

ت384هـ/994م)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، 2013.

(66) بن عاشور زهرة ، ممارسة السحر و الشعوذة في المجتمع الجزائري، ملجلة آفاق علم

الاجتماع، 2014.

(67) العماري الطيب، العلاج بالرقية وعلاقته بالصحة الدنية الإسلامية مقاربة أنثربولوجية،

مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثاني، 2011.

(68) عبد الحق حميش، العلاج بالقران الكريم، حقيقته، أهميته، حكمه، وضوابطه، مجلة

الشريعة و الدراسات الإسلامية، العدد 9، 2007.

(69) حلیم عزاز، الحجامه- الطب البديل في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 43.

(70) فاروق بولبير، عبد الله كبار، الطبيب الشعبي ذهنية و معتقد وممارسة أجيال بالمجتمع الجزائري- دراسة أنثروبولوجية- مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 8، العدد 1، 2022.

(71) عبد المجيد بوناب، تجارة الدواء في الجزائر بين جهل المستهلكين و ضمير المعنيين، مجلة العلم و الإيمان، العدد 5، مؤسسة المعالي للنشر و الإعلام، الجزائر، 2007.

(72) سيدي عابد عبد القادر، التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح مقارنة سيكو_أنثروبولوجية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

(73) المواقع الإلكترونية

(74) الموقع على الساعة 05:55، يوم 2024/02/24.

<https://www.youm7.com/story/2019/12/27/>

(75) الموقع على الساعة 05:00، /، 2024/02/42.

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=276229>

(76) موقع السحر والخطاب في المغرب الراهن:

<https://www.aslim.org/?p=1764>

(77) <https://www.elkhabar.com/>

الله لا إله إلا الله

الملحق رقم 01: دليل المقابلة.

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

علاج العقم في المعتقدات الشعبية في الجزائر

دراسة ميدانية "تبسة أنموذجا"

تحت إشراف الأستاذة:

معمرى جميلة

من إعداد الطالبة:

بديار مريم

تهدف هذه المقابلة إلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول موضوع الدراسة راجين من شخصكم

الكريم أن تتفضلوا بالإجابة على المحاور .

كما أحيطكم علما بأن إجاباتكم ستحظى بالسرية التامة ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي.

السنة الجامعية:

2024/2023

السلام عليكم ورحمة الله.

معكم طالبة الدكتوراه تخصص الأنثروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية ، في صدد التحضير لدكتوراه لـ

م-د، في موضوع "علاج العقم في المعتقدات الشعبية في الجزائري دراسة ميدانية " تبسة أنموذجا"

وبناء على هذا لدينا هذا الدليل الذي يحوي بعض الأسئلة التي سنطرحها عليكم بهدف الحصول على

المعلومات التي تساعدنا للوصول إلى هدفنا من هذا البحث.

نرجو من حضرتكم الإجابة على هذه المحاور ونؤكد إلتزامنا بسرية المعطيات التي لن توظف إلا في

إطار منهجي وعلمي.

تقبلوا منا فائق التقدير على تعاونكم وقبولكم مشاركتنا لبحثنا الذي فيه صالح للعام.

شكرا مسبقا

بيانات شخصية:

 متو ابتدائي المستوى التعليمي: أمي

جامعي

مكان الإقامة :

المدينة

الريف

 السن عند الزواج : مدة عدم الإنجاب:

المحور الأول : الطقوس والممارسات المتعلقة بالزواج

1/ هل هناك عادات أو تقاليد تمارس قبل الزواج من أجل حماية البنت بسرعة؟

.....

2/ ماهي الممارسات المتعلقة بالزواج ؟

.....

3/ ماهي الممارسات المتعلقة بالأيام الأولى بعد الزواج؟ .

.....

المحور الثاني: العقم

1/ متى بدئتم في العلاج

السنة الأولى

السنة الثانية

السنة الثالثة

2/ من بدءاء بالعلاج أولا ؟

الزوجة

الزوج

4/ هل بدئتم العلاج بالطب

الحديث

الشعبي

معا

/ ماهو شعورك عندما تأخر الإنجاب

.....

.....

المحور الثاني: العلاج بالأعشاب والخلطات.

1/ هل تم زيارة المعالجات أو معالج شعبي مختص بالأعشاب؟

.....

.....

2/ ماهو التشخيص الذي أعطاه لكي المعالج

.....

.....

3/ ماهي طريقة العلاج المتبعة من قبل المعالجات ؟

.....

.....

4/ عند زيارة المعالجين هل يطلب منك بعض الأعشاب؟

.....

.....

المحور الثالث: العلاج الروحاني

1/ هل عانيت من السحر ؟

.....

.....

2 / هل عالجت بالعلاج الروحاني ؟

.....

.....

ماهي طريقة العلاج ؟

العزيمة

الأحجية

العلاج بالطلاسم والجدول

كيف تم استخدامها.....

3/ ماهي النتائج المتحصل عليها من خلال هذا النوع من العلاج ؟

.....

المحور الرابع: العلاج بالرقية الشرعية :

1/ هل زرت الراقي من أجل العلاج ؟

.....

2/ ماهي مدة العلاج ؟

.....

3/ ماهي الوصفات العلاجية من خلال الرقية الشرعية ؟

.....

المحور الخامس: العلاج بالحجامة

هل ذهبت للعلاج بالحجامة

.....
.....

2/ ماهي المناطق التي تمت فيها الحجامة ؟

.....

3/ هل ترافق العلاج بالحجامة مع العلاج بالأعشاب؟

.....

المحور السادس : المعالج الشعبي

1/ لماذا إخترت التوجه إلى العلاج الشعبي ؟

.....

2/ من أرشادك إلى المعالجين الذين ذهبت إليهم؟

.....

3/ أين المكان الذي تم فيه العلاج عندما ذهبت إلى المعالج الشعبي؟

.....
.....

4/ ماهو الثمن المطلوب عند العلاج؟

.....

5/ في رأيك هل العلاج الشعبي له فائدة في علاج العقم؟

الملحق الثاني : صورة لبعض الاعشاب التي تستعمل في علاج العقم.

اوراق السبيرة



الزعفران



المستكة



كة

حب الرشاد



الكمون الاسود أو السنوج



الزنجبيل

